بشائر الأسفار

بمحمد وآله الأطهار

دراسات مقارنة
في التوراة والإنجيل

1

تامر مير مصطفى

الغدير
بيروت - لبنان

دراسات مقارنة
في التوراة والإنجيل

1

بشائر الأسفار

بمحمدٍ وآله الأطهار

شبكة كتب الشيعة

تامر مير مصطفى

shiabooks.net
mktba.net رابط بديل

الغدير
بيروت - لبنان

الطبعة الأولى
١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م

جميع حقوق الطبع محفوظة
لمركز الغدير للدراسات الإسلامية

ولا يحقّ لأي شخص أو مؤسسة أو جهة إعادة
طبع أو ترجمة الكتاب إلاّ بترخيص من الناشر

حارة حريك ـ بناية البنك اللبناني السويسري
هاتف: ٠٣/٦٤٤٦٦٢ ـ ٠١/٥٥٨٢١٥ ـ تلفاكس: ٠١/٢٧٣٦٠٤
ص.ب ٥٠/٢٤ ـ بيروت ـ لبنان
E - mail: algadeer@ inco. com. lb

كلمة المركز

يبحث الأستاذ تامر مير مصطفى، في كتابه هذا: «بشائر الأسفار بمحمّد وآله الأطهار» قضيةً كثر الحديث عنها، وهي: البشارات التي وردت في التوراة والانجيل على ألسنة أنبياء العهدين: القديم والجديد، بمحمّد خاتم الأنبياء ﷺ وبالأئمة الاثني عشر الأطهار من أهل بيته عليهم السلام، الذين يمثّلون استمرار خط الإمامة والوصاية على الرسالة من بعده.

يعود الباحث إلى ما حوته أسفار العهدين من أقوال الأنبياء، وبخاصّة نبوءاتهم عن المستقبل، القائلة إن الله تعالى سيبعث من بعدهم نبيّاً مرسلاً يحمل رسالته الخاتمة إلى الناس جميعهم، وهو يدرك ثلاثة أمور: أوّلها: أن التّحريف أصاب هذه الأسفار، فخرج بعض نصوصها من دائرة الوحي الإلهي إلى دائرة النتاج الإنساني وليد الهوى والخيال. وثانيها: أن هذه الأسفار تتضمّن نصوصاً صحيحةً النسبة إلى الأنبياء وينبغي تحقيقها، وتخليصها ممّا شابها من ركام التحريفات، وثالثها: أن رجال الكنيسة المسيحية يرون أن البشارات بمجيء نبي خاتم وبأئمة من آله تتعلق بالمسيح، عيسى بن مريم عليه السلام.

يدرك الباحث، وهو يعكف على دراسة نصوص العهدين، هذه الأمور، فيعمد إلى تحقيق هذه النصوص واستقرائها ومقارنتها، بدقة وتفصيل، ليميّز بين قول نبي مرسل معصوم وقول محرّفٍ أسيرٍ لهواه. ويتوصّل إلى نتائج يثبتها بالدّليل القاطع والحجة المقنعة، فحواها: أن تلك البشارات جاءت بخصوص النبي المرسل محمد ﷺ والأئمة الإثني عشر الأطهار عليهم السلام، من آله، من بعده.

وقد وفّق الباحث إلى الكشف عن الكثير من الحقائق في موضوع البشارات، بعون الله تعالى أولاً، وبكفاءته المعروفة ثانياً، فهو ممَّن أجادوا دراسة نصوص التوراة والإنجيل، وممَّن أمضوا مدَّة طويلة في دول أوروبا مبلِّغاً للإسلام، وقد استطاع خلالها أن يأخذ بيد عدد كبير من أبناء تلك الدول، وفيهم المثقَّف ورجل الدين، إلى طريق النور والهداية إلى الدين الحنيف.

ويجب أن نلفت نظر القارئ الكريم هنا إلى أنّ بعض الباحثين من علماء المسلمين وأهل الكتاب قد كتبوا في موضوع البشارات الواردة في كتب العهدين بخصوص رسول الله محمّد ﷺ، إلاّ أنّ ما يميِّز الكتاب الذي هو بين يديك هو أنّ الكاتب استطاع أن يكشف عن الكثير من الحقائق والبشارات التي جاءت بخصوص آل بيت رسول الله ﷺ أيضاً. وهذا ما لم يسبقه إليه أحد ـ على حدِّ علمنا ـ بهذا التفصيل والدُّقّة في البحث.

وتقديراً من مركز الغدير للدراسات الإسلامية لهذا الجهد الثمين يسعده أن يطبع هذا الكتاب وينشره في حلَّة أنيقة، والله ولي التوفيق.

مركز الغدير للدِّراسات الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الكتاب:

لقد منَّ الله على الانسان لمّا خلقه بنعمة العقل والادراك وذلك ليمكّنه من التمييز بين الخير والشر والحق والباطل. ومع ذلك فلم يدع الله ـ وهو اللطيف الخبير بعباده ـ الانسان يكابد وحده صعوبة هذا التمييز والاختيار بين الحق والباطل معتمداً فقط على عقله وإدراكه فكثيراً ما يضعف عقل الانسان عن القيام بهذه المهمة لوحده، فهو عرضة في كثير من الأحيان للوقوع فريسة الأفكار المنحرفة والأهواء المتباينة العاصفة التي تبعده عن طريق تكامله وسعادته التي أرادها الله له.

فكان لابُدَّ من أن يجعل الله منارات على طريق المسيرة الانسانية تضيء للعقل الانساني السبيل وتساعده على معرفة الحق واتّباع سبيله، وتشخيص الباطل واجتناب كل ما يؤدي اليه.

ولذا فقد أرسل الله تعالى للأمم والشعوب «رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة»[1] وذلك ليفتحوا أمام الناس أبواب معرفة

---

١ ــ سورة النساء/١٦٥.

الله خالقهم ليؤمنوا به ويعبدوه ويبتعدوا عن عبودية ما سواه. وكان أن أرسل عزَّ وجلَّ في كل قوم أو أمّة نبيّاً أو رسولاً من أنفسهم يدعوهم الى توحيد الله وطاعته وينذرهم مغبة مخالفته والكفر به، فقال عزَّ من قائل مؤكداً هذه الحقيقة: «وإن من أمّة إلا خلا فيها نذير»[٢]، ثم ختم سبحانه سلسلة أنبيائه ورسله بعبده ورسوله محمد بن عبد الله حفيد اسماعيل بن ابراهيم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، ولكنه جلّ وعلا لم يُرسله الى قوم دون قوم أو أمة دون أمة بل أرسله للناس جميعا.

ولقد جاءت جميع الرسالات الالٰهية السابقة في الزمن لرسالة الاسلام التي أُرسل بها محمد(ص) كمقدمات طبيعية لها. كما عمل أنبياء الله ورسله عليهم السلام علىٰ تمهيد الطريق وتهيئة العقل الانساني لتَقَبُّلِ الرسالة الإلٰهية الجديدة والخاتمة التي حملها محمد صلى الله عليه وآله وسلم للناس جميعاً على اختلاف أممهم وشعوبهم وأمكِنتهم وأزمنتهم. ولذا فإنَّ جميع أنبياء الله ورسله قد بشَّروا برسول الله محمد صلى الله عليه وآله وسلم وبرسالته الخاتمة لرسالاتهم والحاوية لما تحتاجه البشرية للوصول الىٰ سعادتها وكمالها.

وقد أكد الله تعالى هذه الحقيقة وأنه قد أرسل رسوله محمداً صلى الله عليه وآله وسلم الى الناس كافة دون استثناء فقال عزَّ من قائل مخاطباً إيّاه:

«وما أرسلناك إلّا رحمة للعالمين»[٣].

---

٢ ــ سورة فاطر/٢٤.

٣ ــ سورة الانبياء/١٠٧.

وقال : «وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً»[٤].

وقال أيضاً : «قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً الذي له ملك السموات والأرض ، لا إله إلا هو يحيي ويميت ، فـآمنوا بالله ورسوله النبي الأمّي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون»[٥].

بينما تَـمَّ إرسال الأنبياء والرسل السابقين عليه في الزمن كل الى قومه خاصة ، وهذا ما صرّح به عيسىٰ المسيح عليه السلام عندما قال بأنه لم يُرسل إلّا الى خراف بيت إسرائيل الضالّة[٦].

ولم يدّع أي من الأنبياء والرسل عليهم السلام غير محمد صلى الله عليه وآله وسلم أنه خاتم الأنبياء والمرسلين ، فقد قال الله تعالى : «ما كان محمدٌ أبا أحدٍ من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيِّين»[٧].

وروىٰ مسلم في صحيحه أنَّ النبي محمداً صلى الله عليه وآله وسلم قال : «والذي نفس محمد بيده ، لا يسمع بي أحد من هذه الأمّة ، يهودي ولا نصراني ، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أُرسلت به ، إلا كان من أهل النار».

ولذلك لابُدَّ من أن يكون الأنبياء الذين جاءوا قبله قد تحدثوا لشعوبهم عنه وبشروهم بمجيئه وحثُّوهم على اتِّباعه ونصرته.

كما إنَّه لابُدَّ من أن يكون أهل بيت محمد خاتم رسل الله من أعلىٰ البيوتات وأشرفها ، ولذا قال الله تعالى بشأنهم : «إنما يريد الله

---

٤ ــ سورة سبأ/٢٨.

٥ ــ سورة الاعراف/١٥٨.

٦ ــ انجيل متى ١٥/٢٤.

٧ ــ سورة الأحزاب/٤٠.

ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا»[٨]. ولا عجب في ذلك فلقد كان آل بيت رسول الله(ص) أتقى الناس وهذا لم يكن بدعاً في تاريخ النبوّات.

إنَّ أفضليّة أهل بيت رسول الله(ص) لم تكن بدعاً في تاريخ النبوّة. بل على العكس فتاريخ النبوّة بشهادة القرآن الكريم حافل بمثل ذلك. فقد أشرك الله هارون بالرسالة مع أخيه كليم الله موسىٰ. ولم يشرك معه في تلك الرسالة أحداً من الإسرائيليين أو سواهم فيها. وقد كان ذلك لاستحقاق هارون تلك المنزلة السامية واستجابة لدعاء أخيه موسى: «واجعل لي وزيراً من أهلي. هارون أخي. أشدد به ازري. وأشركه في أمري. كي نسبحك كثيراً ونذكرك كثيراً. إنَّك كنت بنا بصيراً. قال قد أوتيت سؤلك يا موسىٰ»[٩].

وقد دعا ابراهيم ربَّه فسأله أن يجعل من ذريته أئمة للناس فاستجاب الله دعاءه ووعده أنْ يجعل أئمة من صالحي ذريته دون أن يوصل الى تلك الدرجة العليا أيّاً من الظالمين لأنفسهم أو لغيرهم من نسله: «وإذ ابتلىٰ ابراهيمَ ربُّه بكلمات فأتمهن. قال: إني جاعلك للناس إماماً. قال ومن ذريتي. قال: لا ينال عهدي الظالمين»[١٠].

وقد اختار الله آل ابراهيم وآل عمران وفضّلهم على العالمين «إنَّ الله

---

٨ ــ سورة الاحزاب/٣٣ التي نزلت في خمسة أشخاص وهم: محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين: راجع صحيح مسلم وصحيح الترمذي ومسند أحمد بن حنبل، وشواهد التنزيل للحسكاني الحنفي، والكشاف للزمخشري، وتفسير ابن كثير..إلخ.

٩ ــ سورة طه/ ٢٩ - ٣٦.

١٠ ــ سورة البقرة/١٢٤.

اصطفى آدم ونوحاً وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين. ذريّة بعضها من بعض والله سميع عليم»[11]. ومعلوم أنّ آل محمد(ص) من آل ابراهيم لا بل من خيرتهم.

كما دعا زكريا ربّه وقال «ربِّ هب لي من لدنك ذرية طيّبة إنك سميع الدعاء. فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب: إنّ الله يُبشّرك بيحيىٰ مصدّقاً بكلمة من الله وسيداً وحصوراً ونبيّاً من الصالحين»[12].

إنّ هذه الآيات (وعدداً آخر سواها) تدل بجلاء على أنّ نبوّات سابقة سارت في هذا المجرى فكان من ذراري الأنبياء السابقين وأقربائهم من شابهوهم في أعمالهم وساروا على مناهجهم فبلغوا أعلىٰ درجات التقوىٰ واستحقوا بذلك حمل الرسالة واصطفاهم الله على سواهم من العالمين.

وتفسير ذلك أنّ الله خلق من ذويهم وذرياتهم أولئك الأفراد الممتازين إمّا استجابة لدعوات أولئك الأنبياء أو مكافأة لهم على جهادهم في سبيل نشر دينه وإعلاء كلمته.

إذاً لم يكن من غير الطبيعي أن يكون في آل محمد(ص) هؤلاء النخبة من الأتقياء، بل يكون من غير الطبيعي أن لا يكون في أهل بيت الرسول أعلام هدىً يرتفعون الى أعلى درجات التقوى فمحمد صلى الله عليه وآله وسلم هو أكرم رسل الله عليه وأحبّهم إليه. فإذا كان الله تعالى

---

١١ ــ سورة آل عمران/ ٣٣-٣٤.

١٢ ــ سورة آل عمران/ ٣٨-٣٩.

قد أكرم ابراهيم ونوحاً وزكريا وآخرين بأنْ خلق من ذرياتهم الصالحين الذين استحقوا أن يصطفيهم على العالمين، فَلِمَ لا يُكرم الله خاتمَ أنبيائه وأكرم رسله عليه بأن يجعل الصالحين الهداة في ذريته؟

ولذا فإنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد نصح أُمَّته وحذَّر المسلمين من الابتعاد عن خط آل بيته الذين جعلهم الله لهم ضماناً من الضلال والفرقة[13] وسفينة نجاة ينجو من ركبها ويغرق من تخلف عنها[14]. وقد أشار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الى أنَّ آل بيته هم من أفضل بيوتات الأنبياء وذلك عندما أوحـى الله إليه:

«في بيوت أذن الله أنْ تُرفع ويُذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلوٰة وإيتاء الزكاة يخافون يوماً تتقلَّب فيه القلوب والأبصار»[15]، فقد أخرج ابن مردويه عن أنس بن مالك وبُريدة قالا: قرأ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هذه الآية «في بيوت أذن الله أن تُرفع» فقام إليه رجل فقال: أي

---

١٣ ــ قال رسول الله (ص): «يا أيها الناس إني تارك فيكم الثقلين ما إنْ تمسكتم بهما لن تضلُّوا بعدي أحدهما أعظم من الآخر، كتاب الله حبل ممدود من السماء الى الارض وعترتي أهل بيتي ولن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيهما».

راجع: صحيح الترمذي وصحيح مسلم (باختلاف بسيط)، الدر المنثور للسيوطي، الصواعق المحرقة، ابن كثير في تفسيره، ابن الأثير في جامع الأصول وفي أسد الغابة، تفسير الخازن وغيرها من عشرات المصادر المعتبرة في التفسير والحديث.

١٤ ــ نص حديث السفينة: قال رسول الله (ص): «إنّما مثل أهل بيتي فيكم كمثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلَّف عنها غرق «راجع: تاريخ الخلفاء للسيوطي، كفاية الطالب للكنجي الشافعي، والمعجم الصغير للطبراني، الصواعق المحرقة لابن حجر، وفرائد السمطين وغيرها.

١٥ ـ سورة النور: ٣٦ ـ ٣٧.

بيوت هذه يا رسول الله؟ فقال: بيوت الأنبياء. فقام إليه أبو بكر فقال: يا رسول الله هذا البيت منها مشيراً إلى بيت علي وفاطمة؟ قال: «نعم من أفاضلها»[16].

ومن المفيد هنا أن نذكر شيئاً عن آية المباهلة[17] التي لها علاقة بموضوع كتابنا هذا والتي نزلت للدلالة على عظيم مقام أهل بيت النبوّة والرسالة عليهم السلام عند الله وعلىٰ فضلهم وتقدمهم على الناس جميعاً. فقد أوحى الله تعالى لرسوله محمد صلى الله عليه وآله وسلم بخصوص عيسى بن مريم عليه السلام:

«فمن حاجّك فيه من بعد ما جاءَك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءَنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين»[18].

فبعد أن وطّد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دعائم الاسلام في شبه الجزيرة العربية وقضىٰ على عقيدة الشرك وعبادة الأصنام فيها اتجه صلى الله عليه وآله وسلم الى دعوة الشعوب والأمم الى عقيدة التوحيد الخالص والإنضواء تحت راية الاسلام- الدين الذي ارتضاه الله لعباده ولن يرضىٰ منهم غيره يوم القيامة، فقد قال جلّ من قائل: «إنَّ الدين

---

١٦ ــ راجع: شواهد التنزيل للحسكاني الحنفي ج ٤٠٩/١، الدر المنثور للسيوطي ج ٥٠/٥، روح المعاني للآلوسي ج ١٥٧/١٨، غاية المرام ص ٣١٧ ط ايران وغيرها.

١٧ ــ المباهلة: مِنْ بَهَلَ، وبَهَلَهُ أي لَعَنَهُ. وباهَلَ بعضهم بعضاً أي تلاعنوا. وتبَهْلُوا وتباهلوا أي تلاعنوا. البَهْلَة والبُهْلَة: اللعنة. والمُباهلة: الملاعنة أو طلب نزول اللعنة على الفريق المقابل.

١٨ ــ آل عمران: آية ٦١.

عند الله الإسلام»[١٩].

«ومن يبتغ غير الاسلام ديناً فلن يُقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين»[٢٠].

وكما أسلفنا سابقاً فإنَّ الله لم يرسل محمداً ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ إلى قوم دون قوم أو إلىٰ فئة من الناس دون فئة، بل أرسله برسالة الاسلام إلىٰ الناس كافة علىٰ اختلاف قومياتهم وألسنتهم وأمكنتهم وأزمنتهم. فقد أوحىٰ سبحانه إلىٰ رسوله الكريم في محكم كتابه المبين: «قل يا أيُّها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً»[٢١].

ولذلك قام رسول الله(ص)، بعد فتحه لمكة المكرمة، بإرسال رسائل إلىٰ أشهر ملوك وحكام العالم في عصره يدعوهم فيها إلى الإسلام. وكان من بين من راسلهم داعياً إيّاهم الى الاسلام أهل نجران، وهي مدينة تقع الى الجنوب من مكة المكرمة بالقرب من الحدود الشمالية لليمن اليوم، حيث كانت نجران معقلاً للنصرانية في جنوب شبه الجزيرة العربية، وقد بنىٰ فيها النصارىٰ كعبة علىٰ غرار الكعبة في مكة، وصفها ياقوت الحموي في كتابه معجم البلدان قائلاً:

«وكعبة نجران هذه ـ يُقال ـ بناها بنو عبد المدان بن الديان الحارثي على غرار بناء الكعبة، وعظموها مضاهاة للكعبة وسموها كعبة نجران وكان فيها أساقفة (...)، وهم الذين جاءوا الى النبي صلى الله عليه

---

١٩ ــ آل عمران: آية ١٩.

٢٠ ــ آل عمران، آية ٨٥.

٢١ ــ الأعراف: ١٥٨.

وآله وسلم ودعاهم الى المباهلة»[٢٢].

وقد دعاهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في رسالته الى الاسلام، فإن أجابوا فإخوان في الدين، وإن أبوا فعليهم الجزية، وإلا فليستعدوا للقتال. وكان في كتاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لهم: «قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم، ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا أشهدوا بأنّا مسلمون»[٢٣].

وهذا ما يدلُّ علىٰ أن نصارىٰ نجران كانوا علىٰ عقيدة التثليث وكانوا يرفعون عيسىٰ(ع) إلىٰ مقام الالوهية. ولذا فقد هزَّ كتاب رسول الله أهل نجران وأصاب أساقفتهم الارتباك والحيرة فعقدوا مؤتمراً اجتمع فيه رؤساء أهل نجران وأهل الرأي والأعيان من القبائل التي كانت قد تنصّرت وبعد جدال طويل تقرّر أن يذهب وفد كبير يضم كبار أهل نجران وأشرافهم يتقدمهم كبير أساقفتهم وزعيمهم الديني ـ العاقب.

ثم دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المسجد وجلسوا يناقشونه حول طبيعة السيد المسيح محاولين إضفاء الصبغةُ الألوهية عليها، ولكن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فنَّد عن طريق البراهين العقلية مزاعمهم وأثبت لهم أنَّ عيسى بن مريم كان بشراً كغيره من البشر إنما كان عبداً ورسولاً لله أرسله إلى بني اسرائيل لتقويم انحرافهم وردهم الى صراطه المستقيم.

ولما أصرَّ وفد نصارىٰ نجران على ضلاله أنزل الله تعالى على رسوله

---

٢٢ ــ ياقوت الحموي، معجم البلدان (ج ٦٤/٨).

٢٣ ــ آل عمران: آية ٦٤.

صلى الله عليه وآله وسلم:

«فمن حاجّك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين».

فقال لهم رسول الله: «إنّ الله أمرني بمباهلتكم إنْ أنتم أقمتم وأصررتم على قولكم».

وقد جاء في تفسير الميزان حول عبارة «فنجعل لعنة الله على الكاذبين». كالبيان للإبتهال، وقد قال: فنجعل، ولم يقل: فنسأل إشارة إلىٰ كونها دعوة غير مردودة حيث يمتاز بها الحق من الباطل على طريق التوقف والإبتناء. وقوله: الكاذبين مسوق سوق العهد دون الاستغراق أو الجنس إذ ليس المراد جعل اللعنة على كل كاذب أو على جنس الكاذب بل على الكاذبين الواقعين في أحد طرفي المحاجة الواقعة بينه صلى الله عليه وآله وسلم وبين النصارىٰ حيث قال صلى الله عليه وآله وسلم: إن الله لا اله غيره وأن عيسى عبده ورسوله، وقالوا: إنّ عيسى هو الله أو إنه ابن الله أو الله ثالث ثلاثة[٢٤].

وتم تعيين يوم الرابع والعشرين من ذي الحجة للمباهلة على حسب أشهر الروايات. وحقاً كان يوم المباهلة يوماً مشهوداً ومصدر فخر وعظمة في سلسلة الأيام الإسلامية الشهيرة حيث تألق نوره بين الأيام المشعة في رسالة الاسلام، وحقّت فيه كلمة الله العليا، وتمت الغلبة للاسلام.

وفي ذلك اليوم المشهود خرج رسول الله ووجهه يشع بالنور وعليه

---

٢٤ ــ محمد حسين طباطبائي، تفسير الميزان، ج ٣/٢٢٤.

هيبة النبوّة ووقار الرسالة الإلٰهية وعظمة خاتميته لسلسلة الأنبياء والمرسلين.

خرج لمباهلة النصارى وهو محتضن للحسين وماسك بيمناه الحسن وخلفه بضعته فاطمة الزهراء وعلي يمشي خلفها تجللهم جميعاً مهابة من الله وأنوار الرسالة الإلٰهية.

وحقاً إنَّ «المباهلة هي القول الفصل في نهاية الجدل وقد اختارها الله لنبيه واختار له الأشخاص الذين يؤمّنون على دعائه»[٢٥].

وما إن وقع نظر أُسقف نجران على تلك الأوجه الطاهرة التي يشع منها نور الرسالة الخاتمة لجميع الرسالات الإلٰهية حتى أخذته الرجفة وذُعر وامتنع عن أن يباهل، فهو قد تلمَّس الحقيقة في وجوه آل محمد الطاهرة وليس من أحد يمكنه أنْ يدفع لعنة الله وعذابه النازل فيما لو سأل محمد صلى الله عليه وآله وسلم ربَّه أن يجعل لعنته على الكاذبين ورفعت تلك الأيدي للتأمين على دعاء نبيه، وعرف الأُسقف وأصحابه أنَّ السهم لن يخطئهم إذا هم باهلوه وأنهم الآن قد وصلوا الى نقطة التحول حيث إنَّ النصرانية قد بلغت حدَّها المحدود برسالة محمد صلى الله عليه وآله وسلم وانتهى أجلها الذي أُجِّلت له وانطوى بين تلافيف الزمن كما طويت شرائع من قبل وانتهت إلىٰ الأبد.

ولذا توجّه الأسقف لأصحابه قائلاً: والله لقد عرفتم يا معشر النصارىٰ أن محمداً نبي مرسل، ولقد جاءكم بالفصل من أمر صاحبكم (أي عيسىٰ المسيح)، والله ما باهل قوم نبيّاً قط فعاش كبيرهم ولا نبت

---

٢٥ ــ عبد الله التبيتي، المباهلة ص ٥٧.

صغيرهم ولئن فعلتم لتهلكن فإن أبيتم إلا البقاء على دينكم، والإقامة علىٰ ما أنتم عليه فوادعوا الرجل وانصرفوا إلىٰ بلادكم. فأتوا رسول الله ومعه الحسن والحسين وفاطمة وعلي وصالحوه علىٰ أن يؤدوا إليه الجزية ويبقوا علىٰ دينهم فقبل منهم وصالحهم على ذلك.

وقد أجمعت الأمة الاسلامية[٢٦] على أن آية المباهلة نزلت في النبي (ص) وعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام.

وآية المباهلة هذه إنْ دلّت على شيء فإنّما تدلُّ علىٰ عظمة أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومقامهم الرفيع عند الله الذي لا

---

٢٦ ــ راجع: صحيح مسلم كتاب الفضائل باب من فضائل علي بن أبي طالب ج ٣٦٠/٢ ط عيسى الحلبي و ج ١٧٦/١٥ ط مصر بشرح النووي و ج ١٢٠/٧ ط محمد علي صبيح بمصر.

صحيح الترمذي ج ٢٩٣/٤ ح ٣٠٨٥ و ج ٣٠١/٥ ح ٣٨٠٨، شواهد التنزيل للحاكم الحسكاني الحنفي ج ١٢٠/١ - ١٢٩ (عدّة أحاديث)، المستدرك على الصحيحين للحاكم ج ١٥٠/٣، مسند أحمد بن حنبل ج ١٨٥/١ ط الميمنية و ج ٩٧/٣ ح ١٦٠٨ ط دار المعارف، تفسير الطبري ج ٢٩٩/٣، ٣٠٠، ٣٠١ و ج ١٩٢/٣ ط الميمنية بمصر، الكشاف للزمخشري ج ٣٦٨/١- ٣٧٠ ط بيروت و ج ١٩٣/١ ط مصطفى محمد بمصر، تفسير ابن كثير ج ٣٧٠/١- ٣٧١، تفسير القرطبي ج ١٠٤/٤، احكام القرآن للجصاص ج ٢/ ٢٩٥ - ٢٩٦ «قال: لم يختلفوا في أنّ النبي (ص) أخذ بيد الحسن والحسين وعلي وفاطمة... الى آخر كلامه» ط عبد الرحمن محمد بمصر، أسباب النزول للواحدي ص ٥٩، فتح القدير للشوكاني ج/٣٤٧ ط ٢ مصطفى الحلبي بمصر و ج١ ص ٣١٦ ط ١ بمصر، تفسير الفخر الرازي ج ٦٩٩/٢ ط دار الطباعة العامرة بمصر و ج ٨٥/٨ ط البهية بمصر، الدر المنثور للسيوطي ج ٢/ ٣٨-٣٩، تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ١٦٩، الصواعق المحرقة لابن حجر الشافعي ص ٧٢ ط الميمنية بمصر و ص ١١٩ ط المحمدية بمصر، السيرة الحلبية ج ٢١٢/٣ ط المطبعة البهية بمصر و ج ٢٤٠/٣ ط محمد علي صبيح، اسد الغابة لابن الاثير ج ٢٦/٤، تفسير الجلالين للسيوطي ص ٣٣ ط مصر و ص ٧٧ ط دار الكتاب العربي في بيروت.. الخ، نقلاً عن ملحق المراجعات ص ٤٤-٤٥.

يدانيهم فيه أحد من الناس. فعلىٰ الرغم من أنَّ الآية جاءت بصيغة الجمع «قل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله علىٰ الكاذبين» إلَّا أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يأخذ من الأبناء سوىٰ الحسن والحسين، ومن النساء سوىٰ ابنته فاطمة ومن الرجال سوىٰ عليّ. ولذلك ما إن وقعت عين اسقف نجران عليهم حتى أخذه الخوف فقال ما قال ولهذا أسرعوا وصالحوا رسول الله كما ذكرنا سابقاً.

ومن نافلة القول أن يكون أسقف نجران، لما رأىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وآل بيته معه (علياً وفاطمة والحسن والحسين)، قد عرفهم بسيماهم وصفاتهم نظراً لما كان قد اطَّلع عليه من بشارات وردت في حقهم في التوراة والإنجيل وبقية أسفار أهل الكتاب المقدسة عندهم.

وفي الواقع فإنه من غير المعقول أن يكون أنبياء بني اسرائيل ابتداءً من موسىٰ عليه السلام وانتهاءً بآخر نبي أُرسل إليهم خاصة وهو عيسىٰ ابن مريم عليه السلام أن يكونوا قد أغفلوا ذكر رسول الله محمد وآل بيته وإعلان البشارة بهم (أي بمحمد وآل بيتـــه) أثناء أحاديثهم لأتباعهم وتلاميذهم عمّا سيجري في المستقبل من حوادث كبيرها وصغيرها.

ويجب أن نلفت النظر هنا إلىٰ أن بعض من كتب عن البشارات الواردة بحق نبي الاسلام محمد صلى الله عليه وآله وسلم في أسفار الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد قد حاولوا جاهدين طمس جميع ما ورد في هذه الأسفار من بشارات جاءت، إلىٰ جانب البشارات برسول

الله، في حق آل بيته الأطهار(ع). كما عمد بعض من هؤلاء الكتاب (وهم دعاة للاسلام أيضاً!) إلىٰ تأويل بعض هذه النصوص وحرفها عن معانيها الصحيحة. ولم يكتفوا بذلك بل عمد أكثرهم إلىٰ تجاهل البشارة العظيمة التي وردت بحق رسول الله محمد صلى الله عليه وآله وسلم وحفيده الإمام المهدي المنتظر عليه السلام في المزمور الثاني والسبعين من مزامير داود عليه السلام كما سنبين ذلك في البشارة الخامسة من هذا الكتاب بعون الله وفضله.

ولنا أن نسأل هؤلاء: لِمَ هذا العداء الظاهر والمُبطّن أحياناً لآل بيت رسول الله يا مَنْ تقولون إنّكم تقومون بالدعوة للإسلام؟! وأي اسلام هذا إن كنتم تعادون آل بيت نبيّكم؟ وهل كان ما قمتم به من طمس حقيقة أهل البيت السامية والتستر علىٰ ما لهم من مقام رفيع عند الله كما تبيّنه تلك البشارات التي سنوردها إن شاء الله في فصول هذا الكتاب والتي سكتم عنها، هل كان هذا جزاء رسول الله (ص) منكم؟ علىٰ الرغم من أن الله تعالىٰ قد أمره أن يقول لنا كمسلمين آمنّا برسالته وصدّقناه: «قل لا أسئلكم عليه أجراً إلا المودّة في القربىٰ»[٢٧]. والقربىٰ هنا تعني آل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كما صرّح بذلك الكثير من علماء المسلمين ومفسّريهم[٢٨].

---

٢٧ ــ سورة الشورى: ٢٣.

٢٨ ــ صرّح الكثير من علماء أهل السنة ومفسريهم أنّ الآية نزلت بخصوص آل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فراجع:

شواهد التنزيل للحاكم الحسكاني الحنفي (ج٢/١٣٠ الأحاديث ٨٢٢، ٨٢٣، ٨٢٤، ٨٢٥، ٨٢٦، ٨٢٨، ٨٣٢، ٨٣٤، ٨٣٨، ذخائر العقبى للطبري الشافعي (ص ٢٥ و

كان الأولىٰ لمن يحمل مسؤولية الدعوة إلىٰ الله تعالىٰ أن يظهر الحق ولا يكتمه عن الناس، وأن يكون له في كتاب الله خير دليل ومرشد إلى الدفاع عن الحق وأهله، ورادع عمّا يؤدّي إلىٰ سخط الله وغضبه وهو الآمر سبحانه وتعالى ذوي العلم والمعرفة: «لتبيننه للناس ولا تكتمونه» (آل عمران ١٨٧). و «ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فإنه آثم قلبه» (البقرة ٢٨٣). ولاشك في أن عملية التصدّي للكتابة عمّا ورد من بشارات بخصوص نبي الاسلام محمد صلوات الله وسلامه عليه وآله، في الأسفار والكتب المقدسة عند اليهود والنصارىٰ هي عملية إدلاء بالشهادة أمام الله وأمام الناس، فليؤدها الذي يتصدّىٰ لهذه المهمة كاملة تامة ولا ينقص منها شيئاً ليفوز بالرضىٰ والقبول عند الله ورسوله ولينقذ قلوباً حيارىٰ لم يتبين لهم الحق كاملاً فيتبعوه ولم يُسْـــفَر أمامهم عن وجه الباطل فيجتنبوه.

وكان ذلك هو الهدف والغاية من كتابنا هذا الذي احتوى علىٰ هذه المقدمة بالإضافة إلىٰ دراسة مفصلة لعشر من البشائر التي ورد

---

١٣٨)، الصواعق المحرقة لابن حجر الشافعي (ص ١٠١ و ١٣٦) ط الميمنية بمصر و (ص ١٦٨ و ٢٥٥) ط المحمدية بمصر، تفسير الطبري (ج ٢٥/٢٥) ط ٢ مصطفى الحلبي بمصر و (ج ١٤/٢٥ و ١٥) ط الميمنية بمصر، المستدرك للحاكم (ج ١٧٢/٣)، تفسير الكشّاف للزمخشري (ج ٤٠٢/٣) ط مصطفى محمد و (ج ٢٢٠/٤) ط بيروت، تفسير الفخر الرازي (ج ١٦٦/٢٧) ط عبد الرحمن محمد بمصر و (ج ٧/ ٤٠٥-٤٠٦)، تفسير البيضاوي (ج ١٢٣/٤) ط مصطفى محمد بمصر و (ج ٥٣/٥) افست بيروت على ط دار الكتب العربية بمصر، تفسير ابن كثير (ج ١١٢/٤)، مجمع الزوائد (ج ١٠٣/٧ و ج ١٦٨/٩)، فتح القدير للشوكاني (ج ٥٣٧/٤) ط ٢ و (ج ٢٢/٤) ط ١ بمصر، الدر المنثور للسيوطي (ج ٧/٦)، تفسير النسفي (ج ١٠٥/٤)، حلية الأولياء (ج ٢٠١/٣) وغيرها من المصادر الاسلامية المعتبرة.

بعضـــــها خاصاً بنبي الاسلام محمد ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ ، وبعضها الآخر جاء مشتركاً ليبشر به وبآل بيته عليهم السلام.

وقد أثبتنا بما لا يقبل الشك خلال حديثنا عن البشارة الأولىٰ أن البركة التي خص الله تعالىٰ بها اسماعيل عليه السلام (تكوين ١٧ : ٢٠) قد تحققت في ثلاثة موارد متسلسلة ومترابطة بعضها مع بعضها الآخر، وهي :

١ ــ لقد ختم الله تعالىٰ سلسلة أنبيائه ورسله بحفيد اسماعيل، محمد(ص) وبعثه إيّاه برسالة الاسلام للناس جميعاً.

٢ ــ جعل الله تعالىٰ من ذرية اسماعيل (ع) اثني عشر إماماً طاهراً وهم آل بيت رسول الله محمد (ص) الذين جاءوا من بعده لهداية الناس إلىٰ صراط الله المستقيم ومنعهم من الانحراف عن دينه الحنيف.

٣ ــ جعل منه (أي من اسماعيل) أمة عظيمة تجمعت من كافة الشعوب والأمم حول رسالة الاسلام التي جاءهم بها من عند الله تعالىٰ محمد بن عبد الله حفيد اسماعيل(ع). فكانت هذه الأمة بحق خير أمة أخرجت للناس.

أما ما ورد في البشارة الرابعة على لسان داود(ع) في المزمور الخامس والأربعين من مزاميره، فهو يمثل قطعة أدبية رائعة جاءت في وصف رسول الله محمد(ص) وإظهار عظمته وجلاله وبهائه وسيادته علىٰ بني آدم. كما أشار داود(ع) في بعض مقاطع هذا المزمور إلىٰ آل بيت رسول الله(ص) وخص منهم ابنته فاطمة الزهراء وتحدث عن عظمتها وسمو مقامها. وأيضاً أشار إلىٰ تعيين رسول الله للأئمة الأطهار من ذريته خلفاء شرعيين له لهداية الناس من بعده إلىٰ صراط الله المستقيم.

ولم ينسَ نبي الله داود(ع) الإمام المهدي المنتظر(ع) من ذرية رسول الله محمد(ص) فخصص له ولجده رسول الله مقطوعة أدبية أخرىٰ رائعة يصفه ويصف جده رسول الله(ص) فيها وما سيحققانه للبشرية من انجازات عظيمة على مستوىٰ الخير والهداية إلىٰ الله ورفع الظلم والطغيان من الأرض. وهذا كله ذكرناه مفصّلاً في البشارة الخامسة من هذا الكتاب التي جاءت تفسيراً لما ورد في المزمور الثاني والسبعين من مزامير داود(ع).

وتبقىٰ البشارة العاشرة من هذا الكتاب التي جاءت تفسيراً لما ورد في الإصحاح الثاني عشر من سفر الرؤيا وهو آخر سفر من أسفار العهد الجديد، تبقىٰ أهم ما ورد بخصوص أهل بيت رسول الله(ص)حيث تمت الاشارة في هذا الاصحاح من سفر الرؤيا إلىٰ مجمل تاريخ الأئمة الإثني عشر عليهم السلام من آل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وذريته الطاهرة، وصراعهم المرير ضد الطواغيت والظلمة لإقامة حكم الله في الأرض والقضاء على حكم الظلم والجور فيها. ويشير يوحنا صاحب الرؤيا في الإصحاح الثاني عشر والاصحاح التاسع عشر من رؤياه إلىٰ أن صاحب الملحمة الكبرىٰ وقائد المعركة العظيمة الفاصلة الذي سيقضي فيها على قوىٰ الشر والكفر في العالم هو ابن تلك «المرأة المتسربلة بالشمس والواقفة على القمر وعلى رأسها تاج مرصّع باثني عشر كوكباً» (راجع ما ورد في البشارة العاشرة) حيث أثبتنا أن تلك المرأة العظيمة هي فاطمة الزهراء(ع) بنت محمد المصطفى(ص) وأن القمر زوجها علي ابن أبي طالب(ع) وأن الاثني عشر كوكباً هم الأئمة الأطهار من آل بيته(ع) الذين ورد ذكرهم في البشارتين الأولى والرابعة من هذا الكتاب

ـ فراجع ـ . وأن الإمام الثاني عشر هو الإمام المهدي المنتظر الذي سيقود عباد الله المؤمنين في معركتهم الفاصلة ضد قوىٰ الكفر والشر في العالم وسوف ينصره الله عليهم ليقيم دولة العدل والقسط في الأرض علىٰ شريعة جدّه المصطفى(ص) ويقضي بذلك على الظلم والجور اللذين سادا العالم منذ عصور وعصور

أما بقية البشارات فجميعها ورد بخصوص البشارة بمحمد رسول الله(ص) وإثبات نبوته وعالمية شريعته التي أرسله الله بها إلىٰ الناس كافة.

هذا وقد اعتمدت في استخراج نصوص هذه البشارات علىٰ نسختين من «الكتاب المقدس» عند أهل الكتاب:

١ ــ النسخة البروتستانتية باللغة العربية الصادرة عن دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط طبعة ١٩٩٢.

٢ ــ النسخة الكاثوليكية باللغة الفرنسية المطبوعة سنة ١٩٣٨ والصادرة عن جمعية القديس يوحنا في باريس.

ويتكون الكتاب المقدس عند المسيحيين من عهدَيْن حيث أن العهد معناه الميثاق. ويقولون إنَّ العهد القديم هو العهد الذي قطعه الله مع موسىٰ(ع)، أما العهد الجديد فقد بدأ بظهور عيسىٰ المسيح(ع). ولذا فإن المسيحيين يطلقون علىٰ مجموعة الأسفار المقدسة للديانة اليهودية اسم «العهد القديم» أي (Ancient Testament) بالفرنسية و (Testament Old) بالانكليزية.

كما ويطلقون على الأسفار الخاصة بالديانة المسيحية اسم «العهد الجديد» أي (Nouveau Testament) بالفرنسية و (New Testament)

بالانكليزية.

ويجمعون عادة أسفار العهدين القديم والجديد في كتاب واحد يطلقون عليه اسم «الكتاب المقدس» أي (La Sainte Bible) بالفرنسية و (Holy Bible) بالانكليزية.

ويقسمون أسفار العهد القديم الى أربع مجموعات أو أقسام:

١ ــ القسم الأول: ويحتوي على الأسفار الخمسة الأولى في العهد القديم ويسمونها «البنتاتوك» (Pentateuque) حيث (Penta) تعني خمسة و (Teukhos) باليونانية تعني الكُتُب. وينسبون هذه الأسفار الخمسة إلى موسى(ع) ويسمونها «التوراة» أي الشريعة. وهي:

سفر التكوين، وسفر الخروج، وسفر اللاويّين، وسفر العدد، وسفر التثنية.

٢ ــ القسم الثاني: ويطلق على أسفار هذا القسم اسم «الأسفار التاريخية»، وتحتوي على تاريخ القضاة والملوك الذين خلفوا موسى على بني اسرائيل.

٣ ــ القسم الثالث: وأسفار هذا القسم تحتوي على مواعظ وحكم جعلت على شكل أناشيد شعرية أو أدعية تتمتع بقيمة أدبية كبيرة، ومنها سفر المزامير المنسوب إلى نبي الله داود(ع).

٤ ــ القسم الرابع: وأسفاره تسمى بـ«أسفار الأنبياء» الذين جاءوا بعد عهد داود وسليمان(ع). وأشهرهم سفر نبي الله أشعياء، وسفر نبي الله إرميا، وسفر دانيال الذي عاش في السبي في مدينة بابل على أيام الملك البابلي نبوخذنصر (٥٨٧ ــ ٥٣٨ق. م).

أما فيما يتعلق بأسفار العهد الجديد فقد استقر رأي المسيحيين في

أواخر القرن الرابع الميلادي علىٰ اعتماد سبعة وعشرين سِفْراً من أسفارهم واعتبروها وحدها الأسفار المقدسة عندهم. وقد أطلقوا علىٰ مجموعة هذه الأسفار السبعة والعشرين المختارة من بين عشرات الأسفار التي كانت رائجة عندهم اسم «العهد الجديد».

ويقسّمون مجموعة أسفار العهد الجديد إلىٰ ثلاث مجموعات وسِفْرَيْن هي:

١ ــ المجموعة الأولىٰ: وتتكون من الأناجيل الأربعة التي بين أيدي الناس اليوم وهي حسب ترتيبها في العهد الجديد: ١ــ انجيل متّى (Mathieu)، ٢ــ انجيل مرقس (Marc)، ٣ــ انجيل لوقا (Luc)، ٤ــ انجيل يوحنا (Jean).

وقد تمّ اعتماد الكنيسة لهذه الأناجيل الأربعة التي تشكل قسماً مهماً من العهد الجديد في أواخر القرن الثاني الميلادي أو أوائل القرن الثالث واستبعدت جميع الأناجيل الأخرىٰ التي كانت شائعة في ذلك الوقت حيث حكمت بعدم صحتها معتبرة إيّاها «أبُوكريف» (Apocryphes) أي محرّفة.

ومن جملة الأناجيل التي حكمت الكنيسة بعدم صحتها وحرّمت قراءتها على أتباعها انجيل برنابا (L'-Evangile de Barnabé)وذلك لأنه يخالف عقيدة التثليث ويدعو إلىٰ وحدانية الله ويرفض الفكرة القائلة بألوهيّة عيسىٰ المسيح معتبراً إيّاه إنساناً مبشّراً ونبيّاً مرسلاً إلىٰ بني اسرائيل.

٢ ــ المجموعة الثانية: وتتكون من رسائل بولس الاربع عشرة والتي تتمتع بأهمية خاصة عند المسيحية حيث عمد بولس فيها إلىٰ

ترسيخ الاعتقاد في أذهانهم بألوهية عيسىٰ المسيح وببنوّته لله وبعقيدة التثليث؛ كما أبعدهم عن وجوب الالتزام بأحكام الناموس (أي بشريعة موسىٰ) وحلّل لهم ما كان مُحرّماً عليهم وبذلك قضى علىٰ تعاليم عيسىٰ المسيح(ع) الذي دعاهم فيها إلىٰ عقيدة التوحيد وإلىٰ الالتزام التام بأحكام شريعة موسىٰ(ع).

٣ ــ المجموعة الثالثة: وتضم الرسائل الكاثوليكية السبع، وهي عبارة عن سبع رسائل منسوبة إلىٰ بعض حواريّي المسيح(ع) حيث تتشكل من: رسالة منسوبة للحواري يعقوب الصغير، ورسالتين منسوبتين لبطرس كبير الحواريين، وثلاث رسائل منسوبة للحواري يوحنا الذي ينسب إليه الانجيل الرابع، ورسالة منسوبة للحواري يهوذا أخي يعقوب الصغير.

أمّا السِفْران فهما:

أ ــ سِفْر «أعمال الرسل»: وينسب للقديس لوقا صاحب الانجيل الثالث من الأناجيل الأربعة التي ذكرناها سابقاً.

ب ــ سفر «رؤيا يوحنّا»: ينسب إلىٰ يوحنا صاحب الانجيل الرابع، حيث يتحدث في رؤياه هذه بصورة رمزية علىٰ شكل تنبؤات بما سيحدث في المستقبل في هذا العالم.

ولا بُدّ من القول هنا إنّه على الرغم من امتداد يد التحريف والتشويه للكثير من نصوص أسفار العهدين القديم منهما والجديد فإنها ما زالت تحتوي علىٰ حقائق يمكن للباحثين استخراجها والاستفادة منها، ومنها هذه البشائر التي نعرض لها في كتابنا هذا والتي جاءت علىٰ ألسنة أنبياء بني اسرائيل تُبشّر برسول الله محمد صلى الله عليه وآله وسلم

وبرسالته الإلٰهية الاسلامية الخاتمة التي حملها للناس جميعاً، وبالأئمة الأطهار من آل بيته وبإبنته الطاهرة فاطمة الزهراء عليها وعليهم السلام.

وقبل أن أدع الفرصة للقارىء الكريم لمطالعة هذه البشائر العشر التي تضمنها هذا الكتاب فإنني أُهيب بالاخوة المسلمين علىٰ اختلاف فرقهم ومذاهبهم، وبأصحاب العقول النيِّرة الحُرَّة من المسيحيين أن يتجردوا للبحث عن الحقيقة دون تعصب مسبق لما ورثوه عن آبائهم ومجتمعاتهم ويتلمسوا طريق النور والهداية الذي يوصلهم إلىٰ رضوان الله خالقهم وإلىٰ سعادة الدنيا والآخرة. ولا يكونوا كالذين قال الله تعالىٰ فيهم: «وإذا قيل لهم تعالوا إلىٰ ما أنزل الله وإلىٰ الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا، أوَلَوْ كان آباؤهم لا يعلمون شيئاً ولا يهتدون»[٢٩].

وأيضاً ما وصف به عيسىٰ المسيح(ع) بني اسرائيل موبخاً إياهم:

«... تركتم وصيَّة الله وتتمسكون بتقليد الناس»[٣٠].

وقوله لهم أيضاً: «...رفضتم وصيَّة الله لتحفظوا تقليدكم»[٣١].

فالإنسان مخلوق كريم وهبه الله العقل والإدراك ليستطيع التمييز بين الحق والباطل فيتبع الحق ويهجر الباطل ويتحرر من القيود والأغلال التي تم تكبيله بها لمنعه من العيش في ظل الحقيقة والاستنارة بنورها الإلٰهي الذي لا يُطفأ.

---

٢٩ ـ قرآن كريم: ٥: ١٠٤

٣٠ ــ انجيل مرقس ٧: ٨.

٣١ ــ المصدر نفسه ٧: ٩.

والله نسأل أن يكتب التوفيق والسداد لكل من نشد معرفة الحقيقة والإنضواء تحت لوائها.

تامر مير مصطفىٰ
١٥ شعبان ١٤١٤هـ
الموافق ١٩٩٤/٢/٢٨

بركة إسماعيل تحققت بمحمد (ص) والأئمة الإثني عشر من آل بيته (ع)

أحسّ ابراهيم ـ عليه السلام ـ بالحزن والأسى بعد أن تقدم به العمر ولم يُرزق ولداً يرثه ويخلفه في أهله ويتابع طريقه في الدعوة الى الله.

فبعد أن اضطر للهجرة من مدينة «اور» عاصمة الكلدانيين في العراق الى أرض كنعان (فلسطين) واستقراره فيها ردحاً من الزمن اضطر للذهاب الى مصر تحت ضغط القحط الذي أصاب المنطقة، ثـم عاد ثانية الى فلسطين ليستقر فيها الى آخر عمره.

ولكن الله أوحىٰ له مُطَمْئناً وواعداً إيّاه بأن يكرمه ويجزيه خير الجزاء وأفضله على صبره ومعاناته الطويلة في سبيله فقال له:

«لا تخف يا ابرام أنا ترس لك. أجرك كثير جداً. فقال ابرام أيها السيّد الرب ماذا تعطيني وأنا ماضٍ عقيماً، ومالك بيتي هو وارث لي. فاذا كلام الرب إليه قائلاً: لا يرثك هذا. بل الذي يخرج من أحشائك هو يرثك. ثم أخرجه الى خارج وقال: انظر الى السماء، وعدّ النجوم إن

استطعت أن تعدّها. وقال له هكذا يكون نسلك. فآمن بالرب فحسبه له برّاً»[1].

وقد تحقق هذا الوعد الإلٰهي لابراهيم بعد عودته من مصر إلى فلسطين حيث قامت زوجته سارة بتزويجه من جاريتها هاجر بأمل أن يرزق منها ذرية تَقَرُّ بها عيناه. وشاء الله أن تحمل هاجر من زوجها ابراهيم وتضع له ابنه البكر اسماعيل. فقد جاء في الاصحاح السادس عشر من سفر التكوين:

«وأما ساراي امرأة أبرام فلم تلد له. وكانت لها جارية مصرية اسمها هاجر. فقالت ساراي لأبرام هو ذا الرب قد أمسكني عن الولادة ادخل على جاريتي. لعلي أُرزق منها بنين. فسمع أبرام لقول ساراي. فأخذت ساراي امرأة أبرام هاجر المصرية جاريتها من بعد عشر سنين لإقامة أبرام في أرض كنعان وأعطتها لأبرام رجلها زوجةً له. فدخل على هاجر فحبلت. ولما رأت أنها حبلت صغرت مولاتها في عينيها. فقالت ساراي لأبرام ظلمي عليك. أنا دفعت جاريتي الى حضنك. فلما رأت أنها حبلت صغرت في عينيها. يقضي الرب بيني وبينك. فقال أبرام لساراي هو ذا جاريتك في يديك. افعلي بها ما يحسن في عينيك. فأذلّتها ساراي. فهربت من وجهها.

فوجدها ملاك الرب على عين الماء في البرية. على العين التي في طريق شور. وقال يا هاجر جارية ساراي من أين أتيت والى أين تذهبين. فقالت أنا هاربة من وجه مولاتي ساراي. فقال لها ملاك الرب

---

١ ــ تكوين ١٥: ١-٦.

ارجعي الى مولاتك واخضعي تحت يديها. وقال لها ملاك الرب تكثيراً أكثر نسلك فلا يُعدّ من الكثرة. وقال لها ملاك الرب ها أنت حبلى فتلدين ابنا. وتدعين اسمه إسماعيل لأن الرب قد سمع لمذلّتك. وإنه يكون إنساناً وحشياً. يده على كل واحد ويد كل واحد عليه وأمام جميع اخوته يسكن»[٢].

لسنا هنا بصدد نقدٍ لما تضمّنه هذا النص التوراتي من التناقضات التي إنْ دلّت على شيء فإنّما تدل على أنه لم يسلم من تدخّل يد التحريف الأثيمة لكتبة التوراة في محتواه. فهذا النص يظهر للقارىء أن بيت إبراهيم (ع) كانت تعصف به الآهواء وتتقاذفه الغيرة والظلم وهوى النفس. وبعملهم هذا لم يُراعِ كتبة التوراة حرمة خليل الرحمٰن إبراهيم وبيته الطاهر.

ولكن ما نريد إثباته هنا من خلال هذا النص هو كون اسماعيل الابـــن الأول والبكر لابراهيم والذي رزقه الله إيّاه من زوجته الثانية هاجر وذلك بعد أن وعده بأن يُكثّر نسله ويجعل منه أُمّة عظيمة ويبارك فيه جميع قبائل الأرض[٣]. وقد تحقّق هذا الوعد الالٰهي بولادة اسماعيل ابناً بكراً أوّلَ لابراهيم حيث لم يكن إسحٰق ابنه الثاني قد وُلِدَ بعد.

ويشير هذا النص الى كون ملاك الرب قد بشّر هاجر بأنها تحمل بغلام، وأوصاها بأن تسميه اسماعيل لأن الله قد سمع لتذلّلها له وتوسلها

---

٢ ــ تكوين ١٦ : ١-١٢.

٣ ــ «وقال الرب لابرام اذهب من أرضك ومن عشيرتك ومن بيت أبيك الى الأرض التي أريك. فأجعلك أمّة عظيمة وأباركك وأعظّم اسمك. وتكون بركة. وأبارك مبـــاركيـــك ولاعنك ألعنه. وتتبارك فيك جميع قبائل الأرض» (تكوين ١٢: ١-٣).

اليه.

إذاً فتسميه الابن الأول لابراهيم بـ«اسماعيل» جاءت من الله تعالى، وهذا دليل بحدّ ذاته على أنه بولادة اسماعيل قد تحقق وعد الله بمباركته لابراهيم.

ولكن كتبة التوراة ومترجيه الى اللغات الأخرىٰ لم يعجبهم كون اسماعيل قد بورك به من الله تعالى وأنه أصبح وارثاً لأبيه ابراهيم. ولذلك عمدوا الى الحط من مقامه الشريف حسداً من عند أنفسهم وكراهيّة وظلماً منهم له ولذريته من بعده. فقاموا بترجمة العبارة العبرية «بيريه أدام» التي جاءت في وصفه في النص العبري الى (Une sauvage âne)[4] بالفرنسية والتي تعني «حماراً وحشياً». ومما يدعو الى التعجب والاستغراب هو كيف جوّزوا ترجمة كلمة «أدام» العبرية الى كلمة «حمار» بالفرنسية؟! والصحيح أنّ كلمة «أدام» العبرية تعني «إنساناً» وليس حماراً. ولذلك جاءت ترجمتها العربية في نسخة الكتاب المقدس الصادرة عن المطبعة الكاثوليكية في بيروت سنة ١٩٦٠ «رجلاً وحشياً»، وكذلك في الطبعة الصادرة عن دار الكتاب المقدس في الشرق الاوسط عام ١٩٨٧ نجد ترجمتها الى العربية «إنساناً وحشياً».

والواقع ان جميع هذه الترجمات قداحتوت على تحريف كُلّي أو جزئي مقصود للعبارة الواردة في النص العبري في وصف اسماعيل ـ عليه السلام ـ (بيريه أدام) حيث أن كلمة (بيريه) تأتي بمعنى (مثمر)* باللغة

4- La Sainte Bible, traduite par le chanoine A.CRAMPON, Ed. Société de saint Jean l'Evangéliste à Paris.

* ــ بروفسور عبد الأحد داوود، «محمد (ص) في الكتاب المقدس» ص ٦١.

العربية و (Fertile) باللغة الفرنسية، ولذا فان الترجمة الصحيحة لهذه العبارة الى العربية هي «إنسان مثمر» وبالفرنسية (Homme Fertile) وهذا ما يناسب المقام الرفيع لاسماعيل الذي خصه الله تعالى به.

أما عبارة «يده على كل واحد ويد كل واحدٍ عليه وأمام جميع اخوته يسكن» فإنها حشو واضح الدس. فإن كان قصدهم إظهار العنف والوحشية في بني اسماعيل فإن ما تحدثت به التوراة عن عنف بني اسرائيل ووحشيتهم وكفرهم هو أضعاف أضعاف ما عُرف به أحفاد اسماعيل عليه السلام.

ولابُدَّ لنا هنا قبل البحث في ماهيّة البركة التي خص الله بها اسماعيل من أن نَرُدَّ على افتراءات اليهود التي حاولوا فيها إقصاء اسماعيل عن ساحة البركة الالٰهية تارة بادّعائهم أنه ليس ابناً شرعياً لابراهيم كونه ابن جارية (هاجر) وأن الابن الشرعي الوحيد لابراهيم هو اسحٰق بصفته ابن السيدة سارة زوجة ابراهيم الأولى. وعلى هذا ادّعوا أن الابن الذي ضحّىٰ به ابراهيم في سبيل الله هو اسحٰق وليس اسماعيل. ولذا فإنَّ البركة والعهد الالٰهيين يخصان اسحٰق وأبناءه من بني اسرائيل فقط ولا يشاركهم بها أحد غيرهم من أبناء ابراهيم.

ومعلوم أن اسماعيل عليه السلام لم يكن ابن سفاح أو زنىً (حاشاه) حتى يُعَدّ ابناً غير شرعي لأبيه ابراهيم. والتوراة تؤكد علىٰ أن هاجر كانت الزوجة الشرعية الثانية لابراهيم التي رزقه الله منها ابنه البكر اسماعيل عليه السلام. فقد جاء في التوراة حول هذا الزواج المبارك:

«فقالت ساراي لأبرام هوذا الرب قد أمسكني عن الولادة، ادخل

على جاريتي لعلي أُرزق منها بنين، فسمع أبرام لقول ساراي. فأخذت ساراي امرأة ابرام هاجر المصرية جاريتها من بعد عشر سنين لإقامة أبرام في أرض كنعان وأعطتها لأبرام رجلها زوجة له. فدخل على هاجر فحبلت»[٦].

ومن هذا النص يتبيّن أن سارة زوجة ابراهيم الأولى قد قامت بنفسها بزفّ هاجر الى ابراهيم لتصبح هذه الأخيرة زوجته الشرعية الثانية. وكما رأينا سابقاً أن ملاك الرب قد بشّر هاجر بأنها حامل وأنها ستلد غلاماً وأوصاها بأن تدعو اسمه اسماعيل[٧]. وقد نقلت لنا التوراة بعد بشارة ملاك الرب لهاجر بأنها حامل: «فولدت هاجر لأبرام ابناً. ودعا أبرام اسم ابنه الذي ولدته هاجر اسماعيل. وكان أبرام ابن ست وثمانين سنة لما ولدت هاجر اسماعيل لأبرام»[٨].

وتؤكد التوراة على شرعيّة بنوّة اسماعيل عليه السلام لابراهيم حين تذكر وعد الله لابراهيم بخصوص ابنه اسماعيل حيث قال الله تعالى لابراهيم عليه السلام:

«وابن الجارية (أي اسماعيل بن هاجر) أيضاً سأجعله أمّة لأنه نسلك»[٩].

فكيف يكون اسماعيل ابناً غير شرعي لابراهيم وقد بشّر الله تعالى بولادته وخصه ببركته؟

---

٦ ــ تكوين ١٦: ١-٣.

٧ ــ تكوين ١٦: ١١.

٨ ــ تكوين ١٦: ١٥-١٦.

٩ ــ تكوين ٢١: ١٣.

واذا كان اعتراضهم (أي علماء اليهود) على كون اسماعيل ابن الجارية وليس ابن السيدة ولذا ليس له نصيب في الإرث والبركة فماذا يقولون عن دان ونفتالي ابني يعقوب من بلهة جارية راحيل؟ أو جاد وأشير ابني يعقوب أيضاً من زلفة جارية ليئة؟ ومن المعلوم ان هؤلاء الأربعة (أي دان ونفتالي وجاد وأشير) معدودون من الأسباط الإثني عشر ذريّة يعقوب عليه السلام، فقد ورد في التوراة حول اقتران يعقوب ببلهة جارية راحيل وإنجابها له كُلاً من دان ونفتالي، ومن ثم اقترانه بزلفة جارية ليئة وإنجابها له كُلاً من جاد وأشير على أن ابن الجارية التي يتزوجها سيدها هو ابن شرعي له:

فقالت «راحيل» هوذا جاريتي بِلهة، ادخل عليها فتلد على ركبتي وأرزق أنا أيضاً منها بنين. فأعطته بِلْهة جاريتها زوجة. فدخل عليها يعقوب، فحبلت بلهة وولدت ليعقوب ابناً. فقالت راحيل قد قضى لي الله وسمع أيضاً لصوتي واعطاني ابناً. لذلك دعت اسمه داناً. وحبلت أيضاً بلهة جارية راحيل وولدت ابناً ثانياً ليعقوب. فقالت راحيل مصارعات الله قد صارعتُ اختي وغلبتُ. فدعت اسمه نفتالي.

ولما رأت ليئة[10] أنها توقّفت عن الولادة أخذت زلفة جاريتها وأعطتها ليعقوب زوجةً. فولدت زلفة جارية ليئة ليعقوب ابناً. فقالت ليئة بسعد. فدعت اسمه جاداً. وولدت زلفة جارية ليئة ابناً ثانياً ليعقوب. فقالت ليئة بغبطتي لأنه تغبطني بناتٌ. فدعت اسمه أشير»[11].

---

١٠ ــ اخت راحيل زوجة يعقوب الثانية.

١١ ــ تكوين ٣٠: ٣-١٣.

إذاً فكيف يعترف كتّاب بني اسرائيل وعلماؤهم بهؤلاء الأ بناء الأربعة أبناءً شرعيين ليعقوب وينكرون ذلك على اسماعيل الابن الشرعي لابراهيم مع إنَّ تسمية اسماعيل جاءت من قبل الله تعالى بينما تسمّى أولاد يعقوب من الجواري حسب رغبة زوجاته وأهوائهنّ؟

والعهد القديم يقول إنّ من ذريّة دانا بن بلهة جارية راحيل جاء شمشون الشهير في تاريخ بني اسرائيل حيث باركه الرب ومسحه بروح القدس منذ ولادته[١٢]، والذي قضى لبني اسرائيل عشرين سنة[١٣].

«ولما لم يوفق كتّاب التوراة وأسفار العهدين القديم والجديد ذوو النزعة العنصرية من إسقاط حق بنوّة اسماعيل لابراهيم (ع) فقد عمدوا وبإصرار الـى إسقاط البكورية عنه كونه ابن الجارية (هاجر) واسباغ هذا الحق لأخيه اسحاق كونه ابن السيدة (سارة) غافلين بذلك عن كونهم خالفوا بذلك أبسط قوانين الزوجية والبنوّة[١٤].

وقد أورد ابراهيم خليل احمد في كتابه «محمد في التوراة والانجيل والقرآن» دفاع الكاتب المنصف جيمس هيستنج عن حق البكورية لاسماعيل(ع) الذي قال: «لقد جانب التوفيق كتّاب سفر التكوين. أولئك الذين حاولوا أن يجعلوا نسل اسماعيل واستحقاقه لحقوق البكورية أقل مرتبة زعماً منهم أن انتماءه لأمّه هاجر يفقده حق البكورية، حيث يزعمون أن هاجر جارية سارة، وأن سارة هي الحرة، ومن ثم فإن البكورية لإسحاق ابن سارة الزوجة الحرة، وبهذا الصنيع فإنهم يغفلون

---

١٢ ــ انظر سفر القضاة ١٣ : ٢٤-٢٥.

١٣ ــ انظر سفر القضاة ١٦ : ٣١.

١٤ ــ ابراهيم خليل احمد، «محمد في التوراة والانجيل والقرآن» ص ٣٦.

قانون الاسرة الواضح والصريح المنصوص في التوراة في سفر التثنية، ووفقاً لهذا القانون فإن حقوق الإبن البكر لا يمكن اسقاطها بسبب الوضع الاجتماعي للأم، هذا الحق الشرعي قد بيّنه الناموس بالنسبة للرجل الذي يجمع في معيشته أكثر من زوجة، وحالة ابراهيم تنطبق عليها الشريعة[١٥].

ولإتمام الفائدة نثبت هنا النص التوراتي الذي ينص على حق البكورية عند بني اسرائيل:

«اذا كان لرجل امرأتان احداهما محبوبة والأخرىٰ مكروهة فولدتا له بنين المحبوبة والمكروهة. فإن كان الابن البكر للمكروهة. فيوم يَقْسِم لبنيه ما كان له لا يحلُّ له أن يُقَدِّم ابن المحبوبة بكراً على إبن المكروهة البكر، بل يعرف ابن المكروهة بكراً ليعطيه نصيب اثنين من كل ما يوجد عنده لأنه هو أول قدرته له حق البكورية»[١٦].

إن هذا النص التوراتي في حق الابن البكر بميراث أبيه يثبت بما لايدع مجالاً للشك حق البكورية لاسماعيل(ع) وأنَّ حظه يجب أن يكون أوفر من حظ أخيه إسحٰق في وراثة البركة الإلٰهية التي جعلها الله عز وجل لأبيهما ابراهيم عليه السلام.

وقد جاء في انجيل برنابا أن السيد المسيح عيسى بن مريم(ع) فنَّد إدعاءات اليهود التي كانوا يروجونها في زمانه كون بركة العهد الذي قطعه الله مع ابراهيم(ع) تخصهم وحدهم، وأن بني اسماعيل محرومون

---

١٥ ــ المصدر نفسه ص ٣٧. نقلاً عن James Hastings, OP. Git., P.626.

١٦ ــ سفر التثنية ٢١: ١٥-١٧.

منها. فقد سأله أحد تلامذته واسمه يعقوب قائلاً:

«يا معلم قل لنا بمن صُنع هذا العهد؟ فإن اليهود يقولون: باسحٰق» «والاسماعيليون يقولون باسماعيل».

أجاب عيسى: «ابن مَنْ كان داود ومن أي ذرية»؟

أجاب يعقوب: «من إسحٰق لأن إسحٰق كان أبا يعقوب ويعقوب كان أبا يهوذا الذي من ذريته داود».

فحينئذ قال عيسى: «ومتى جاء رسول الله فمن نسل من يكون»؟ أجاب التلاميذ: «من داود».

فأجاب عيسىٰ: «لا تغشوا أنفسكم لأنَّ داود يدعوه في الروح ربّاً قائلاً هكذا[17]: «قال الله لربي[18] اجلس عن يميني حتى أجعل أعداءك موطئاً لقدميك. يرسل الرب قضيبك الذي سيكون ذا سلطان في وسط أعدائك»[19].

ثم احتج عليهم قائلاً اذا كان داود(ع) يُعبِّر عن النبي المنتظر أنه سيده فلن يكون هذا الأخير من نسل داود، بل من نسل آخر، لأنه من غير المعقول أن ينادي الأب ابنه معبِّراً عنه بـ«سيدي» مهما علت درجة الابن وارتفع مقامه.

كما احتج عليهم السيد المسيح بقول الله لابراهيم: «خذ ابنك وحيدك الذي تحبه ...الخ»[20]، فلو أن إسحٰق هو المقصود في هذا النص

---

١٧ ــ مزمور: ١١٠ : ١-٢.

١٨ ــ أي لسيدي.

١٩ ــ انجيل برنابا ٤٣ : ٢٠-٢٩.

٢٠ ــ تكوين ٢٢ : ٢.

لما كان الله يُعبِّر بجانب اسحٰق بالإبن الوحيد، لأن اسماعيل هو الذي كان الإبن الوحيد لا براهيم قبل أن يولد إسحٰق[٢١].

وبهذا الاستدلال الذي استدل به عيسىٰ بن مريم(ع) يتبيّن لنا ان الابن الذي امتُحِن ابراهيم بذبحه اظهاراً لإخلاصه وطاعته لله هو اسماعيل وليس اسحٰق، حيث عُبِّر عنه بـ«ابنك وحيدك» وكما بيّنا سابقاً فإن اسماعيل الذي كان الابن الوحيد لابراهيم وذلك قبل ولادة أخيه اسحٰق بثلاثة عشر عاماً، كما تصرح بذلك التوراة. وقد جاء في التوراة حول قصة امتحان الله تعالى لابراهيم(ع) بذبح ابنه الوحيد ما نصه:

«وحدث بعد هذه الأمور أنَّ الله امتحن ابراهيم. فقال له يا ابراهيم، فقال هانذا. فقال خذ ابنك وحيدك الذي تُحبُّهُ اسحٰق واذهب الى أرض المُريّا واصعده هناك محرقةً على أحد الجبال الذي أقول لك. فبكّر ابراهيم صباحاً وشدَّ على حماره وأخذ اثنين من غلمانه معه واسحٰق ابنه وشقَّق حطباً لمحرقة وقام وذهب الى الموضع الذي قال له الله، وفي اليوم الثالث رفع ابراهيم عينيه وأبصر الموضع من بعيد. فقال ابراهيم لغلاميه اجلسا أنتما ها هنا مع الحمار. وأمّا أنا والغلام فنذهب الى هناك ونسجد ثم نرجع إليكما. فأخذ ابراهيم حطب المحرقة ووضعه على اسحٰق ابنه وأخذ بيده النار والسكين. فذهبا كلاهما معاً وكلّم اسحٰق ابراهيم أباه وقال يا أبي. فقال لبّيك يا بني. فقال هوذا النار والحطب ولكن أين الخروف للمحرقة. فقال ابراهيم الله يرى له الخروف

---

٢١ ــ انظر انجيل برنابا: ٤٤: ١ - ١١.

للمحرقة يا بني. فذهبا كلاهما معاً. فلمَّا أتيا الى الموضع الذي قال له الله بنىٰ هناك ابراهيم المذبح ورتّب الحطب وربط اسحٰق ابنه ووضعه على المذبح فوق الحطب. ثم مدَّ ابراهيم يده وأخذ السكين ليذبح ابنه. فناداه ملاك الرب من السماء وقال ابراهيم، ابراهيم. فقال هانذا. فقال لا تمدَّ يدك الى الغلام ولا تفعل به شيئاً. لأني الآن علمت أنك خائفٌ الله فلم تمسك ابنك وحيدك عني. فرفع ابراهيم عينيه ونظر وإذا كبش وراءه مُمسَكاً في الغابة بقرنيه. فذهب ابراهيم وأخذ الكبش وأصعده محرقة عوضاً عن ابنه. فدعىٰ ابراهيم اسم ذلك الموضع يَهْوَه يِرْأه. حتى أنه يقال اليوم في جبل الربّ يُرَىٰ.

ونادى ملاك الرب ابراهيم ثانية من السماء وقال بذاتي أقسمت يقول الرب. إني من أجل أنك فعلت هذا الأمر ولم تمسك ابنك وحيدك أباركك مباركة وأكثر نسلك تكثيراً كنجوم السماء وكالرمل الذي على شاطىء البحر. ويرث نسلك باب أعدائه. ويتبارك في نسلك جميع أمم الأرض. من أجل أنك سمعت لقولي»[٢٢].

لم تسلم قصة تضحية ابراهيم بفلذة كبده وابنه الوحيد والبكر اسماعيل من يد التحريف الأثيمة لكتبة اليهود وعلمائهم الذين لم يتورعوا على مرِّ السنين عن قلب الحقائق الموجودة في التوراة وحرفها عن مسارها حسب ما أملته عليهم أهواؤهم ورغباتهم الدنيئة. فعلىٰ الرغم من التأكيد الذي ورد في التوراة وفي ثلاثة مواضع من هذا النص على أن الإبن الذي ضحّى به ابراهيم كان ابنه الوحيد الذي كان يُحبُّه كثيراً

---

٢٢ ــ تكوين ٢٢: ١ ـ ١٨.

نظراً لعدم وجود أخ ثانٍ له يتقاسم معه حبَّ أبيه، إلا أنَّ كتبة التوراة، وإمعاناً منهم في تحريف هذا النص التوراتي الذي يُظهر المقام الرفيع لهذا الابن الوحيد لابراهيم والمباركة العظيمة التي خصه الله بها، قد عمدوا الى إقحام اسم اسحٰق جدِّهم في هذا النص الى جانب عبارة «ابنك وحيدك الذي تحبُّه» وذلك إبعاداً لاسماعيل، جدّ العرب الذي سيكون منه خاتم الأنبياء والمرسلين، عن هذه الدرجة الرفيعة التي نالها من الله نتيجة تسليمه لأمر الله وقبوله التضحية بنفسه إطاعة له واستجابة لإرادته.

وقد سبق وأثبتنا في هذا الفصل أنَّ اسماعيل ـ عليه السلام ـ هو الابن البكر لابراهيم ـ عليه السلام ـ حيث بقي وحيداً لأبيه مدة أربعة عشر عاماً تقريباً قبل ان يولد اسحٰق ـ عليه السلام ـ. ولذا فإنَّ إضافة اسم «اسحٰق» بعد عبارة «ابنك وحيدك الذي تُحبُّه» هو تحريف واضح.

أمّا حبّ ابراهيم لابنه اسماعيل فهو مِمّا لا جدال فيه، حيث إنَّ اسماعيل هو الابن البكر لابراهيم الذي رزقه على الكبر بعد أن كاد يقطع الأمل في أن تكون له ذرية ترثه. وكما بيّنا سابقاً أن اسماعيل بقي الابن الوحيد لابراهيم مدّة أربعة عشر عاماً قبل أن يولد اسحٰق اخوه. وحبُّ الوالد لابنه البكر والوحيد شيء طبيعي مما لا يحتاج الى دليل. والدليل واضح في التوراة على حبِّ ابراهيم العظيم لابنه اسماعيل، فما إن طلبت سارة منه أن يطرد هاجر وابنها اسماعيل حتى «قبح الكلام جداً في عيني ابراهيم لسبب ابنه»[٢٣]. وظاهر من هذه

---

٢٣ ــ تكوين ٢١ : ١١.

العبارة أنَّ ابراهيم كان يحب ابنه اسماعيل حبّاً عظيماً وإلا لما كان قبح كلام سارة في عينيه. ولما وعده الله بالبركة في اسحٰق تأجّج الحبُّ في قلبه لابنه اسماعيل وقال متوسلاً الى الله: «ليت اسماعيل يعيش أمامك» أي في طاعتك ودعوة الناس الى طاعتك وعبادتك. فأجابه الله الى طلبه ووعده بالبركه أيضاً في اسماعيل.

كما لجأوا، بعد تحريفهم لاسم الابن المضحّى به، الى تحريف اسم المكان الذي جرت عليه واقعة التضحية والفداء. وفي هذا يقول الدكتور السقّا في كتابه «نبي الاسلام في التوراة والانجيل» في معرض حديثه عن تحريف هذا النص: «وَضْعهُ (أي كاتب التوراة) لفظ «المريا» لمكان المذبح، ومريا في بلاد الشام، وهو لم يُعَيَّن مكاناً مُقدّساً إلا بعد زمن داود (ع) أي بعد إبراهيم بألف عام تقريباً. وقول الكاتب: «حتى أنه يقال اليوم: في جبل الرب يُرىٰ» يدل على أن التوراة محرفة ومكتوبة بعد زمان داود وسليمان ـ عليهما السلام ـ لأن جبل الرب الذي هو موضع هيكل سليمان في أورشليم ـ كما يقول العبرانيون ـ لم يُعَيَّن قبلة، ولم يُسَمَّ بجبل الرب إلا في عهد داود. وقد اختلفوا في المكان الذي يدّعون ان اسحٰق قُدّم فيه ضحية فقالوا إنه «مريا: الجبل الذي بنى سليمان عليه الهيكل في أورشليم» (أخبار الأيام الثاني ٣: ١) وكان في القسم الشرقي من المدينة ويشرف على وادي قدرون[٢٤]، غير انَّ التقليد السامري يقول: إن موضع الذبح لإسحٰق كان علىٰ جبل جرزيم... واختلافهم هذا دليل على لبس الحق بالباطل.

---

٢٤ ــ الدكتور جورج بوست في قاموس الكتاب المقدس.

ثم يتابع الدكتور السقّا قائلاً: «والصحيح أن مكان الذبح في مكة المكرمة لأسباب منها:

١ ــ أن هاجر أخذت ولدها، وأسكنته برية فاران.

٢ ــ أن الذبح حصل للابن البكر لأن الكاتب عبَّر عن الذبيح بالابن البكر، وحيث أن الابن البكر هو اسماعيل، فإن موضع الذبح يكون مكان سكنى اسماعيل: وهو بريّة فاران.

٣ ــ في ترجمة ١٦٢٢م (في دار الكتب المصرية ـ لاهوت ٦٩١ أو ٣١٥) ترجم الكاتب لفظ «مريا» بأرض العبادة هكذا: «والله امتحن لابراهيم وقال له يا ابراهيم. وقال: نعم. وقال: خذ الآن ولدك وحيدك الذي أحببت ليصحق، وامض الى أرض العبادة» وفي الترجمة السامرية «الأرض المرشدة» بدل «مريا» وهذا يعني أن أرضاً للعبادة معلومة ومعروفة قد وقع الأمر بالذبح فيها، وحيث إنَّ بلاد الشام لم تُعيَّن أرض عبادة إلا في عهد داود سنة الف وست وخمسين من قبل الميلاد فإن الأرض التي كانت في زمن ابراهيم ومن قبله هي الأولىٰ بالمكان[٢٥]. وفي ذلك يقول الله تعالى: «إن أوَّل بيت وضع للناس للذي ببكة مباركاً وهدىً للعالمين»[٢٦].

وما إن شرع ابراهيم ـ عليه السلام ـ بذبح ابنه الوحيد اسماعيل الذي ملأ حبُّه قلبه امتثالاً لأمر الله عزَّ وجلَّ حتى ظهرت للعالمين عظمة إخلاص وإيمان الأب المُضحّي بابنه والابن المُضحّىٰ به الذي افتداه الله بكبش عظيم، وعندها نادىٰ ملاك الرب من السماء ابراهيم ليؤكد

---

٢٥ ــ الدكتور احمد حجازي السقّا: «البشارة بنبي الاسلام في التوراة والانجيل» ج ١/٩٥.

٢٦ ــ سورة آل عمران: ٩٦.

له الوعد الذي وعده الله إيّاه من قبل فقال له :

«وقال بذاتي أقسمت، يقول الرب. إني من أجل أنك فعلت هذا الأمر ولم تمسك ابنك وحيدك. أباركك مباركة وأكثر نسلك تكثيراً كنجوم السماء وكالرمل الذي على شاطىء البحر. ويرث نسلك باب أعدائه. ويتبارك في نسلك جميع أمم الأرض»[٢٧].

ومعلوم من هذاالنص التوراتي أن مباركة الله تعالى لابراهيم ـ عليه السلام ـ ووعده له جاءا نتيجة لاخلاصه وتضحياته في سبيل الله. وكذلك الأمر فإن البركة الالٰهية العظيمة قد تأكدت بدون شك لاسماعيل الذي بلغ بتقديمه نفسه ذبيحة لله قمة التضحية والفداء.

وهذا ما جعل اليهود يحرّفون النص التوراتي ويمحون منه اسم اسماعيل ليضعوا مكانه اسم أخيه اسحٰق وذلك ليقينهم أن البركة حاصلة للإبن الذي ضحى بنفسه، وهذا حسداً من عند أنفسهم ليوهموا الناس أن الذي جاد بنفسه هو اسحٰق وليس اسماعيل الذي ستكون منه أمّة عظيمة كما وعد الله تعالى.

نصيب كل من اسماعيل واسحاق من بركة أبيهم ابراهيم(ع)

ورث كل من اسماعيل واسحاق بركة أبيهم ابراهيم التي باركه الله بها. ولم تنص التوراة على حرمان اسماعيل منها. فقد ورد في التوراة أن الله تعالى قال في حق اسماعيل :

«أباركه وأثمّره، وأكثّره كثيراً جداً، اثني عشر رئيساً يلد

---

٢٧ ــ تكوين ٢٢ : ١٦-١٨.

وأجعله أمّة كبيرة»[٢٨].

ولمّا رأت سارة ـ حسب زعم التوراة ـ أن تحرم اسماعيل من بركة أبيه كي يستأثر ابنها اسحاق بها، قالت لابراهيم: ابن هاجر لا يرث البركة منك، كما يرث ابني اسحاق، فقال الله لابراهيم: «باسحٰق يُدعى لك نسل، وابن الجارية أيضاً، ساجعله امّة لانه نسلك»[٢٩].

وواضح من هذا النص أنّ الله تعالى قد خص كلاً من اسحاق واسماعيل قسماً من البركة التي بارك بها أباهما ابراهيم ـ عليه السلام ـ ولم يفرق بين أحد منهما من ناحية نوع البركة التي تعني النبوة والملك. وهذا ما يفهم من وعد الله تعالى لابراهيم في التوراة حيث قال له:

«ولما كان أبـــرام ابن تسع وتسعين سنة ظهر الرب لأ برام وقال له أنا الله القدير. سر أمامي وكن كاملاً. فأجعل عهدي بيني وبينك وأكثرك كثيراً جداً. فسقط أبرام على وجهه. وتكلم الله معه قائلاً. أمّا أنا فهوذا عهدي معك وتكون أباً لجمهور من الأمم. فلا يُدعىٰ اسمك بعدُ أبرام بل يكون اسمك ابراهيم. لأني أجعلك أباً لجمهور من الأمم. وأثمرك كثيراً جداً وأجعلك أمماً. وملوكٌ منك يخرجون. وأُقيمُ عهدي بيني وبينك وبين نسلك من بعدك في أجيالهم عهداً أبدياً. (...) وقال الله لابراهيم وأمّا أنت فتحفظ عهدي. أنت ونسلك من بعدك في أجيالهم. هذا هو عهدي الذي تحفظونه بيني وبينكم وبين نسلك من بعدك. يُختن منكم كل ذكرٍ. فتُختنون في لحم غرلتكم. فيكون علامة عهدٍ بيني

---

٢٨ ــ تكوين ١٧: ٢٠.

٢٩ ــ تكوين ٢١: ١٢-١٣.

وبينكم[٣٠]».

«فأخذ ابراهيم اسمعيل ابنه وجميع ولدان بيته وجميع المبتاعين بفضته كل ذكر من أهل بيت ابراهيم وختن لحم غرلتهم في ذلك اليوم عينه كما كلّمه الله. وكان ابراهيم ابن تسع وتسعين سنة حين خُتِنَ في لحم غرلته. وكان اسماعيل ابنه ابن ثلاث عشرة سنة حين خُتِنَ في لحم غرلته. في ذلك اليوم عينه خُتِنَ ابراهيم واسمٰعيل ابنه»[٣١].

يتضمن هذا النص العهد الذي جعله الله بينه وبين ابراهيم ونسله وأتباعه، وهو عهد الختان الذي أمر الله به ابراهيم ـ عليه السلام ـ. وحسب هذا النص فإن أوّل من تحقق به هذا العهد هو اسماعيل ـ عليه السلام ـ وذلك قبل أن يولد اخوه اسحاق.

ثم هناك مباركة الله تعالى لابراهيم وذلك بأن يجعله أباً لجمهور من الأمم. وليس المقصود هنا بجعله أباً لجمهور من الأمم أن تخرج هذه الأمم من صلبه بل أن يكون لها علم هُدىً وقُدوة في السير الى الله تعالى والإخلاص له. وقد عبّر الله تعالى عن هذا الوعد لابراهيم في القرآن الكريم فقال له: «واذ ابتلى ابراهيمَ ربُّهُ بكلماتٍ فأتمهن. قال إني جاعلُك للناس إماماً. قال ومن ذريتي. قال لا ينالُ عهدي الظالمين»[٣٢].

فالمقصود من عبارة التوراة بأن يجعل اللهُ ابراهيم أباً لجمهور من الأمم هو أن يجعله لهم إماماً يقتدون به في سيرهم الى الله تعالى. وأيضاً فإنه الوعد له من الله تعالى أن يكون من نسله أنبياء وأئمة يدعون الناس

---

٣٠ ــ تكوين ١٧ : ١-١١.

٣١ ــ تكوين ١٧ : ٢٣-٢٦.

٣٢ ــ قرآن: سورة البقرة ١٢٤.

الى طاعة الله وعبادته.

وشاء الله تعالى أن يجعل بركته لابراهيم في كل من اسماعيل واسحاق، بحيث تكون بركة كل منهما متكاملة ومتضافرة مع بركة الآخر وذلك في سبيل تحقيق هدف واحد وهو هداية البشرية الى عبادة الله وحده وطاعته ونبذ عبادة الأوثان.

فأمّا البركة التي خُصَّ بها اسحاق ـ عليه السلام ـ فهي بأن جعل الله تعالى من أبنائه عدداً كبيراً من الأنبياء والدعاة الى الله كان أعظمهم قدراً وأرفعهم مقاماً نبي الله موسى ـ عليه السلام ـ صاحب الشريعة، وآخرهم نبي الله عيسى بن مريم ـ عليه السلام ـ ولكن نظراً للإنحرافات المتكررة لبني اسرائيل ولقتلهم أنبياء الله والخروج عن طاعتهم فقد زالت البركة من بني إسحاق الى الأبد. ففي سفر النبي حزقيال، يقول الله تعالى: «إن بيت إسرائيل لما سكنوا أرضهم نجّسوها بطريقهم وبأفعالهم. كانت طريقهم أمامي كنجاسة الطامث. فسكبت غضبي عليهم لأجل الدم الذي سفكوه على الأرض وبأصنامهم نجّسوها. فبدّدتهم في الأمم، فتذرّوا في الأراضي. كطريقهم وكأفعالهم دنتُهم. فلما جاءوا الى الأمم حيث جاءوا نجّسُوا اسمي القدُّوس»[٣٣].

ويصرخ السيد المسيح ـ عليه السلام ـ في بني اسرائيل منذراً إياهم بان هيكل سليمان عنوان النبوة فيهم سيُهدم ويُخرَّب لأنهم انحرفوا عن دين الله ولم يحفظوا عهده معهم، فقال:

«يا أورشليم، يا أورشليم، يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين اليها.

---

٣٣ ــ حزقيال ٣٦: ١٧-٢٠.

كم مرّة أردت أن أجمع أولادك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها ولم تريدوا. هوذا بيتكم يترك لكم خراباً»[٣٤].

ومن كلام عيسى ـ عليه السلام ـ هذا يُفهم بأن بركة النبوّة والرسالة قد زالت من بني اسرائيل الى الأبد. وكان عليه السلام قد أخبرهم بأن هذه البركة ـ أي بركة النبوّة والرسالة ـ تُنزع منهم لأنهم لم يكونوا أُمناء بحملها وتُسلَّم لبني اسماعيل الذين لم يكونوا يحسبون لهم حساباً، فقال لهم:

«أما قرأتم قط في الكتب. الحجر الذي رفضه البنّاؤون هو قد صار رأس الزاوية، من قِبَلِ الربِّ كان هذا وهو عجيب في أعيننا. لذلك أقول لكم إنَّ ملكوت الله يُنزع منكم ويُعطى لأمة تعمل أثماره. ومن سقط على هذا الحجر يترضَّض ومن سقط هو عليه يسحقه»[٣٥].

ومعلوم أن مقصوده بـ«الحجر الذي رفضه البنّاؤون» هو اسماعيل ـ عليه السلام ـ ونسله. والبنّاؤون هم كتبة بني اسرائيل وعلماؤهم. وكون الحجر المرفوض (أي اسماعيل ونسله) أصبح رأس الزاوية أي الحجر الأساس في بناء النبوّة والرسالة، وهذا كان من قِبَلِ الله عزَّ وجل كما صرَّح به آخر أنبياء بني اسرائيل عيسى ـ عليه السلام ـ.

ثم قوله لهم «إن ملكوت الله يُنزع منكم ويُعطى لأمّة تعمل أثماره» يعني أن الله تعالى ينزع منكم بركة النبوّة والرسالة ويُعطيها لأمّة غيركم تكون أكثر إخلاصاً ووفاء لله منكم. وهذا قد تحقق في إرسال الله تعالى لرسوله محمد ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ من نسل اسماعيل

---

٣٤ ــ انجيل متى ٢١: ٣٧-٣٨.

٣٥ ــ متى ٢١: ٤٢-٤٣.

وظهور أمّة الاسلام.

ويتبيّن لمن يطالع التوراة اليوم أن بركة الأمم لم تتحقق في نسل ابراهيم لأن بني اسرائيل يقولون إن شريعة موسىٰ خاصة بهم وللغريب المقيم في وسطهم فقط. ففي سفر العدد: «مثلكم يكون مثل الغريب أمام الربّ. شريعة واحدة وحكم واحد يكون لكم وللغريب النازل عندكم»[٣٦].

وهذا يعني أن الرسالة التي حملها موسى(ع) جاءت خاصة بقومه من دون الأمم. وعلى ذلك فلم يتحقق وعد الله لابراهيم بمباركة جميع الأمم من نسله.

وكذلك الأمر بالنسبة للمسيح(ع) الذي أعلن أنه لم يُرسل إلا الى خراف بني اسرائيل الضالّة[٣٧]. كما إنه قد أوصى تلاميذه بأن لايذهبوا الى الأمم وأن مهمتهم مقتصرة على بني اسرائيل، فقال لهم: «الى طريق الأمم لا تمضوا والى مدينة للسامريين لا تدخلوا، بل اذهبوا بالحري الى خراف بيت اسرائيل الضالة»[٣٨].

وليس الأمر كما تدّعيه النصارى من أن وعد الله لابراهيم يجعل جميع الأمم تتبارك من نسله قد تحقق عندما خاطب المسيحُ اللهَ متحدثاً عن تلاميذه: «كما أرسلتني الى العالم، أرسلتهم أنا الى العالم»[٣٩]. فالمسيح(ع) لم يأت بشريعة جديدة مغايرة لشريعة موسى(ع) إنما جاء

---

٣٦ ــ سفر العدد ١٥: ١٥-١٦.

٣٧ ــ «فاجاب وقال لم أرسل الا الى خراف بني اسرائيل الضالّة» (متى ١٥: ٢٤).

٣٨ ــ انجيل متى ١٠: ٥-٦.

٣٩ ــ انجيل يوحنا ١٧: ١٨.

ليؤكدها في بني اسرائيل[٤٠] وليبشر بالنبي المنتظر محمد(ص) الذي أرسله الله تعالى من بعد عيسى(ع) برسالة الاسلام للناس جميعاً وليس لقوم دون قوم، ولذلك كلف عيسى(ع) تلاميذه بأن يذهبوا ليبشروا الأمم بقدوم النبي الجديد حاملاً لشريعة الله الخاتمة لجميع الشرائع والشاملة لجميع ما يحتاج اليه الانسان.

وبذلك يتبيّن لنا أن بركة الله في اسحاق ونسله كانت مرحلية محدودة حيث جعل الله تعالى سلسلة من الأنبياء من نسل اسحاق(ع) ليمهدُّوا الطريق ويهيئوا العقل الانساني لاستقبال رسالته النهائية للناس جميعاً والتي سيحملها لهم خاتم أنبيائه ورسله محمد حفيد اسماعيل ـ عليهما الصلاة والسلام ـ.

ـ مباركة الله تعالى لاسماعيل (ع):

لقد جعل الله تعالى، كما أوضحنا سابقاً، البركة في اسحاق وأحفاده من بني اسرائيل مرحلية وليست أبديّة كما يزعمون. وقد أكد موسى(ع) لقومه هذا المعنى موضحاً لهم أنهم لن يستقيموا بعده وسينحرفون ويغضبون الله في آخر أيامهم، فقال لهم:

«خذوا كتاب التوراة هذا وضعوه بجانب تابوت عهد الربِّ إلٰهكم ليكون هناك شاهداً عليكم. لأني أنا عارف تمردكم ورقابكم الصلبة. هوذا وأنا بعد حيٌّ معكم اليوم قد صرتم تقاومون الربَّ فكم بالحري بعد موتي. اجمعوا إليَّ كل شيوخ أسباطكم وعرفاءكم لأنطق في مسامعهم

---

٤٠ ـ «لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء. ما جئت لأنقض بل لأكمل» (متى ٥: ١٧).

بهذه الكلمات وأُشهد عليهم السماء والأرض. لأني عارف أنكم بعد موتي تفسدون وتزيغون عن الطريق الذي أوصيتكم به ويصيبكم الشرُّ في آخر الأيام لأنكم تعملون الشرَّ أمام الرب حتى تُغيظوه بأعمال أيديكم»[41].

وبإضافة هذا القول لموسى(ع) وهو أول نبي مرسل لهم الى ما قاله الله تعالى لهم على لسان نبيّه حزقيال(ع) بأنهم نجسُّوا الأرض ونجسُّوا اسم الله في الأمم[42]، وأيضاً ما قاله لهم آخر نبي مرسل إليهم وهو عيسى المسيح(ع) الذي أكد لهم محذراً وموبخاً بأن هيكلهم الذي هو رمز النبوّة عندهم سوف يُخرَّب لأنهم خالفوا الله وقتلوا أنبياءه ورسله، فإن ذلك يدلُّ على زوال البركة منهم، لذا فإن وعد الله لابراهيم بأن يجعل جميع الأمم تتبارك بنسله لم يتحقق عن طريق بني اسرائيل ولكنه تحقق عن طريق اسماعيل(ع) الذي قدَّمه والده ابراهيم للذبح امتثالاً لأمر الله تعالى كما برهنا على ذلك سابقاً. ولكن الله افتداه بكبش عظيم وأوحى الى ابراهيم(ع) قائلاً: «إني من أجل أنك فعلت هذا الأمر ولم تمسك ابنك وحيدك، أباركك مباركة وأكثّر نسلك تكثيراً كنجوم السماء وكالرمل الذي على شاطىء البحر. ويرث نسلك باب أعدائه. وتتبارك في نسلك جميع أمم الأرض»[43].

ومن المعلوم أن بني اسرائيل لم يكثر عددهم كثيراً ولم يصبح كنجوم السماء أو كالرمل الذي على شاطىء البحر فهم ونحن في نهاية

---

٤١ ــ سفر التثنية ٣١: ٢٦-٢٩.

٤٢ ــ حزقيال ٣٦: ١٧-٢٠.

٤٣ ـ تكوين ٢٢: ١٦ ـ ١٨.

القرن العشرين لم يتجاوز عددهم الخمسة عشر مليوناً، بينما بنو اسماعيل وحدهم يتخطى عددهم المئتي مليون، أما إذا ما أخذنا بعين الاعتبار الامة الاسلامية التي هي أمة محمد رسول الله(ص) حفيد اسماعيل(ع) فإن عـــدد أفرادها اليوم تجاوز المليار مسلم. وعليه فان هذا الوعد الالهي يخص اسماعيل(ع) حيث تتبارك جميع امم الارض بنسله. فما هي هذه البركة التي خص الله تعالى بها اسماعيل(ع)؟

لما بشّـر الله تعالى ابراهيم بابنه الثاني اسحاق وعده بأن يباركه ويجعل من نسله رؤساءً وملوكاً. وقد فَسّر علماء بني اسرائيل ذلك بأن بركة اسحاق هي حيث جعل الله في نسله النبوّة والملك، فكان من نسله موسىٰ(ع) وبقيّة أنبياء بني اسرائيل وملوكهم. وما إن سمع ابراهيم(ع) بالبشارة بإبنه اسحاق ومباركة الله له حتى سقط على وجهه وقال مخاطباً الله تعالى ومتوسلاً اليه: «ليت اسماعيل يعيش أمامك»[٤٤] أي يعيش تحت ظلك وفي كنفك ويدعو الناس الى عبادتك وطاعتك فاستجاب الله لابراهيم وخاطبه بشأن اسماعيل قائلاً:

«وأما اسماعيل فقد سمعت لك فيه. ها أنا أباركه وأثمره وأكثره كثيراً جداً. اثني عشر رئيساً يلد وأجعله أمّة كبيرة»[٤٥].

يُلاحظ في هذا النص التوراتي أن الله سبحانه وتعالى قد جعل في مباركته هذه لاسماعيل(ع) ثلاث بركات متتالية ومترابطة مع بعضها البعض بحيث تشكل وحدة لا تنفك ولا تنفصم. هذه البركات الثلاث هي:

---

٤٤ ــ تكوين ١٧: ١٨.

٤٥ ــ تكوين ١٧: ٢٠.

ـ أباركه وأثمّره وأكثره كثيراً جداً.
ـ اثني عشر رئيساً يلد.
ـ أجعله أمّة كبيرة.

ولكي تتبيّن ماهية كل من هذه البركات الثلاث علينا أن ندرسها هنا بشيء من التفصيل:

١ ـ أباركه وأثمّره وأكثره كثيراً جداً:

لقد تحققت بركة اسماعيل(ع) هذه بأن جعل الله تعالىٰ من نسله خاتمَ الأنبياء والمرسلين، وهو حفيده محمد(ص)، الذي أرسله برسالة الاسلام للناس جميعاً، فآمن به وبرسالته عدد كبير من الناس من مختلف الشعوب والأمم. وما زال عدد المؤمنين برسالة الاسلام التي حملها محمد (ص) حفيد اسماعيل (ع) يتزايد باستمرار على مرّ الأيام والسنين وسيستمر ذلك إلىٰ يوم القيامة بإذن الله. فهي كثرة مباركة يتمحور فيها هذا العدد الكبير من الناس حول حفيد اسماعيل(ع) محمد(ص) الذي حمل إليهم الرسالة الالٰهية الخاتمة والكاملة وذلك لإنقاذهم من ظلمات الضلالة والإنحراف وليعبدوا الله وحده لا يشركون به أحداً.

وليس المقصود من بركة اسماعيل(ع) هو تكثير نسله من حيث العدد فقط، ولكن القصد منها هو تكثير العدد والهداية، وإلّا فحاشا لله أن يبارك من يرضىٰ بالعيش في ظلمات الشرك والجهل وعبادة الأصنام كما كان هذا حال القبائل العربية قبل الاسلام والمنحدرة من نسل اسماعيل(ع).

وكما فهم علماء اليهود من مباركة الله تعالىٰ لاسحاق(ع) التي جاء فيها : «وقال الله لابراهيم : ساراي امرأتك لا تدعو اسمها ساراي ، بل اسمها سارة ، وأباركها وأعطيك أيضاً منها ابناً ، أباركها فتكون أمماً وملوكَ شعوب منها يكونون» (تكوين ١٧ : ١٥ ـ ١٦) أنه سيكون في نسل اسحاق نبوةً ومُلكاً . كذلك يمكن لنا أن نفهم من مباركة الله تعالىٰ لاسماعيل(ع) التي جاء فيها : «وأمّا اسماعيل فقد سمعتُ لك فيه . ها أنا أباركه وأثمرُهُ وأكثِرُهُ كثيراً جداً . اثني عشر رئيساً يلد وأجعله أمّة عظيمة» (تكوين ١٧ : ٢٠) بأنه سيكون في نسل اسماعيل أيضاً نبوّةً ومُلكاً ، لأن النصّيْن متشابهان لا فرق بينهما .

إذاً وكما إن بركة اسحاق(ع) قد تحققت بظهور أنبياء من نسله وعلىٰ رأسهم موسىٰ(ع) صاحب الشريعة الإلٰهية إلىٰ بني اسرائيل ، فإن بركة اسماعيل(ع) قد تحققت بظهور حفيده محمد(ص) حامل الرسالة الإلٰهية الخاتمة للناس جميعاً .

ولإتمام الفائدة نشير هنا إلىٰ أن الكثير من علماء أهل الكتاب ، العارفين باللغة العبرية ، ذكروا أن اسم (محمد (ص) قد ورد في سياق بركة اسماعيل(ع) بحساب «الجمل» . ومن هؤلاء العلماء نذكر صاحب كتاب «أنيس الأعلام في نصرة الاسلام» المرحوم محمد صادق الملقب بـ «فخر الاسلام» والذي اعتنق الاسلام بعد أن كان قسيساً مسيحياً من الفرقة النسطورية في مدينة أرومية في شمال غرب إيران ، وقد توفي حوالي سنة ١٣٣٠ للهجرة النبوية المباركة . فقد ذكر هذا العلاّمة في كتابه المذكور أعلاه حول ورود اسم رسول الله محمد(ص) في سياق بركة اسماعيل(ع) بحساب «الجمل» ما ملخصه :

إن مباركة الله تعالىٰ لاسماعيل(ع) الواردة في الفقرة(٢٠) من الفصل السابع عشر من سفر التكوين قد تضمنت اسم رسول الله محمد ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ حفيد اسماعيل(ع). ثم أورد النص العبري لهذه المباركة كما يلي:

«وَلِيَشْمعيل شَمعتخ هنيّ بريختي أتود هَفْرتي. أتو بماد ماد. شينم اسار نسيإمْ يوليد. واناتيتوا لغوى غدول». وقد قام بترجمة هذا النص العبري إلىٰ الفارسية كما يلي: دعاى تو را در حق اسماعيل شنيدم اينك او را بركت دادم واو را بارور و بزرك كردانيده بمادماد ودوازده امام كه از نسل او خواهد بود واو را امت عظيمي خواهم نمود»[٤٦].

والمعنىٰ بالعربية هو: «لقد سمعت دعاءك بخصوص اسماعيل. ها أنا أباركه وأثمره وأجعله كبيراً (أو عظيماً) بمادماد واثني عشر إماماً يكونون من نسله. وسيكون أمة عظيمة».

ثم قال ـ رحمه الله ـ حول ورود اسم رسول الله محمد (ص) في نص مباركة اسماعيل(ع): «لقد ورد اسم رسول الله محمد (ص) في موضعين من هذا النص التوراتي حيث يمكن استخراجه عن طريق حساب الجمل الشائع عند علماء اليهود.

«ففي المرة الأولىٰ جاء ذكر اسم رسول الله محمد (ص) بلفظ «بمادماد» والتي تعني «كثيراً جداً». وفي حساب الجمل فإن كلمة «بمادماد» تساوي العدد ٩٢ وذلك كما يلي:

ب=٢، م=٤٠، أ=١، د=٤، م=٤٠، أ=١، د=٤.

---

٤٦ ــ انيس الأعلام في نصرة الاسلام ج ٥/٦٩.

فيكون المجموع = ٩٢. وكذلك إن اسم «محمد» يساوي بحساب الجمل العدد ٩٢ كما يلي:

م = ٤٠، ح = ٨، م = ٤٠، د = ٤. فيكون المجموع = ٩٢.

«أما الموضع الثاني في هذا النص الذي يمكن استخراج اسم «محمد» (ص) منه فهي عبارة «لغوى غدول» التي تعني «أمّة عظيمة» حيث أن: اللام عند اليهود = ٣٠، والغين = ٣ وهي في موقع الجيم لأنه لا يوجد حرف جيم في اللغة العبرية. والواو = ٦، والياء = ١٠، والغين الثانية = ٣، والدال = ٤، والواو = ٦، واللام = ٣٠ فيكون المجموع ٩٢ وهو عدد حساب حروف «محمد» (ص).

«فإذا احتج أحدهم بأن حرف الباء في كلمة «بمادماد» هو حرف جرٌّ وليس من أصل الكلمة، ولذا فإن حساب كلمة «مادماد» هو ٩٠، وهذا مخالف لحساب حروف «محمد» الذي هو ٩٢.

«فإننا نجيب بأنه معروف وشائع عند أدباء اليهود أنه إذا اجتمع في أول الكلمة باءان، أحدهما ليست من أصل الكلمة والثانية من أصلها، فإنَّ الباء الأولىٰ التي ليست من أصل الكلمة تُحذف ويُبقىٰ علىٰ الباء التي هي من الأصل. وهذا أمر شائع عندهم. وكل إنسان لديه إطلاع في الأدب اليهودي لابد أن يلاحظ أمثلة كثيرة من هذا القبيل في كتبهم». انتهى كلامه ملخصاً[٤٧].

وقد أشار الى هذا المعنى غير واحد من علماء اليهود مؤكدين على أن اسم رسول الله «محمد» (ص) قد ورد مرتين في النص التوراتي الخاص

---

٤٧ ــ أنيس الأعلام في نصرة الاسلام، ج ٥/ ٦٩-٧٠.

بمباركة الله تعالى لاسماعيل(ع) والذي ذكرناه سابقاً. وقالوا إنَّ عبارة (كثيراً جداً) العربية جاءت ترجمة لكلمة (بمادماد) في النص العبري لهذه البشارة. وكذلك الأمر بالنسبة لعبارة (أُمة كبيرة) التي جاءت ترجمة للعبارة العبرية في النص (لغوى غدول). وأنَّ كلاً من هاتين العبارتين (بمادماد) و (لغوى غدول) بحساب الجمل تساوي حساب حروف «محمد».

وللفائدة نذكر ما قاله العالم اليهودي شموئيل بن يهوذا بن أيوب[٤٨] بهذا الخصوص في كتابه «بذل المجهود في إفحام اليهود» تحت عنوان الإشارة إلىٰ اسمه صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم ما نصه:

«قال الله تعالى في الجزء الثالث من السفر الأول من التوراة مخاطباً لابراهيم الخليل عليه السلام: «وأما اسماعيل فقد قبلت دعاءك. قد باركت فيه. وأثمره، وأكثره جداً جداً» ذلك قوله: «ولشيماعيل: شمعتنيخا. هى. بيراختى. أوتو. وهفريتى. أوتو. وهربيتى، أوتو. بمادماد» فهذه الكلمة «بمادماد» إذا عددنا حساب حروفها بالجمل وجدناها اثنين وتسعين. وذلك عدد حساب حروف (محمد) ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ فإنه أيضاً: اثنان وتسعون. وإنما جعل ذلك في هذا الموضوع مُلَغَّزاً. لأنه لو صرح به لبدلته اليهود وأسقطته من التوراة كما عملوا في غير ذلك.

---

٤٨ ــ شموئيل بن يهوذا بن أيوب الذي سمّىٰ نفسه بعد اعتناقه الاسلام «السموءل بن يحيى». ولد في مدينة «فاس» بأقصىٰ المغرب، وتوفي ـ رحمه الله ـ بالمراغة من أعمال اذربيجان سنة ٥٧٠هـ. ألّف كثيراً من الكتب منها «بذل المجهود في إفحام اليهود» (عن «البشارة بنبي الاسلام» للدكتور السقّاء هامش ص ١٣٢).

«فإن قالوا: إنما يوجد في التوراة عدة كلمات مما يكون حساب حروفها مساو ياً لعدد حساب حروف اسم زيد وعمرو وخالد فهل يكونون أنبياء؟» فالجواب: ان الأمر كما يقولون لو كان لهذه الآية أسوة بغيرها من كلمات التوراة. لكنا نقيم البراهين والأدلة على أنه لا أسوة لهذه الكلمة بغيرها في سائر التوراة. وذلك أنه ليس في التوراة من الآيات ما حاز به اسماعيل الشرف كهذه الآية. لأنها وعد من الله تعالى لابراهيم بما يكون من شرف اسماعيل. وليس في التوراة آية أخرى مشتملة على شرف لقبيلة زيد وعمرو وخالد وبكر.

«كما إنه ليس في هذه الآية كلمة تساوي (بمادماد) التي معناها «جداً جداً» وذلك أنها كلمة المبالغة من الله سبحانه وتعالى فلا أسوة لها من كلمات الآية المذكورة. وإذا كانت هذه الآية أعظم الآيات مبالغة في حق اسماعيل وأولاده. وكانت تلك الكلمة أعظم مبالغة من باقي كلمات تلك الآية، فلا عجب أن تتضمن الاشارة الى أجَلّ أولاد اسماعيل شرفاً وأعظمهم قدراً: محمد ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ وإذا قد بيّنا أنه ليس لهذه الكلمة أسوة بغيرها من كلمات هذه الآية، ولا لهذه الآية أسوة بغيرها من آيات التوراة، فقد بطل اعتراضهم»[٤٩].

والحق فيما ذهب اليه الدكتور السقّا من أن الله تعالى قد صرّح باسم رسوله محمد من قبل أن تُغيَّر التوراة. واليهود هم الذين غيَّروا الاسم الصريح بالرمز في مدينة بابل ليعرفوه هم أنفسهم إذا جاء ويسهل عليهم جحد نبوته إذا جاءهم بما لا تهوى أنفسهم. وليس كما قال «شموئيل»

٤٩ ـ بذل المجهود ص ٣٤ ـ ٣٥ نقلاً عن البشارة بنبي الإسلام في التوراة والانجيل للدكتور عبد محمد حجازي السقّا. ج ١/ ١٣٢ ـ ١٣٣.

أن الله تعالى قد جعل اسم محمد في هذا الموضع. مُلَغَّزاً، لأنه لو صرَّح به لبدلته اليهود وأسقطته من التوراة[٥٠].

وليست هي المرة الوحيدة التي يلجأ فيها أهل الكتاب (اليهود والنصارى) الى طمس الحقائق في كتبهم المقدسة وحرفها عن معناها الصحيح، وخصوصاً تلك التي جاءت بخصوص رسول الله محمد (ص) وذكر اسمه الصريح فيها.

فكما لجأ اليهود الى محو اسم رسول الله محمد ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ من النص الذي جاء بخصوص مباركة الله لاسماعيل ووضعوا بدله كلمة «بمادماد» التي تشير اليه عن طريق حساب الجمل وذلك ليطمسوا الحقيقة عن أذهان الناس، فقد فعل النصارى الأمر نفسه بما يتعلق ببشارة عيسى عليه السلام بمحمد (ص) سنذكره في موضعه من هذا الكتاب.

وقد أشار موسى عليه السلام في موضعين من التوراة، غير مباركة اسماعيل عليه السلام، الى رسول الله محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم، حيث أخبر في الموضع الأول بني اسرائيل أن الله سيقيم لهم من وسط أخوتهم (أي من بني اسماعيل) نبياً مثله (أي مثل موسى) فقال: «قال الرب: اقيم لهم نبيّاً من وسط اخوتهم مثلك، وأجعل كلامي في فمه فيكلمهم بكل ما أوصيه به»[٥١].

وفي موضع ثانٍ من التوراة ذكر لهم موسى ـ عليه السلام ـ أماكن ظهور الرسالات السماوية الثلاث (أي رسالة موسى ورسالة عيسى ورسالة

---

٥٠ ــ المصدر السابق/ ١٣٣.

٥١ ــ سفر التثنية (١٨/١٨) انظر الفصل الخاص بهذه البشارة في هذا الكتاب.

محمد ـ عليهم السلام ـ) فقال لبني اسرائيل ـ وذلك قبل وفاته بفترة قصيرة ـ : «جاء الرب من سيناء، وأشرق لهم من سعير وتلألأ من جبل فاران وخرج وسط عشرة آلاف قديس تشعّ من يمينه أشعة نور. أَحَبَّ جميع الشعوب. جميع قديسيك (أصحابك) رهن يديك، وهم جلوس عند قدميك يتلقون تعاليمك»[٥٢].

وسيناء هو المكان الذي تلقّى فيه موسى شريعته الى بني اسرائيل. أما سعير فهي فلسطين حيث تلقّى عيسى الانجيل وذلك لتقويم انحراف بني اسرائيل وللتبشير بقدوم محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم خاتماً للانبياء والمرسلين. أما جبال فاران فهي منطقة الحجاز ومكة في الجزيرة العربية حيث تلقّى محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم الوحي ورسالة الاسلام. وفاران هذه كانت موطناً لاسماعيل وأبنائه، فقد جاء في سفر التكوين: «ونادىٰ ملاك الله هاجر من السماء وقال لها مالك يا هاجر. لا تخافي. لأن الله قد سمع لصوت الغلام (أي لاسماعيل) حيث هو. قومي احملي الغلام وشدّي يدك به لأني سأجعله أُمّة عظيمة. وفتح الله عينيها فأبصرت بئر ماء فذهبت وملأت القربة ماء وسقت الغلام. وكان الله مع الغلام فكبر. وسكن في البرية (أي الصحراء) وكان ينمو رامي قوس. وسكن في برية فاران وأخذت له أُمّه زوجة من أرض مصر»[٥٣].

وبهذا فقد تبيّن لنا حتى الآن أنّ بركة اسماعيل ـ عليه السلام ـ قد تحققت أولاً بظهور حفيده محمد خاتم النبيّين والمرسلين صلّى الله عليه وآله وسلّم.

---

٥٢ ــ سفر التثنية ٣٣ : ١ ــ ٣.

٥٣ ــ تكوين ٢١ : ١٧ ــ ٢١.

٢ ــ اثني عشر رئيساً يلد :

بعد أن بَشَّر الله تعالى ابراهيم بأن يجعل من نسل ابنه اسماعيل «بمادماد» الذي أثبتنا أنها كلمة تشير بحساب الجمل الى محمد رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم، بشَّرَه أيضاً بأنه سيكون منه «اثنا عشر رئيساً». فمن هم هؤلاء الرؤساء (وفي ترجمة أخرى أمراء) الأثنا عشر الذين سيكونون من نسل اسماعيل عليه السلام؟ وما هذا المقام الرفيع الذي سيبلغونه حتى يُبشِّر الله تعالى بمولدهم؟

لقد فسَّر البعض أن المقصود من عبارة «اثني عشر رئيساً يلد» هم أولاد اسماعيل الاثنا عشر الذين وُلدوا له في حياته، واستندوا في ذلك الى ما ورد في سفر التكوين (٢٥ : ١٣-١٦) حيث تم ذكر أسماء أولاد اسماعيل الذين وُلدوا في حياته: «هذه أسماء بني اسماعيل بحسب أسمائهم ومواليدهم. بنايوت بكر اسمعيل وقيدار وأدبئيل ومبسام. ومشمّاع ودومة ومسّا. وحدار وتيّما ويطور ونافيش وقذمة. هؤلاء بنو اسماعيل وهذه أسماؤهم بحسب أحويتهم وحظائرهم اثنا عشر زعيماً لقبائلهم».

ومعلوم أنه لم يكن لأ بناء اسماعيل هؤلاء الذين وُلدوا له في حياته دور هام في قيادة الحياة العامة للناس وتوجيهها الى صراط الله المستقيم. وأكثر ما يمكن القول عنهم أنهم كانوا رؤساء لعوائلهم أو لعشائرهم، وربما كان البعض منهم أوجلهم مؤمناً موحداً ولكن لم يبلغوا المرتبة التي تؤهلهم وتمكنهم من دعوة الناس عامة الى نبذ عبادة الأوثان والتوجه لعبادة الله تعالى وحده لا شريك له. بينما كانت مهمة الدعوة الى الله

تعالى موكولة الى بني اسرائيل من نسل اسحاق ـ عليه السلام ـ حيث جعل فيهم سلسلة النبوة من أيام موسىٰ وحتى عيسىٰ المسيح ـ عليهما السلام ـ ومن ثم نُزعت منهم بركة النبوة والرسالة لتنتقل وتستقر في نسل اسماعيل ـ عليه السلام .

ولذا فان مباركة الله لاسماعيل بأن يجعل منه اثني عشر إماماً لها أهمية خاصة ، حيث سيكون لتلك الشخصيات الاثني عشر من ذرية اسماعيل ـ عليه السلام ـ دور رئيس في تاريخ دعوة الناس وهدايتهم الى صراط الله المستقيم ، بحيث يشكلون على الترتيب امتداداً مباشراً وطبيعياً لبركة اسماعيل الاولى التي تحققت بظهور حفيده محمد (ص) حامل الرسالة الالهية الخاتمة للناس جميعاً .

والا ما معنى أن يُبشِّر الله تعالى بهم ويهتم بهم ويجعلهم عنواناً لتحقق مباركته لجدهم اسماعيل إن لم يجعل لهم مقاماً رفيعاً ودوراً رئيساً في تاريخ دعوة البشرية وهداية الناس الى الدين الذي ارتضاه للناس جميعاً وهو دين الاسلام الذي بعث به محمداً حفيد اسماعيل وعنوان بركته الأولى له ؟ .

وكما أثبتنا أن مباركة الله الاولى لاسماعيل قد تحققت بمحمد رسول الله فإن المباركة الثانية قد تحققت بظهور اثني عشر إماماً مباركاً جعلهم الله خلفاء لرسوله وامتداداً طبيعياً لدعوته المباركة .

ولقد قام رسول الله محمد ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ بالنص على خلفائه من بعده بعددهم كما في المرويات السنيّة وبعددهم وأسمائهم كما في المرويات الشيعية حتى لا يبقى عذر لمنحرف ولا حجة لمتأول

ومضلل[٥٤].

فقد أورد البخاري في صحيحه، كتاب الأحكام بسنده الى جابر بن سمرة أنَّ رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ حدَّد عدد الخلفاء من بعده بأنهم اثنا عشر أميراً كلهم من قريش[٥٥].

كما أورد مسلم في صحيحه أن رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ قال: «لا يزال الدين قائماً حتى تقوم الساعة ويكون عليكم اثنا عشر خليفة كلهم من قريش»[٥٦].

وعن جابر بن سمرة قال سمعت رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ يقول: «لا يزال الاسلام عزيزاً الى اثني عشر خليفة» ثم قال كلمة لم أفهمها فقلت لأبي ما قال؟ فقال: «كلهم من قريش»[٥٧].

وقد روى هذا الحديث كل من الترمذي في صحيحه وابن حجر في صواعقه، والهيثمي في مجمع الزوائد، والمناوي في فيض القدير وغيرهم من المحدثين والمؤلفين[٥٨].

وجاء في رواية أبي نعيم في حلية الأولياء صفحة ٨٦ من المجلد الأول بسنده الى عبد الله بن عباس أن رسول الله قال: «من سرَّه أن يحيىٰ حياتي ويموت مماتي ويسكن جنَّة عدن فليوال عليّاً بعدي ويقتد بالأئمة من بعدي فإنهم عترتي خُلـقوا من طينتي ورُزقوا فهماً وعلماً.

---

٥٤ ــ هاشم معروف الحسني، سيرة الائمة الاثني عشر، ج ٣٦/١.

٥٥ ــ صحيح البخاري ج ١٢٧/٨.

٥٦ ــ صحيح مسلم ج ٤/٦ باب الناس تبع لقريش والخلافة في قريش.

٥٧ ــ نفس المصدر.

٥٨ ــ انظر فضائل الخمسة ج ٢/ ٢٣ ـ ٢٤.

وويلٌ للمكذبين بفضلهم من أمتي القاطعين فيهم صلتي لا أناهم الله شفاعتي».

والواضح من هذه الروايات مع ما بينها من الاختلاف في صيغها أنها متفقة على أن العدد المستحق للامامة أو الخلافة أو الامارة حسب اختلاف الروايات لا يتعدىٰ الاثني عشر.

كما نصت رواية أبي نعيم السابقة على أنهم من عترة النبي ومن طينته، ونص غيرها على أنهم باقون ما بقي الاسلام أو حتى تقوم الساعة كما نصت على ذلك رواية مسلم في صحيحه، أو ما بقي اثنان على وجه الأرض كما جاء في رواية ثانية له.

وقد قال السيد هاشم معروف الحسني في كتابه «سيرة الأئمة الاثني عشر» بعد نقله لعدد من الأحاديث النبوية بخصوص خلفاء رسول الله الاثني عشر:

«وبلا شك فإن بقاءهم (أي الائمة الاثني عشر) الطويل لا يعني بقاءهم مجتمعين ما بقي الدهر ولا بأشخاصهم لأن ذلك لم يكتب لأحد من الناس، بل يعني وجودهم على سبيل التعاقب الى أمدٍ لا يعلمه غير الله ويكون بقاؤهم بعد ذلك ببقاء تعاليمهم ومناهجهم ومبادئهم التي تمد البشرية والأجيال بالخير وتوفر لها أسباب الراحة والحياة الحرة الكريمة الى حيث يشاء الله.

ثم يقول: ولو تخلينا عن تفسير الإمامية لتلك المرويات المتفق على صدورها عن النبي(ص) لم يبق لها معنى مقبول تطمئن إليه النفس، وذلك لأن الخلافة بالشكل الذي سارت عليه قد تولاها من قريش أضعاف هذا العدد، ولا يمكن التوفيق بين الخلافة بهذا المعنى وبين العدد

الذي حدده النبي (ص) بتلك المرويات إلا بعد التمحل والتأويل الذي لا ينسجم مع تلك المرويات بنصها ومضمونها ولذا فإن أكثر محدثي السنّة وعلمائهم بعد أن وجدوا أن الذين تعاقبوا على الحكم بعد النبي(ص) من راشدين وأمويين وعباسيين يبلغون نحواً من ثلاثين حاكماً اضطروا الى تأويلها والانحراف بها عن الأئمة الاثني عشر من ذريته مهما كان الحال[٥٩].

وقد اختلف محدثو أهل السنة وعلماؤهم حول تشخيص خلفاء رسول الله(ص) الاثني عشر الذين ذكرهم في أحاديثه الشريفة. فذكروا أن البيهقي قال أن العدد الذي تضمنته المرويات عن النبي(ص) ينتهي بخلافة هشام بن عبد الملك، ولكن ابن كثير ردَّ عليه في تاريخه بأن الذين تعاقبوا على الحكم باسم الخلفاء الى هذا التاريخ اذاضممنا اليهم عبد الله بن الزبير يبلغون ستة عشر حاكماً.

كما قال آخرون: إن الاثني عشر الذين أشار اليهم النبي ينتهون بانتهاء ولاية سليمان بن عبد الملك، وبذلك يكون يزيد بن معاوية ومروان بن الحكم الطريد بن الطريد من الخلفاء الباقين ما بقي الدهر وممن لا يزال الدين قائماً بخلافتهم، بينما يخرج من العدد الذي حدّده النبي(ص) عمر بن عبد العزيز المعروف بعدله وصلاحه ونقمته على سياسة الطغاة الذين حكموا قبله من تلك الاسرة.

وادّعى غيرهم غير ذلك من التأويلات الباطلة. كما نقل عن السيوطي أنه أضاف الى الخلفاء الأربعة والحسن بن علي وعمر بن عبد

---

٥٩ ــ سيرة الائمة الاثني عشر ج١/٣٨.

العزيز كلاً من عبد الله بن الزبير والمهدي العباسي والملك الظاهر ومعاوية بن أبي سفيان. ومضىٰ يقول أن المواصفات التي أرادها النبي لا تنطبق على الباقين ويبقىٰ اثنان ليتم بهما العدد الذي حدده النبي(ص) منتظران على حد تعبيره وهما محمد بن الحسن المهدي المنتظر وشخص آخر لم يذكر اسمه.

وحول هذه المغالطات التي وقع بها بعض محدّثي أهل السنة وعلمائهم بخصوص الروايات التي ذكرت خلفاء رسول الله(ص) الاثني يضيف قوله:

«وبجمل القول أن موقف السنّة من هذه المرويات بعد أن التزم أكثرهم بصدورها عن النبي(ص) لا يقره المنطق ويبدو عليه التكلف والتحيّز، في حين أن موقف الشيعة منها منسجم كل الانسجام مع ظواهرها ومضامينها، وما كان النبي(ص) ليقف أكثر من مرة بين أصحابه ليعلن عليهم هذا العدد من الخلفاء الذين تعاقبوا علىٰ الحكم من بعده في حين أن جميع الخلفاء ـ إذا استثنينا بعض الراشدين وعمر بن عبد العزيز ـ كانوا أداة هدم وتخريب أكثر منهم أداة إصلاح وهداية، مع العلم أنه في بعض تلك المرويات قد ربط بين الخلفاء الاثني عشر وبين بقاء الدين كما جاء في رواية مسلم الثانية في صحيحه»[٦٠].

وهكذا فإنه يصعب على أي باحث أن يجد من بين الذين حكموا فعلاً بعد رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ اثني عشر حاكماً يحملون مؤهلات خلافته الشرعية.

---

٦٠ ــ المصدر نفسه ج ١/٤٠.

بينما التفسير الصحيح لهذه الأحاديث النبوية الشريفة هو كون رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ أشار بها الى الأئمة الاثني عشر من عترته الطاهرة والذين هم أحفاد لإسماعيل ـ عليه السلام ـ حيث أن أولهم الامام علي بن ابي طالب ثم الحسن والحسين سبطي رسول الله وسيّدي شباب أهل الجنة، ثم علي بن الحسين زين العابدين، ثم محمد بن علي الباقر، ثم جعفر بن محمد الصادق، ثم موسى بن جعفر الكاظم، ثم علي بن موسى الرضا، ثم محمد بن علي الجواد ثم علي بن محمد النقي، ثم الحسن بن علي العسكري، ثم محمد بن الحسن الإمام الحجة المنتظر الذي تنتظره الأمة الاسلامية والشعوب المستضعفة في الأرض لكي يقيم دولة التوحيد والعدل ويكسر رايات الكفر والاستكبار العالمي، محيياً بذلك شريعة جدّه المصطفى ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ ومخلصاً إياها مما لحق بها من تأويلات المتأوّلين وتضليل المضلّين. وسيبقىٰ الدين ببقاء الآثار التي ورثوها عن جدّهم وتركوها بين أيدي الأجيال مشعل هداية ينير لبني الانسان طريق الوصول الى سعادة الدنيا والآخرة.

وهكذا تكشفت لنا معالم البركة الثانية التي خص الله بها اسماعيل بأن جعل من ذريته اثني عشر إماماً هادياً مهدياً يهدون الى صراطه باذنه ويكونون امتداداً طبيعياً للبركة الأولى التي تحققت كما رأينا بظهور محمد خاتم النبيين والمرسلين وحامل شريعة الاسلام ليس الى قومه فحسب، كما كانت وظيفة أنبياء بني اسرائيل، بل الى الناس جميعاً في كل زمان ومكان. وبذلك تكون قد ظهرت عظمة الأئمة الاثني عشر الأطهار من آل بيت رسول الله محمد(ص).

فكما أرسله الله رسولاً للناس جميعاً فقد جعلهم أئمة هدىً يهدون الناس الى صراطه. ولذا فالتمسك بهم يقود الى التمسك بكتاب الله وسنة رسوله وينقذ من الضلال والحيرة.

٣ ــ البركة الثالثة التي بارك الله بها اسماعيل هي: أن يجعله أُمة عظيمة:

لقد بارك الله تعالى ابراهيم ـ عليه السلام ـ ووعده أن يجعله أُمّة عظيمة، فقال له: «اذهب من أرضك ومن عشيرتك ومن بيت أبيك الى الأرض التي أريك. فأجعلك أمّة عظيمة وأباركك وأعظّم اسمك. وتكون بركة. وأبارك مباركيك ولاعنك ألعنه. وتتبارك فيك جميع قبائل الارض»[٦١].

ومعلوم أن هذه الأمة العظيمة ستخرج إما من وَلَدَيّ ابراهيم المباركين اسماعيل واسحاق معاً أو من أحدهما فقط، فلننرَ ماذا تقول التوراة بهذا الشأن؟

لم تذكر التوراة بأن الله سيجعل من اسحاق أُمّة عظيمة، بل قال لابراهيم، «باسحق يُدعى لك نسل»[٦٢] أي ستكون من اسحاق ذرية تنتسب اليك، بينما نجد أن الله تعالى قد أكد في ثلاثة مواضع من التوراة أنه سيجعل من اسماعيل أُمّة عظيمة، حيث قال:

أ ــ «لأنه باسحق يُدعىٰ لك نسل، وابن الجارية (أي اسماعيل)

---

٦١ ــ تكوين ١٢: ١ ـ ٣.

٦٢ ــ تكوين ٢١: ١٢.

أيضاً سأجعله أمّة لأنه نسلك»[٦٣].

ب ــ «ونادى ملاك الله هاجر من السماء وقال لها مالك يا هاجر. لا تخافي لأن الله قد سمع لصوت الغلام حيث هو. قومي احملي الغلام وشدّي يدك به لأني سأجعله أمّة عظيمة»[٦٤].

ت ــ «وأمّا اسماعيل فقد سمعت لك فيه. ها أنا أباركه وأثمره وأكثره كثيراً جداً. اثني عشر رئيساً يلد وأجعله أمّة كبيرة»[٦٥].

ويظهر من هذه النصوص التوراتية أن الأمّة العظيمة التي وعد الله تعالى ابـــراهيم أن يجعلها منه لن تكون من نسل ابنه اسحاق الذي سيكون منه نسل لابراهيم منه فقط وليس أمّة. إذاً فان اليهود والنصارىٰ لا يمثلون الأمّة العظيمة التي بارك الله بها ابراهيم بأن جعلها منه. ذلك أن اليهود من نسل اسحاق وكذلك عيسى المسيح ـ عليه السلام ـ.

بينما صرّحت هذه النصوص التي أوردناها بأنّ هذه الأمّة العظيمة سيجعلها الله تعالى من اسماعيل فقط دون أخيه اسحاق ـ عليهما السلام ـ.

وقد أكد القرآن الكريم هذا المعنى بأنّ هذه الأمّة العظيمة ستكون من نسل اسماعيل ـ عليه السلام ـ حيث قال الله تعالى:

«واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسمعيل ربّنا تقبّل منا إنّك أنت السميع العليم. ربّنا واجعلنا مُسْلِمَيْن لك ومن ذريّتنا أمّة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا إنّك أنت التواب الرحيم. ربّنا وابعث فيهم رسولاً منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم

---

٦٣ ــ تكوين ٢١: ١٢-١٣.

٦٤ ــ تكوين ٢١: ١٧-١٨.

٦٥ ــ تكوين ١٧: ٢٠.

إنك أنت العزيز الحكيم»[٦٦].

وبهذا فقد تحددت هوية هذه الأمّة حيث ثبت بدليل التوراة والقرآن أنها أمّة الاسلام التي جعلها الله تعالى من ابراهيم وابنه اسماعيل ـ عليهما السلام ـ.

بقي أن نذكر حقيقة واضحة تضمنتها مباركة الله لاسماعيل وخصه بهذه البركات الثلاث (تكوين ١٧ : ٢٠) التي تحدثنا عنها خلال هذا الفصل. هذه الحقيقة هي كون المسلمين بجميع فرقهم ومذاهبهم يروون الحديث النبوي الذي تحدث فيه رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ حول انقسام اليهود الى إحدى وسبعين فرقة والنصارى الى اثنتين وسبعين فرقة والمسلمين الى ثلاث وسبعين فرقة كلها هالكة إلا فرقة واحدة ناجية بإذن الله. فمن هي هذه الفرقة الناجية يا ترى؟

كما رأينا سابقاً ظهر لنا أن البركات الثلاث التي خص الله تعالى بها اسماعيل هي بركات مترابطة ومتصلة مع بعضها البعض وقد تبيّن لنا أن البركة الأولى تشير الى رسول الله محمد ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ وأن البركة الثانية تشير الى الأئمة الاثني عشر من عترة آل بيته الطاهرة، أما البركة الثالثة فهي الأمّة العظيمة المؤمنة التي اتخذت من هؤلاء الأئمة الاثني عشر الأطهار أئمة لها وقدوة ومناراً يهديها الى كتاب الله وسنّة رسوله الكريم.

فالأمة العظيمة هي تلك الأمة المتمسكة بصراط الله المستقيم، التي تتخذ من منارات الهدىٰ التي نصبها الله للناس ملاذاً لكي لا تضل عن

---

٦٦ ــ سورة البقرة/١٢٧-١٢٩.

سبيله.

وليست العبرة هنا بكثرة العدد ووسعة الانتشار إنما هي بالتمسك بالحق والثبات عليه. وهذا هو المعنىٰ الذي ورد عن الإمام علي ابن أبي طالب(ع) حينما سئل عن أهل الجماعة وأهل الفرقة من هم؟ فقال: أهل الجماعة هم جماعة الحق وإن قلُّوا، وأهل الفرقة هم أهل الباطل وإن كثروا.

موسى (ع) يبشر برسول الله محمد (ص)

ما إن أحسَّ موسى ـ عليه السلام ـ بقرب أجله حتى شعر بأنَّ هناك مهمة كبيرة بقيت منوطة به وعليه أداؤها، فهو بعد أن أمضىٰ عمره مجاهداً في سبيل إنقاذ بني اسرائيل من ظلمات الضلالة والجهل والعبودية لغير الله، أتاه الأمر من الله تعالى بإبلاغ قومه بأن الله سوف يبعث نبيّاً مُرسلاً برسالته الخاتمة للناس جميعاً، وأنَّ عليهم إتّباعه ونصرته. ولكي لا يضلُّوه ويُنكروه فقد قام موسى ـ عليه السلام ـ بتعيين القوم الذي سيكون هذا النبي العظيم المنتظر منهم والمكان الذي سيُبعث فيه كي لا تبقىٰ حجة لهم في عدم اتباعهم ومناصرتهم له.

النبيّ المنتظر على لسان موسى (ع)

ورد في سفر التثنية أن الله تعالىٰ أمر نبيّه موسى (ع) أن يُبلّغ بني اسرائيل قائلاً :

١٥ «يقيم لك الربُّ الٰهك نبيّاً من وسطك من اخوتك مثلي. له تسمعون».

١٦ «حسب كل ما طلبتَ من الربِّ الٰهك في حوريب يوم الاجتماع قائلاً لا أعود أسمع صوت الربِّ الٰهي ولا أرى هذه النار العظيمة لئلاّ أموت».

١٧ «قال لي الربُّ قد أحسنوا في ما تكلّموا».

١٨ «أُقيم لهم نبيّاً من وسط اخوتهم مثلك، وأجعل كلامي في فمه فيكلمهم بكل ما أوصيه به».

١٩ «ويكون الانسان الذي لا يسمع لكلامي الذي يتكلّم به باسمي أنا أطالبه».

٢٠ «وأما النبيّ الذي يطغىٰ فيتكلم باسمي كلاماً لم أوصه أن يتكلم به أو الذي يتكلم باسم آلهة أخرى فيموت ذلك النبي».

٢١ «وإن قلت في قلبك كيف نعرف الكلام الذي لم يتكلم به الرب».

٢٢ «فما تكلم به النبي باسم الرب، ولم يَحْدُث ولم يَصِرْ، فهو الكلام الذي لم يتكلم به الرب بل بطغيانٍ تكلّم به النبي فلا تخف منه»[1]. انتهى.

هذا ما كلّم الله تعالى به عبده ورسوله موسىٰ عليه السلام حين أمره أن يُخْبر بني اسرائيل جميعاً بأنّ الله تعالى سوف يقيم نبيّاً مرسلاً من بعد موسىٰ من اخوة بني اسرائيل لا يتكلم إلا بما يوحي له الله، ويكون شبيهاً لموسى من أوجه كثيرة، إلا أنه سيكون رسولاً لجميع بني البشر بحيث أن أي انسان لا يسمع لكلامه ولا يخضع لشريعته سيتعرض لمحاسبة من الله تعالى ولعقابه الذي يترتب على مخالفة أوامره وعدم القبول برسالته.

ويـــرىٰ أصحاب الكنائس المسيحية[2] بأن هذه البشارة الواردة على لسان موسى (ع) جاءت بخصوص عيسى المسيح (ع). ولكن لدىٰ إمعان النظر في متن هذه البشارة يتضح لنا بطلان دعواهم هذه من عدة وجوه نذكر منها:

ـــ اولا: علىٰ الرغم من أنّ عيسى (ع) هو من بني اسرائيل حيث

---

١ ـــ سفر التثنية، الاصحاح ١٨/١٥ - ٢٢.

٢ ـــ نظراً لوجود فرق وكنائس مسيحية مختلفة: الكنيسة الكاثوليكية، والبروتستانتية والارثوذكسية وغيرها.

شرع بتبليغ رسالته المكلف بتبليغها من قبل الله تعالى إلا أنّه لم يُعترف به بأنّه هو النبيّ المبشّر به في هذه البشارة على لسان موسى (ع)، وذلك لأنَّ اليهود كانوا يميّزون بينه وبين هذا النبيّ المنتظر (أي المبشَّر به).

هذه الملاحظة نستنتجها من الأسئلة التي طرحها أحبار اليهود واللاويُّون على النبي يحيى (ع)، فمع أنهم كانوا متيقنين من نبوّة يحيى (ع) إلا أنهم أرادوا أنْ يتأكدوا من كونه هو نفسه النبي الذي ينتظرونه أم لا؟ فقد ذكروا له ثلاث شخصيات متميزة الواحدة عن الأخرى المسيح وإيليا والنبي، ولكنه أعلن لهم بأنّه لم يكن أيُّ واحد منهم كما جاء ذلك في انجيل يوحنا حيث نجد مكتوباً: (وهذه هي شهادة يوحنا (النبي يحيىٰ) حين أرسل اليهود من أورشليم (القدس) كهنة ولا ويّين ليسألوه: من أنت؟ فاعترف ولم ينكر وأقرَّ أنّي لست أنا المسيح. فسألوه اذاً ماذا؟ هل أنت إيليّا؟ فقال: لست أنا. هل أنت النبيّ؟ فأجاب لا.... هؤلاء الذين أُرسلوا إليه كانوا من الفريسيّين، فسألوه وقالوا له: فما بالك تُعَمِّد إنْ كنت لست المسيح ولا إيليا ولا النبي؟...)[3].

يتضح لنا من شهادة يحيىٰ (ع) هذه أن هناك ثلاث شخصيات مختلفة كان اليهود في زمانه ينتظرون قدومها وهي: المسيح وإيليا والنبيّ. وما يهمنا هنا هو التمييز بين شخصيّتيّ المسيح والنبيّ حيث أن النبيّ المنتظر هو غير المسيح الذي هو عيسى بن مريم (ع). ولتبيان ذلك نقوم بتسجيل ما ورد في انجيل يوحنا حول التمييز بين هاتين الشخصيّتين

---

٣ ــ إنجيل يوحنا، ١: ١٩ ـ ٢٥.

حيث ورد فيه: «فكثير من الجمع لمّا سمعوا هذا الكلام قالوا هذا بالحقيقة هو النبيُّ. آخرون قالوا هذا هو المسيح...»[٤].

اذاً فهذا النبيّ المنتظر هو شخصية أُخرىٰ غير المسيح، حيث كان الناس ينتظرونه كما كانوا ينتظرون قدوم المسيح وهو سيظهر بعده.

ــ ثانياً:

في هذه النبوّة الواردة في سفر التثنية نستطيع أن نقرأ التعبير التالي: «نبي مثلك». ففي أول هذا المقطع المذكور عندما كان موسى (ع) هو الذي يتكلّم قال: «نبي مثلي» ولكن في الفقرات التالية حيث يوجه فيها اللهُ تعالى الكلام لموسىٰ قال: «نبي مثلك» أي مثل موسى. وهذه الصفة لا تنطبق على عيسىٰ المسيح (ع) للأسباب التالية:

١ ــ المسيح (ع) اسرائيلي الأصل، وهذا ما يمنعه من أن يكون مثل موسىٰ أو أعلىٰ قدراً منه وذلك لما ورد في سفر التثنية من أنه لن يستطيع أحد من بني اسرائيل أن يكون أعلىٰ مقاماً من موسى (ع) أو حتى مثله: (ولم يقم بعد نبي في اسرائيل مثل موسى، الذي عرفه الربُّ وجهاً لوجه، في جميع الآيات والعجائب التي أرسله الربُّ ليعملها في أرض مصر بفرعون...)[٥].

اذا يتضح لنا، حسب هذا النص التوراتي، أنه لم يظهر في بني اسرائيل نبي أكبر وأعلى مقاماً من موسى أو حتى مثله.

٢ ــ بحسب المعتقدات المسيحية فإنَّ عيسى (ع) هو الربّ (نعوذ

---

٤ ــ انجيل يوحنا ٧: ٤٠ - ٤١.

٥ ــ سفر التثنية ٣٤: ١٠ - ١١.

بالله من ذلك)، بينما موسى (ع) كان عبداً ورسولاً لله، ومعلوم أنه لا مشابهة بين الربّ والمربوب.

٣ ــ إنَّ عيسى (وكما يدّعي بولس مؤسّس المسيحية الحالية الحقيقي) قد أصبح ملعوناً من أجل المسيحيين: (المسيح افتدانا من لعنة الناموس إذْ صار لعنة لأجلنا لأنه مكتوب ملعون كل من عُلّق على خشبه)[٦] بينما موسى لم يُلْعن قط.

٤ ــ عيسى (ع)، حسب اعتقاد النصارى، قد صُلِبَ ليُكفِّر عن أمته، بينما لم يُصلب موسى (ع) ليُكفِّر عن أمته.

٥ ــ شريعة موسى (ع) تحتوي على مختلف الأوامر والقواعد والأحكام التي تتعلق بالحياة العمليّة للإنسان: المحرّمات والمباحات والواجبات الفرديّة والاجتماعية، والخُلُقيّة والعائليّة والاقتصاديّة والحقوق الى غير ذلك. بينما الأناجيل التي بين أيدي الناس اليوم لا تحتوي إلا على النزر اليسير من أنواع التشريع.

٦ ــ لقد كان موسى (ع) رئيساً مُطاعاً ونافذ الأمر في قومه بينما لم يتمتع عيسى (ع) بشيء من ذلك.

ــ ثالثاً:

ورد أيضاً في هذه البشارة المدوّنة في سفر التثنية العبارة التالية: (أُقيم لهم نبيّاً من وسط اخوتهم...). لقد تُليت هذه البشارة من قبل موسى (ع) على مسمع من الأسباط الاسرائيلين الإثني عشر، أي أنَّ هذا الكلام كان موجّهاً الى جميع بني اسرائيل. إذاً فمن غير المعقول أنْ

---

٦ ــ غلاطية ٣: ١٣.

يُدَّعى أنَّ هذه العبارة «من وسط اخوتهم» تعني من قبائل بني اسرائيل، إذ أنَّه لو كان كذلك لوجب أن يقول لهم: (من وسطهم وليس (من وسط اخوتهم)، ولذلك فإنَّ النبي المُبشَّر به في سفر التثنية لن يكون أبداً من صلب اسرائيل. فـ«اخوتهم» هنا تعني بني اسماعيل لأنَّ اسماعيل هو أخٌ لاسحاق والد اسرائيل (يعقوب). وفي الحقيقة فإنَّ استعمال لفظ «إخوتهم» هنا جاء للتعبير عن الوعد الالٰهي المقطوع لهاجر(ع) بما يخص ابنها اسماعيل(ع) وذريته كما جاء في سفر التكوين (١٦/ ١١ ــ ١٢) وقد فَصَّلْنا القول في الفصل الأول من هذا الكتاب فليراجع.

وأيضاً كما ورد في السفر نفسه: (وأقام اسماعيل أمام جميع إخوته)[٧].

والمراد من اخوة اسماعيل هنا هم بني اسرائيل.

وكما ورد أيضاً في سفر التثنية ٢: ٤ ــ ٥ (أنتم مارُّون بتخم اخوتكم بني عيسو الساكنين في سعير فيخافون منكم فاحترزوا جداً. لا تهجموا عليهم لأني لا أعطيكم من أرضهم ولا وطأة قدم).

فالمراد من اخوة بني اسرائيل هنا هم بنو عيسو، وبدون شك فإنَّ استعمال لفظ «اخوة بني اسرائيل» الوارد في بعض النصوص التوراتية هو استعمال مجازي. إذاً وبما أنَّ عيسى(ع) هو من بني اسرائيل فإنَّه لا يمكن أنْ يكون المقصود في هذه البشارة.

ــ رابعاً:

(وأجعل كلامي في فمه يكلّمهم بكلّ ما أوصيه به). هذه إشارة

---

٧ ــ سفر التكوين ٢٥: ١٨.

الى الوحي الذي يتلقاه هذا النبي بالإضافة الى أنها إشارة إلىٰ كونه نبياً أُمياً. فعيسى لا يمكن له أن يكون هو المقصود بهذه النبوة لأنَّ المسيحيين يعتقدون بأنه إلٰه، مما يتطلب عدم احتياجه الى من يضع كلام الله في فمه ولا أن يتلقّى الأوامر من أحد بما إنَّه حسب اعتقادهم هو الله الذي يأمر كلّ شيء (تعالى الله عما يقولون علّواً كبيرا).

ـ خامساً:

(ويكون أنَّ الانسان الذي لا يسمع لكلامي الذي يتكلّم به باسمي فإنني سأُحاسبه). تشير هذه العبارات الى المقام الرفيع الذي يتمتع به هذا النبي عند الله تعالى. فهو متحدث بإسم الله ولكنه لن يكون هو الذي سيحاسب الذين لم يُلَبّوا نداءه بل المحاسب هو الله تعالى، وهذا لا ينطبق على عيسىٰ حسب المعتقدات المسيحية التي تزعم بأنَّ عيسى هو الله وهو المحاسب (حسب رأيهم) (نعوذ بالله من ذلك).

ولكننا إذا ما قارنّا تلك الأوصاف الواردة في هذه النبوءة مع أوصاف رسول الله محمد (ص) لوجدناها تنطبق تماماً عليه، فأوجه الشبه كثيرة بينه وبين نبيِّ الله موسى (ع) نذكر منها هنا:

ـ محمد (ص) عبد الله ورسوله كموسى، وليس إلٰهاً كما يعتقد المسيحيون بالمسيح.

ـ مولود من والدين كموسىٰ (عيسى ليس له إلّا أُمّ).

ـ تزوج وكان له أولاد، كموسى (أما عيسى فلا).

ـ الشريعة التي كُلِّف بتبليغها تحتوي على القواعد التي تُنظم الحياة الانسانية بكاملها: الشخصية والاجتماعية والأخلاقية والسياسية والاقتصادية والقضائية والعقائدية. ومن أجل توضيح ذلك نذكر هنا

بعض الأمثلة : ففي الشريعة الاسلامية وشريعة موسى توجد مختلف أنواع الطهارات (كالوضوء والغسل) من أجل تأدية الصلاة، والغسل بعد انقضاء مدّة العادة الشهريّة عند المرأة، وبعد مدة النفاس، وبعد الإتصال الجنسي بين الرجل وزوجته (في هذه الحالة الغسل واجب بالنسبة للمرأة والرجل). تحريم أكل لحوم الحيوانات غير المذكّاة (أي غير المذبوحة بطريقة شرعية) وتحريم أكل لحم الخنزير. حدُّ القصاص وغير ذلك، وهذا بعكس ما كان عليه المسيحيون.

ـ محمد (ص) توفي بشكل طبيعي على فراشه كموسى (ع)، بينما عيسى (ع) صُلب وقُتل بحسب اعتقاد المسيحيين.

ـ محمد وموسى لم يُلعنا من أجل أمّتَيْهما، ولكن عيسى ـ حسب ادعاءات بولس مؤسس المسيحية الحالية ـ قد لُعِنَ من أجل أتباعه كما ذكرنا ذلك آنفاً.

ـ محمد (ص) كانت لديه الاستطاعة والقدرة على اقامة حدود الله تعالى كموسى (ع). وهذا بعكس ما كان عليه عيسى (ع).

ـ محمد وموسى دعيا للتصدي لأي دعوة تقوم لغير الله، بينما نرى أنَّ أتباع عيسى قالوا بأنه ادَّعىٰ الألوهية (وهو (ع) بريءٌ مما يقولون).

ـ دعوته كدعوة موسى قامت على التوحيد الخالص، بخلاف أتباع المسيح الذين بنوا دينهم على عقيدة التثليث.

وهكذا نجد أنَّ الشبه يكاد يكون تامّاً ومن جميع النواحي بين محمد (ص) وموسى (ع)، ولذا يقول الله تعالى في القرآن الكريم: «إنّا أرسلنا إليكم رسولاً شاهداً عليكم كما أرسلنا إلى فرعون رسولا» (المزمل: ١٥).

وعلى الرغم من أن محمداً (ص) كان أميّاً فقد أرسله الله تعالى بكتابه المعجز في بيانه وجعل كلامه في فيه بحيث أنه لم يكن ينطق إلا بالوحي كما قال الله تعالى في سورة النجم ١ــ٤ : «والنجم إذا هوىٰ، ما ضلَّ صاحبكم وما غوىٰ. وما ينطق عن الهوىٰ. إنْ هو إلا وحيٌ يوحىٰ».

ــ سادساً :

(وأما النبيّ الذي يطغى فيتكلم باسمي كلاماً لم اوصهِ أن يتكلم به أو الذي يتكلم باسم آلهة أخرى، فيموت ذلك النبي).

يُفْهم من هذا النص التوراتي بأن النبي الذي يتجاوز الحدّ المعيّن له بأن يقول على الله مالم يأمره به، أو الذي يُهادن أعداء الله عز وجل ويقول ما يرضيهم فإن الله تعالى يسحب تأييده عنه مما يجعله هدفاً يسهل القضاء عليه من قبل الأعداء. ويماثل هذا النص ما ورد في القرآن الكريم بخصوص رسول الله محمد (ص) في سورة الحاقة (٤٤ــ٤٧): «ولو تَقَوَّلَ علينا بعض الأقاويل. لأخذنا منه باليمين. ثم لقطعنا منه الوتين. فما منكم من أحد عنه حاجزين».

وقد وقع رجال الكنيسة المسيحية في تناقض مع أنفسهم، فهم من جهة يؤمنون بهذا النص التوراتي المذكور أعلاه وفي نفس الوقت يؤمنون بأن عيسى بن مريم (ع) قد مات مقتولاً مُهاناً مصلوباً بيد أعدائه بعد أن تخلّىٰ عنه الله حسب ما ورد في انجيل متّى (٢٧ : ٤٦) الذي ينسب الى المسيح أنه قال صارخاً وهو علىٰ خشبة الصليب : «إيلي إيلي لما شبقتني أي الهي الهي لماذا تركتني».

بينما نجد أن الله تعالى قد صرّح مراراً في محكم كتابه المبين،

القرآن الكريم، بأنه سينصر رسوله محمداً(ص) ولن يُسْلمه لمؤامرات الناس عليه، فقال عز وجل مخاطباً إيّاه ومطمئناً له: «والله يعصمك من الناس» (المائدة ٦٧) وقد وفىٰ الله تعالى بوعده له وحفظه من مكائد الناس ولم يجعل لأعدائه عليه من سبيل حتى وافته المنيّة والتحق بالرفيق الأعلى وهذا دليل علىٰ صدقه وأمانته صلى الله عليه وآله وسلم في نقل رسالة ربِّه الى الناس. بينما نجد أتباع الكنيسة المسيحية يعتقدون ويصرون على أن عيسى المسيح (ع) قد قُتل بيد أعدائه صلباً بعد أن عُذِّب وأُهين وهذا ما أوقعهم في تناقض صريح مع هذا النص التوراتي الوارد في هذه البشارة والذي يؤمنون به. وبذلك ينتفي ادّعاؤُهم من أنَّ المُبشَّر به هنا هو عيسى بن مريم (ع).

ـ سابعاً:

يبيّن الله تعالى في هذه النبوءة من سفر التثنية علامات لتمييز النبي الصادق من النبي الكاذب: «واذا قلت في قلبك كيف نعرف الكلام الذي لم يتكلم به الرب؟ عندما يتكلم النبي باسم الربِّ ولم يتحقق كلامه ولم يحدث فإنه إذاً كلام لم يتكلم به الرب. بل بطغيان تكلم به النبيُّ فلا تخف منه».

إذاً فالعلامة التي تُميِّز النبي الصادق من مُدَّعي النبوة هي صدق أقوال النبي وتحقق نبوءاته.

ولقد ثبت تاريخياً لدى العدو والصديق صدق رسول الله محمد (ص) وتحقق ما نطق به سواء كان ذلك وحياً قرآنياً أو أحاديث نبوية شريفة. وللتدليل على صحة ذلك نذكر هنا بعض الأدلة على سبيل المثال لا الحصر:

ـ في القرآن الكريم :

١ ـ «الم. غُلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيَغْلبون. في بضع سنين» (سورة الروم/ ١ ـ ٤).

الحرب القديمة بين الروم البيزنطيين والساسانيين الفرس كانت تندلع من وقت لآخر. ففي سنة ٦١٤ ميلاديه اجتاح الساسانيون مدينة القدس وحملوا معهم الصليب الكبير الذي كان فيها الى بلادهم. وخلال عام ٦١٦ الى ٦١٩ ميلاديه تم اجتياحهم لبلاد مصر. وفي سنة ٦١٧م اجتاح جيش آخر من الفرس آسيا الصغرى حتى وصلوا الى حدود القسطنطينية عاصمة البيزنطيين حيث لم يبق بينهم وبينها إلا مضيق البوسفور. ولكن، وبعد ما يقارب السبع سنوات من ذلك استطاع هرقل ملك الروم أن ينتصر على الفرس وأن يُخرِّب معبدهم في عام ٦٢٤م، كما استطاع أن يقهر عدة جيوش لهم بين عام ٦٢٤ و ٦٢٨م، التاريخ الذي تم فيه قتل ملك الفرس خسرو الثاني من قبل ابنه شيرويه.

يجب الاشارة هنا الى أنَّ هذه الآيات القرآنية موجودة في سورة الروم التي نزلت في مكة المكرمة قبل الهجرة النبوية الشريفة، أي قبل عام ٦٢٢ ميلادية.

ب ـ «لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق، لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلقين رؤوسكم ومقصرين لا تخافون. فعلم ما لم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحاً قريباً» (الفتح/٢٧).

هذه الآية الكريمة تشير الى فتح مكة، بسنتين بعد الهدنة التي عُقدت بين المسلمين ومشركي مكة. ورؤيا النبي(ص) التي رآها، بأنه يدخل مكة قد تأكدت في هذه الآية القرآنية. وهذا ما تحقق فعلاً. إلىٰ غير

ذلك مما جاء في القرآن الكريم من الإعلام عن حوادث ستحدث مستقبلاً.

ـ في أقوال النبي محمد (ص):

يكفي أن نقرأ في كتب الحديث بعض الأحاديث النبوية الشريفة ونقارنها بالحوادث التاريخية التي أنبأت عنها لنعرف صدقها وصحتها. ونحن هنا نذكر بعضاً منها:

١ ـ جاء أبو ذر الغفاري (رض) وشكا الى رسول الله (ص) ما يلقاه من بعض أصحابه، فقال له: «كيف بك إذا ما أُخرجت من ديارك؟ قال: أذهب الى المسجد الحرام. فقال له رسول الله (ص): كيف بك إذا ما أُخرجت من هناك؟ قال: أذهب الى الشام. فقال له رسول الله (ص): كيف بك إذا أُخرجت من هناك؟ إذاً أمتشق سيفي وأُقاتل حتى أُقتل.

فقال له رسول الله (ص): لا تفعل ذلك واصبر فإنك تعيش وحيداً وتموت وحيداً وتُحشر وحيداً وإنَّ مجموعة من أهل العراق تغسلك وتكفنك وتدفنك». وقد تحقق كل ذلك حيث أن قصة نفي أبي ذرّ(رض) وإبعاده عن دياره وموته وحيداً منفياً في صحراء الربذة معروفة في كتب الحديث والتاريخ.

٢ ـ ورد في كتب الحديث بطرق صحيحة أنَّ رسول الله (ص) أخبر فاطمة ابنته (ع) بأنَّها أول شخص من أهل بيته لحاقاً به بعد وفاته. وقد تحقق ذلك.

٣ ـ إخباره (ص) بأنّ عمّار بن ياسر تقتله الفئة الباغية. وقد

حدث ذلك عندما قتل جنود معاوية عمّاراً في حرب صفين.

٤ ــ إخباره بشهادة الامام علي (ع) وأنّ لحيته سوف تُخضب بدم رأسه الشريف. وقد حدث ذلك عندما استشهد علي في مسجد الكوفة وهو يصلي الصبح على يدي الشقي ابن ملجم.

٥ ــ إخباره بشهادة الامام الحسين (ع) في أرض تسمى كربلاء في العراق على ضفاف نهر الفرات.

٦ ــ إخباره (ص) بأنّ المسلمين سيفتحون بلاد فارس وينتصرون على امبراطورية الروم البيزنطية وهذا ما حدث بالفعل.

٧ ــ وأيضاً لقد أخبر النبي (ص) بأنّ المسلمين سيفتحون مدينة القسطنطينية عاصمة الروم البيزنطيين. وقد تم ذلك بالفعل عام ١٤٥٣م. وهكذا الى الكثير من التنبوءات الأُخرى التي تحققت في التاريخ.

ــ ثامناً:

في عصر رسول الله محمد(ص) اعترف الكثير من أحبار اليهود بنبوّته وأنه هو النبي المنتظر. فآمن به بعضهم وتشبّث البعض الآخر بكفرهم معاندين الحق كما فعل الحبر اليهودي الأعظم «قيافا» في مقابل عيسى(ع) حيث أصدر فتواه بقتله على الرغم من معرفته بأنه نبي الله ورسوله (انظر انجيل يوحنا ١١/٤٩-٥٢).

وهذا هو مخريق أحد كبار أحبار اليهود في المدينة المنورة والذي كان كثير المال والنخل، كان قد عرف رسول الله محمد(ص) من مواصفاته والبشارات الواردة بحقه في التوراة، ولكنه بقي على دين آبائه كافراً برسالة رسول الله محمد(ص) حتى يوم أُحد حيث توجه الى قومه قائلاً: يا معشر اليهود. والله إنكم لتعلمون أنّ نصرة محمد(ص) واجبة عليكم،

فما يمنعكم من نصرته ؟ قالوا : إنَّ اليوم يوم سبت . فقال : لا سبت في الاسلام ، وحمل سلاحه ، ثم أوصى إنْ هو قُتل أن تُحوَّل جميع أمواله وأملاكه الى رسول الله محمد(ص) . ثم ذهب الى ساحة المعركة حيث أعلن إسلامه وقاتل بين يدي رسول الله قتالاً شديداً حتى قُتل ، فقال رسول الله(ص) إنَّ مخريق لم يُصلِّ صلاة واحدة في الاسلام ولكنه ذهب اليوم الى الجنة .

وقد ورد في الخبر بأنَّ رسول الله(ص) التقى بعد هجرته الى المدينة بكبير علماء اليهود في المدينة عبد الله بن صوريا وجرىٰ بينهما حديث ، فقال له رسول الله(ص) : أقسم عليك بالله ألا تعلم بأني رسول الله ؟ فأجابه عبد الله بن صوريا ، والله إني لأعلم أنك رسول الله وإنّ قومي ليعلمون ما أعلم ، وإنّ صفاتك ووصفك لمبيّنة في التوراة ، ولكن الحسد قد غلب عليهم . فقال له رسول الله(ص) : فما يمنعك أنت ؟ فقال : إنني لأكره أنْ أخالف قومي ولكن إن أسلموا أسلمت .

وهذه أيضاً زوجة رسول الله(ص) صفية بنت حيّ بن أخطب تروي : عندما قدم رسول الله(ص) الى المدينة مهاجراً من مكة ونزل في قبا ، لقيه أبي حيّ بن أخطب وعمّي أبو ياسر بن أخطب صباحاً ، ثم عادا عند الغروب والهمُّ والغمُّ باديان على وجهيهما ، فاقتربت منهما متخفّيّة حتى أعلم سبب همّهما وحزنهما ، فسمعت عمّي أبو ياسر يقول لأبي : يعني هو هو المُبشَّر به في التوراة ؟ قال : بلىٰ والله .

قال : أتعرفه ؟

قال : لا أحد يقرأ التوراة إلا ويعرفه .

قال : فأي مقام له في نفسك ؟ قال : العداوة والله . الى آخر الخبر .

وهذا هو عبد الله بن سلام أحد علماء يهود المدينة في ذلك الوقت يُشهر اسلامه بين يدي رسول الله(ص) في السنة الأولىٰ للهجرة معترفاً بأنه النبي الموعود المُبشَّر به في التوراة.

وهكذا ظهر لنا واضحاً أن النبي الذي أقامه الله تعالى من وسط اخوة بني اسرائيل هو محمد رسول الله(ص) حفيد اسماعيل(ع).

ولكن قد يعترض البعض هنا بأن اخوة بني اسرائيل غير محصورين ببني اسماعيل، لأنَّ بني عيسو[٨] وأبناء قطورة[٩] زوجة ابراهيم الخليل(ع) هم أيضاً اخوة لبني اسرائيل.

والجواب على هذا الاعتراض هو: نعم إنَّ بني عيسو وأبناء قطورة هم أيضاً اخوة بني اسرائيل ولكن لم يظهر منهم أحدٌ بهذه الصفات المذكورة في سفر التثنية. والله تعالى لم يعط أي وعد بحقٍّ أيّ منهم، بخلاف بني اسماعيل الذي أعطىٰ الله تعالى بحقه عهداً الى ابراهيم وهاجر[١٠]. وبغضّ النظر عن كل شيء فإنَّ بني عيسو ليسوا مطلقاً مصداق هذا الخبر وذلك بسبب إعطاء النبي اسحاق(ع) العهد لابنه يعقوب بدل ابنه الكبير عيسو[١١].

يقول العلامة محمد صادق ـ فخر الاسلام ـ في معرض تعليقه على

---

٨ ــ بنو عيسو معروفون باسم: الآدوميين.

٩ ــ قطورة هي المرأة التي يُقال ان ابراهيم الخليل (ع) تزوجها بعد وفاة زوجته سارة، وولدت له ستة أولاد كما جاء في الإصحاح ٢٥ من سفر التكوين: ١ــ ٢.

١٠ ــ انظر الفصل الأول من هذا الكتاب.

١١ ــ انظر سفر التكوين، الباب ٢٧. حيث أن اسحاق أراد أن يبارك ابنه البكر عيسو ولكن يعقوب أخذ هذه البركة بسبب حيلة قامت بها أمه كما تذكر التوراة.

عبارة «من وسطكم».

«إن عبارة (من اخوتك) جاءت هنا بدلاً من عبارة (من وسطكم) حيث جاء النص بهذا الشكل (نبيّاً من وسطكم من اخوتك). وعند ذكر البدل فإنَّ المُبدل منه يصبح بحكم الساقط ولا يكون هو المقصود في الكلام. والدليل على أن لفظ «من وسطكم» ليس هو المقصود هو أنَّ موسى (ع) عندما أعاد تلاوة النص المشتمل على الوعد الالٰهي، فإنه لم يذكر كلمة «من وسطكم» بل قال «من وسط اخوتهم».

«وأيضاً الحواري بطرس فإنه لدىٰ نقله لنص هذه البشارة بظهور النبيّ الذي بشَّرت به التوراة لم يذكر كلمة «وسطكم». وكذلك استفانوس لم يذكر لفظة «من وسطكم» لدى نقله نص النبوءة هذه وتدوينه لهذا الوعد الالٰهي في كتاب أعمال الرسل ٣٧/٧ حيث قال: «هذا هو موسى الذي قال لبني اسرائيل نبياً مثلي سيقيم لكم الربُّ الٰهكم من إخوتكم له تسمعون».

إنه تصريح واضح يثبت كل ما قلناه حول هذه البشارة التوراتية.

اذاً نستطيع القول بأن لفظة «من وسطكم» ليست هي القصد والغاية بل ليست من صلب النص التوراتي. ونستطيع القول بأنها لفظة أُضيفت فيما بعد تحريفاً للنص، والدليل على ذلك هو:

ــ أولاً: إن المخاطبين في هذا النص التوراتي هم جميع بني اسرائيل وليس البعض منهم، إذاً فعبارة «من وسطكم» موجهة الى جميع القوم. وعلى هذا تكون عبارة «من اخوتك» جاءت لغواً محضاً ولا معنى لها ولكن اللفظ نفسه «من اخوتك» ورد في موضع آخر من النص، مما يجعلنا نستنتج بأنه هو اللفظ الصحيح بينما لفظ «من وسطكم» ليس إلا

إضافةً على النص وتحريفاً له.

ـ ثانياً: لأن موسى(ع) عندما نقل كلام الله تعالى لإثبات كلامه، فإنه لم يذكر عبارة «من وسطكم»، فلو كانت من كلام الله لما جاز له إسقاطها من النص.

ـ ثالثاً: إننا لا نجد هذه العبارة «من وسطكم» في كلام الحواريين الذين نقلوا هذا النص في أناجيلهم ورسائلهم... انتهى كلامه ملخصاً[١٢].

وبهذا ظهر لنا أن هذه البشارة التوراتية هي بشارة بمحمد رسول الله(ص) وبدين الاسلام العزيز الذي بعثه الله به للناس جميعاً.

---

١٢ ـ محمد صادق ـ فخر الاسلام ـ، أنيس الأعلام في نصرة الاسلام ج ٥/٦١ ـ ٦٢.

النبيّ المصطفى يُبْعَثُ من جبل فاران

جمع موسى عليه السلام جميع بني اسرائيل قبيل وفاته ليُلقي عليهم آخر وصاياه وليُعلن لهم آخر بشاراته وتنبؤاته كي لا ينسوا البشارة التي كان قد أدلى لهم بها من قبل[1]، فقال لهم:

«جاء الربُّ من سيناء، وأشرق عليهم من سعير، وتلألأ من جبال فاران، حيث خرج وسط عشرة آلاف قديس، تشع لهم من يمينه انوار الشريعة.

«إنه يُحبُّ أيضاً جميع الشعوب. جميع هؤلاء القدّيسين هم في يدك، وهم جالسون عند قدميك يتلقُّون أقوالك»[2].

كما إنَّ هذا النص موجود بكامله دون أي تغيير يُذكر في نسخة الملك جيمس الانكليزية المعتمدة، حيث جاء فيها:

---

١ ــ انظر البشارة الثانية من هذا الكتاب.

٢ ــ سفر التثنية ٣٣: ٢ ـ ٣ نقلاً عن الترجمة الفرنسية لـ «الكتاب المقدس».

«جاء الربُّ من سيناء، وأشرق عليهم من سعير، وتلألأ من جبل فاران، وقد جاء معه عشرة آلاف من القديسين، ومن يمينه خرجت شريعة نارية...»[٣].

ولكننا نجد أنَّ يد التحريف قد لعبت في الترجمة العربية لـ«الكتاب المقدس» فأُضيف الى نَصِّ هذه البشارة عبارات غير موجودة في باقي الترجمات الى اللّغات الأُخرىٰ ولا في أقدم النسخ اليونانية الموجودة للعهد القديم (أي الترجمة السبعينية). فقد جاء في الترجمة العربية لهذه البشارة:

«جاء الربُّ من سيناء وأشرق لهم من سعير وتلألأ من جبل فاران، وأتىٰ من ربوات القدس»!![٤] وهكذا أضاف مترجمو «العهد القديم» إلى اللغة العربية عبارة «وأتىٰ من ربوات القدس» كما وحذفوا العبارة التي ذكرت فيها كلمة «أنوار الشريعة». وكأنهم أرادوا بذلك طمس الحقيقة الواردة في هذه البشارة، عن أعين القرّاء العرب، والقائلة بأن شريعة الله سوف تظهر وتشرق على العالم من جبال فاران حيث سيتبين لنا معناها في سياق شرحنا لهذه البشارة إن شاء الله. ولذا أضافوا عبارة «وأتى من ربوات القدس» ليوهموا القارىء بأنَّ المقصود بهذه البشارة هو عيسىٰ المسيح(ع) الذي اتخذوه ربّاً لهم من دون الله تعالى. وواضح أنَّهم لجأوا لهذا التحريف لأنهم يعلمون أنه لم يأت أحد بشريعة إلٰهية بعد موسىٰ

La Sainte Bible, traduite par le chanoine A.CRAMPON.

3- The Holy Bible: King James version, Tomas Nelson inc., NewYork, 1977.

٤ ــ الترجمة العربية لـ«الكتاب المقدس»، دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط، ١٩٨٧ و ١٩٩٢.

إلا محمد المصطفىٰ عليهما أفضل الصلاة والسلام، وهذا بحد ذاته يُفند جميع اعتقادات أتباع الكنيسة المسيحية من اعتقاد بفداء المسيح لهم ومن اعتقادهم بـألوهيته وبأنه ابن الله (نعوذ بالله من ذلك) الذي أُرسل لإنقاذهم وتخليصهم من الخطيئة حيث لن يكون بعده أي رسالة الٰهية لإنقاذ بني الانسان من الضلال.

ولذا لدىٰ مطالعتنا لنص هذه البشارة الذي نقلناه ـ أعلاه ـ عن الترجمة الفرنسية والانكليزية المعتمدتين يتبين لنا أنها جاءت على شكل رمزي أو مجازي تتطلب تقديم بعض الإيضاحات ليتبيَّن لنا المعنىٰ المراد منها.

ولدىٰ مقارنتنا لهذا النص التوراتي مع ما جاء في القرآن الكريم في قوله تعالى:

«والتين والزيتون. وطور سينين، وهذا البلد الأمين»[٥].

يتبيّن لنا أنَّ هناك تطابقاً تاماً في المعنى والتعبير بين هذين النصَّيْن التوراتي والقرآني.

إذْ أقسم الله تعالى في سورة التين ببقاع مباركة ثلاث ظهر فيها الخير والبركة، فالتين والزيتون كناية عن منابتهما بالأرض المباركة التي هاجر اليها ابراهيم، وولد فيها عيسى بن مريم عليهم السلام. وطور سينين الجبل الذي كلَّم الله عليه موسىٰ (ع)، والبلد الأمين مكّة المكرمة التي وُلد وبُعث فيها خاتم الأنبياء والمرسلين محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وفيها أيضاً بيت الله الحرام.

---

٥ ــ القرآن الكريم، سورة التين/١ ـ ٣.

«والتطابق بين النصّيْن التوراتي والقرآني هو: سيناء كناية عن الجبل الذي كلم الله عليه موسى (ع) وأنزل عليه التوراة. وسعير كناية عن الأرض المباركة التي وُلد فيها عيسى (ع) وتلقّىٰ عليها الانجيل. وفاران كناية عن الأرض التي سكنها جدُّ رسول الله محمد (ص): سيدنا اسماعيل (ع)»[٦]، وتلقّىٰ عليها محمد (ص) القرآن الكريم عن طريق الوحي.

وحسب ما ورد في التوراة في قصة ابراهيم (ع) مع زوجتيه سارة وهاجر، فقد كانت هاجر جارية للسيدة سارة وصارت زوجة لابراهيم (ع) لانجاب نسل له بسبب أن سيدتها سارة كانت عاقراً، وظنت سارة زوجة ابراهيم أنَّ مهمة جاريتها هاجر هي انجاب نسل فقط مع بقائها جارية تُسخَرها السيدة سارة كيفما شاءت وارادت، وهذا حسب ما يزعمه اليهود في توراتهم.

ولما أنجبت هاجر ابناً لابراهيم (ع)، وكان قرّة عين له، ازدادت السيدة سارة اذلالاً لها وتعنتاً. فاستجارت بزوجها ابراهيم (ع) لكنه تركها لسيدتها سارة بقوله لها: «هوذا جاريتك» فاشتدت بها إيلاماً وايذاءً حتى هربت ترجو النجاة مما ألم بها، فقابلها ملاك الله في الطريق وقال لها: «مالك يا هاجر؟ لا تخافي لأن الله قد سمع لصوت الغلام[٧] حيث هو، قومي احملي الغلام وشدّي يدك لأني سأجعله أُمّة عظيمة،

---

٦ ــ ابراهيم خليل احمد، محمد في التوراة والانجيل والقرآن/٦٦.

٧ ــ اسماعيل.

وفتح الله عينيها، فأبصرت بئر ماء، فذهبت وملأت القربة ماءً وسقت الغلام وكان الله مع الغلام، فكبر وسكن في البرية، وكان ينمو رامي قوس، وسكن في برية فاران، وأخذت له أمه زوجة من ارض مصر»[٨].

يتضح لنا من هذا النص التوراتي إذاً أنَّ الذي سكن أرض فاران هو اسماعيل(ع) جدُّ رسول الله محمد(ص).

يقول ابراهيم خليل أحمد (رحمه الله)، القسيس المصري السابق والذي أشهر اسلامه ودافع عنه بقية عمره في كتاباته: «ولعلّ الله في حكمته سمح بهذه التيارات التي تفاعلت في بيت سيدنا ابراهيم عليه السلام ليستقر اسماعيل عليه السلام في أرض يتميز بها، وتأتي النبوءة على لسان موسى عليه السلام بقوله: (تلألأ من جبال فاران)»[٩].

ولكننا نعتقد بأنَّ استقرار اسماعيل وأمّه هاجر في جبال فاران (بطاح مكة) لم يكن نتيجة إبعاد وطرد من قبل والده ابراهيم الخليل إرضاء لزوجته سارة كما يزعم اليهود ذلك في توراتهم المحرَّفة، فحاشا لابراهيم الخليل وزوجته سارة أن يتصرفا بظلم. بل كان إسكانه لابنه اسماعيل في وادي مكة تلبية واستجابة لأمر الله تعالى حتى يسكن اسماعيل بأرض يتميز بها، وتأتي النبوءة على لسان موسى(ع) بقوله: «تلألأ من جبل فاران».

اذاً المقصود بهذا النص التوراتي في سفر التثنية (٣٣: ٢ــ٣) هو إظهار مكان مبعث الأنبياء الثلاثة: موسىٰ(ع) من طور سيناء،

---

٨ ــ سفر التكوين ٢١/ ١٧ - ٢١. وقد فصّلنا ذلك في البشارة الأولىٰ.

٩ ــ ابراهيم خليل احمد، محمد في التوراة والانجيل والقرآن ص٦٧.

وعيسىٰ(ع) من سعير (في فلسطين) ومحمد(ص) من جبال فاران (الحجاز).

علاوة على ذلك فإنَّ هذه النبوءة تشير أيضاً إلى الأمور التالية:

١ ــ إعطاء وصف دقيق لرسول الله محمد(ص) وأصحابه الأبرار، حيث تصف خروجه على رأس عشرة آلاف من أصحابه. وهذا ما حدث بالفعل عندما خرج رسول الله(ص) من المدينة المنورة على رأس عشرة آلاف من أصحابه متوجهاً لفتح مكة المكرمة وللقضاء على عبادة الأصنام فيها الى الأبد وإعلان الاسلام ديناً عالمياً لجميع البشر.

كما تصف حالة أصحاب رسول الله(ص) وهم جلوس أمامه يتلقفون جميع ما ينطق به تلقفاً، حيث كانوا جميعاً رهن إشارته وأمره.

٢ ــ يُستنتج من هذه النبوءة أنَّ رسالَتَي موسى وعيسى عليهما السلام كانتا مرحليَّتَيْن تُهيِّئان لظهور الرسالة الالٰهية الخاتمة والعالمية، إذ لو كانت رسالتاهما عالميتين لما لزم إرسال نبي آخر بعدهما حاملاً شريعة جديدة تضيء الدرب لجميع الشعوب. إذاً فالرسالة الالٰهية التي بُعث بها رسول الله محمد(ص) من جبال فاران جاءت ناسخة للرسالات السابقة لها في الزمن «ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يُقْبَل منه»[١٠].

٣ ــ مما تقدم يتبيَّن لنا أيضاً في هذه النبوءة التوراتية أنَّ الله تعالىٰ قد ختم بمحمد(ص) سلسلة الأنبياء والمرسلين. فلو كان هناك نبي يأتي بعده للزم على موسى(ع) أن يذكره ويعلن عن مجيئه في نبوءته هذه، ولكنه عليه السلام لم يفعل ذلك بل بيَّن أنَّ الرسالة التي يحملها ذلك النبي القادم من فاران سوف تشعُّ نوراً لجميع الشعوب فـ«هو يُحبُّ جميع

---

١٠ ــ سورة آل عمران: ٨٥.

الشعوب» ومن هذا النبي المبعوث من فاران (بطاح مكة) غير محمد المصطفىٰ(ص) حيث لا علاقة لموسى وعيسى عليهما السلام بجبال فاران ولم يذهبا إليها!

فادّعاء المسيحيين بأنَّ عيسى(ع) هو آخر الأنبياء والرسل لا يصحُّ لأمرين:

١ ــ لأنهم يزعمون أنَّ عيسى هو إله وليس بإنسان فكيف يكون إلهاً ونبياً في نفس الوقت؟

ب ــ لأنَّ الربَّ حسب نبوءة موسى(ع) المذكورة أعلاه «تلألأ من جبال فاران» بعد إشراقه من سعير، وأشعَّت شريعته من فاران لجميع الشعوب. والمعروف لدىٰ الجميع بأنَّ عيسى(ع) لم يكن له علاقة بفاران ولم يأت بشريعة خاصة بل كان على شريعة موسى(ع). ووحده محمد(ص) الذي بُعِثَ بعد عيسىٰ(ع) بستة قرون تقريباً في فاران حاملاً رسالة الٰهية متلألئة بأنوار الحق لجميع الشعوب.

أما ادّعاء اليهود بأنَّ ذلك النبي ما زال لم يظهر وهم ما زالوا في حالة انتظار له فهو واضح الفساد وذلك لأنَّ نبوءة موسى(ع) تؤكد بأنَّ ظهور هذا النبي سيكون من فاران (الحجاز) والجميع يعرف أنَّ هذا النبي الخاتم هو محمد المصطفىٰ(ص) الذي ظهر في مدينة مكة المكرمة في أرض الحجاز حاملاً معه الرسالة الالٰهية الخاتمة والموجهة إلىٰ الناس جميعاً، وقد عرفه علماء اليهود الموجودون في ذلك الحين في المدينة المنورة فآمن به بعضهم وبقي البعض الآخر على كفره وعناده[١١].

---

١١ ــ راجع ما ذكرناه في البشارة الثانية من هذا الكتاب.

محمد وآل بيته (ص) على لسان داود (ع)

لعلّ نبيّ الله داود (ع) من اكثر أنبياء العهد القديم ذكراً ومدحاً لرسول الله محمد (ص) في وصاياه وترانيمه، فهو لم يكتف بالتبشير به (ص) حاملاً للرسالة الخاتمة لجميع الرسالات الالهية، ومناراً لهداية جميع البشرية من زمن بعثته الى انقضاء الزمن وقيام الساعة، بل قام بمدح صفاته الخَلقية والخُلُقية وأشار الى أهم الحوادث التاريخية التي ستجري على عهده وتحت اشرافه، والتي كان لها اكبر الاثر في تغيير وجه التاريخ في الاتجاه الذي يعود بالخير والمنفعة على الحياة على سطح كوكب الارض بشكل عام وعلى بني الانسان (على مستوى الفرد والمجتمع) بشكل خاص، حيث أنار لهم طريق العدالة والاستقامة والهداية الى الله تعالى خالقهم الذي منه البدء وإليه المعاد، مُخلّصاً إيّاهم من براثن الأهواء والظلم والاستغلال.

كما لم يَنْسَ نبي الله داود (ع) ذكر آل بيت محمد رسول الله (ص)

ومدحهم في أقواله ووصاياه مُظهراً بذلك قَدْرَهم الجليل ومقامَهم الرفيع عند الله تعالى، ودورَهم العظيم في قيادة الناس بعد رسول الله (ص) على طريق الهدى والحق ليوصلوهم الى شاطىء الأمان والسلام وذلك بمنعهم من الانحراف عن صراط الله المستقيم الذي بيّنه لهم رسول الله محمد (ص).

فقد ورد أنَّ داود (ع) قال في المزمور الخامس والاربعين (٤٥) من مزاميره بخصوص رسول الله محمد (ص) وآل بيته (ع):

١ ــ فاض قلبي بكلام صالح. ما أقوله هو مدح للملك. لساني قلم كاتب ماهر.

٢ ــ انت أبرع جمالاً من بني البشر. انسكبت النعمة على شفتيك، لذلك باركك الله الى الابد.

٣ ــ تقلّد سيفك على فخذك ايها الجبّار بجلالك وبهائك.

٤ ــ وبجلالك اقتحم. اركب من اجل الحق والتقوى والعدل فتريك يمينك أعمالاً باهرة.

٥ ــ نبالك المسنونة في قلب اعداء الملك. شعوب تسقط تحت اقدامك.

٦ ــ كرسيّك يا الله الى دهر الدهور. قضيب ملكك قضيب استقامة.

٧ ــ أحببتَ العدل وأبغضتَ الظلم من أجل ذلك مسحك الله ـ إلهك ـ بدهن الابتهاج اكثر من رفقائك.

٨ ــ (...).

٩ ــ بنات ملوك بين حظياتك. (....).

١٠ ــ اسمعي يا بنتي وانظري وأميلي أذنك وانسي شعبك وبيت أبيك.

١١ ــ فيشتهي الملك حسنك لأنه هو سيدك فاسجدي له.

١٢ ــ وتأتيك ابنة صور مع جملة من الهدايا، وأغنياء الشعوب يسعون لنيل رضاك.

١٣ ــ كلها مجد ابنة الملك في خدرها. (...).

١٤ ــ عوضاً عن آبائك يكون بنوك تقيمهم أمراء على كل الأرض.

١٥ ــ أذكرُ اسمك على مرِّ الأجيال والعصور. من أجل ذلك تحمدك الشعوب الى أبد الدهر»[1].

ويمكننا إيجاز صفات تلك الشخصية العظيمة المُبَشَّر بها في هذا المزمور على لسان داود (ع) في النقاط العشر التالية:

١ ــ كونه أبرع جمالاً من جميع بني البشر.

٢ ــ انسكاب النعمة على شفتيه.

٣ ــ محاربٌ يقظ لا يعرف الكلل ولا الملل، يقاتل في سبيل الله من أجل إحقاق الحق والعدل.

٤ ــ قبائل وشعوب كثيرة تخضع لسلطته وتتبع شريعته وتذعن لأمره.

٥ ــ سيرته في الحكم نموذج للصراط المستقيم، فهو قد أحبَّ العدل

---

١ ــ مزامير داود ٤٥ : ١-٧ و ٩-١٣ و ١٦-١٧.

ملاحظة: نظراً لركاكة الترجمة العربية التي اخذناها من الكتاب المقدس- دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط ١٩٨٧ اضطررت للاستعانة بالترجمة الكاثوليكية الفرنسية ١٩٣٨ لانها أكثر وضوحاً.

وأبغض الاثم والظلم.

٦ ــ يتزوج من إحدىٰ حفيدات داود(ع) بعد أن تؤمن به وتتبع الشريعة التي بُعث بها.

٧ ــ ابنته (الوحيدة) جليلة القدر عالية المقام.

٨ ــ يتلقّىٰ الهدايا من الملوك ويتزوج من إبنة صور.

٩ ــ يُنصِّب ابناءَه (أحفاده) بأمر من الله قادة وهداة لجميع الامم.

١٠ ــ باركه الله الى الابد، ولذا تمدحه الشعوب ويذكر اسمه الى أبد الدهر.

فمن هي تلك الشخصية العظيمة التي بشّر بها داود(ع) والتي تمتلك تلك الصفات السامية المدوّنة اعلاه؟

وللإجابة على هذا التساؤل علينا أن نناقش ما ذهب اليه كل من اليهود والمسيحيين في تفسير هذه البشارة. فعلىٰ الرغم من إيمان الطرفين بما جاء في هذه البشارة وكونها وحياً من الله تعالى فقد اختلفا في تحديد تلك الشخصية المبشّر بها فيها على لسان داود(ع).

فعلماء اليهود يدّعون أنَّ المبشر به هنا هو سليمان بن داود(ع). ولكنّ ذلك لا يصح من عدة وجوه:

ــ الوجه الاول: لقد ورد في هذه البشارة أنَّ المبشّر به سيباركه الله تعالى الى الأبد وستمدحه الشعوب ويذكر اسمه الى أبد الدهر. ومعلوم أنَّ هذه الصفة لا تنطبق على سليمان(ع)، فاسمه لا يكاد يُذكر إلا في كتب التاريخ، وهو ليس موضع مدح الشعوب حتى اليهود منهم الذين اتهموه بالارتداد عن دين التوحيد وعن عبادة الله تعالى، حيث عكف

(بزعمهم) على عبادة الاصنام والاوثان التي كانت تعبدها الامم المعاصرة له كما ورد ذلك مُفصّلاً في العهد القديم (نعوذ بالله من افتراءاتهم الكاذبة على أنبياء الله واوليائه الصالحين)[٢].

ـ الوجه الثاني: لم يرد في أسفار العهد القديم أنّ سليمان(ع) كان أبرع جمالاً من جميع بني البشر كما جاء في الفقرة الثانية من هذه البشارة.

ـ الوجه الثالث: إن داود(ع) يخاطب في هذه البشارة ابنةً (او حفيدةً) له حيث سيتزوجها هذا المبشَّر به، ولذا يوصيها بإطاعته والخضوع له. فهل يجوز لسليمان، إن كان هو المبشر به، أنْ يتزوج من اخته بنت أبيه؟

ـ الوجه الرابع: جاء في هذه البشارة أنّ الله عزّ وجلّ أمر هذا المبشّر به أنْ ينص على أبنائه (أحفاده) قادةً هداةً على كل الأرض (أي لجميع بني البشر)، بينما لم يذكر لنا التاريخ ولا حتى أسفار العهد القديم أنّ أبناء سليمان(ع) أصبحوا قادةً هداةً بأمر من الله تعالى على كل الارض، بل على العكس فقد جاء في العهد القديم أنّ أكثرهم ارتدّ عن دين التوحيد كافراً ليعكف على عبادة الاصنام[٣].

وبهذا ظهر لنا فساد ادّعاء اليهود وبطلانه وانه لا يمكن أنْ يكون المبشَّر به سليمان بن داود(ع).

امّا بخصوص ادّعاء النصارىٰ القائل بأنّ هذه البشارة جاءت بخصوص عيسىٰ المسيح(ع) فهو أيضاً باطل من عدة وجوه:

---

٢ ـ انظر ما جاء في «سفر الملوك الاول» من العهد القديم، الاصحاح ١١: ١-١٢.

٣ ـ انظر ما جاء في «أخبار الأيام الثاني» الاصحاح ١٢ وما بعده.

ـ فلو أخذنا بعين الاعتبار ما جاء في وصف عيسى (ع) في كتاب «أشعيا» الذي يؤمن به المسيحيون لوجدنا مكتوباً فيه: «لا صورة له ولا جمال فننظر إليه ولا منظر له فنشتهيه»[٤].

كما وصفه جوستان مارتير قائلاً: «إنه كان بلا جمال ولا مجد ولا مهابة» وقال ترتليان: «أما شكله فكان عديم الحسن الجسماني. وبالحري كان بعيداً عن أي مجد جسدي» وكذا قال اوريجانوس: «كان جسمه ضئيلاً خالياً من الجمال»[٥].

اذاً ما جاء في وصف جمال هذا المبشّر به في مزمور داود (ع) لا ينطبق على عيسىٰ (ع).

ـ كما إنَّ ما جاء في الفقرة الثالثة من كون هذا المبشر به «محارب يقظ لا يعرف الكلل ولا الملل، يقاتل من أجل إحقاق الحق والعدالة» لا ينطبق على عيسىٰ (ع) حيث لم يَرْوِ لنا التاريخ ولا أسفار العهد الجديد أنّه خاض حرباً أو شهر سيفاً في وجه عدو.

وهذا لا يعني أنَّ عيسىٰ المسيح (ع) لم يكن يؤمن بالجهاد ضد أعداء الله، بل على العكس، فقد دعا أصحابه لتأدية هذا الواجب الإلٰهي العظيم حين قال لهم: «...الآن من له كيس فليأخذه ومزود كذلك. ومن ليس له سيف فليبع ثوبه ويشتر سيفاً...»[٦] ولكنهم خذلوه وأظهروا ضعفاً ووهناً مما اضطره الى التخلّي عن الدعوة الى الجهاد

---

٤ ـ سفر اشعيا ٥٣ : ٢.

٥ ـ البشارة بنبي الاسلام للدكتور أحمد حجازي السّقا، ص ١٠٨، نقلاً عن حياة المسيح لفردريك ص ١٣٩ - ١٤٠.

٦ ـ انجيل لوقا ٢٢ : ٣٦.

بالسيف صراحة. كما انه عليه السلام كان قد دعى الى حتمية الجهاد بالسيف فقال: «لا تظنوا أني جئت لأحمل السلام الىٰ الأرض. ما جئت لأحمل سلاماً بل سيفاً»[٧]، ولكنه كما بيّنا أعلاه قد تخلّى عن الدعوة الى الجهاد المسلّح بعدما رأى ضعف أصحابه وقصورهم عن القيام بهذا الواجب المقدس.

ــ ولا ينطبق عليه أيضاً ما جاء في الفقرة السادسة من أنَّ هذا المبشر به سوف يتزوج من إحدى حفيدات داود(ع). فعيسى(ع) لم يتزوج في حياته قط، ولذلك لم يكن عنده بنون ولا بنات وهذا ما ينفي كون الفقرة السابعة والتاسعة قد جاءت بحقه.

وكذلك ما جاء في الفقرة الثامنة (يتلقّى الهدايا من الملوك) فانه لا ينطبق عليه حيث انه عليه السلام لم يتلقّ أيّة هدية من حاكم أو ملك.

وهكذا وبعد أنْ فنّدنا ادّعاء كل من اليهود والنصارىٰ بخصوص هذه البشارة، نقول بعون الله ومنّه بأنَّ جميع ما جاء فيها من صفات حميدة ينطبق تمام الانطباق على شخصية رسول الله محمد صلى الله عليه وآله وسلم العظيمة.

ولإثبات صحة ما ذهبنا اليه نبدأ الآن بدراسة هذه النقاط العشر التي أوردناها أعلاه بشيء من التفصيل:

١ ــ كون المبشّر به أبرع جمالاً من بني البشر:

هذه الصفة تنطبق تماماً على شخصية رسول الله محمد(ص). فجميع

---

٧ ــ انجيل متى ١٠ : ٣٤.

كتب السيرة والحديث تتحدث لنا عن جماله وبهائه وهيبته، حيث وصفه بعض أصحابه قائلاً: «لقد كنّا نظن بأن الشمس تضيء في وجهه». أو «كان وجهه يتألق كالذهب المُصفّى». وأيضاً «لم نَرَ أبداً أبهىٰ طلعة وأكثر جمالاً من رسول الله».

وعندما قدم رسول الله (ص) مهاجراً من مكة المكرمة ونزل ضيفاً في خيمة أُم معبد (رض) كانت بعدها تصفه وتقول: «أجمل الناس من بعيد وأحلمهم وأحسنهم من قريب».

هذا من ناحية صورته الجسمية الشريفة، أمّا إذا ما أردنا وصف صورته المعنوية والروحية والخلقية فإنه عليه أفضل الصلاة والسلام بلغ حدّاً من السموّ والكمال لم يبلغه مَلَكٌ مقرّب ولا نبيّ مرسل، حتى أنّ الله تعالى وصفه في كتابه المبين قائلاً:

«وما أرسلناك الا رحمة للعالمين»[٨] وهذه صفة وكرامة لم يتصف بها نبي من الانبياء سوى رسول الله محمد(ص) وذلك لان الله تعالى جعله رحمة للعالمين وليس نقوم دون قوم.

كما وصف الله تعالى خُلُقَ رسوله محمد (ص) فقال: ا«وانك لعلى خُلُقٍ عظيم»[٩].

وهذا كاف لاثبات انه (ص) أجل من جميع بني البشر خَلقاً وخُلُقاً.

---

٨ ــ سورة الانبياء/ ١٠٧.

٩ ــ سورة القلم/٤.

٢ ــ انسكاب النعمة على شفتيه:

هذه صفة ثانية عُرف بها رسول الله محمد(ص) حتى بين أعدائه. فقبائل العرب قد اعترفت بفصاحته وقوة حجته، وقد قال الرواة في وصف كلامه: «كان أصدق الناس لهجة وأفصحهم كلاماً فكان من الفصاحة بالمحل الافضل والموضع الأكمل. حتى أنَّ قريشاً منعت أفرادها من الاستماع اليه خوفاً من أنْ يُفْتَتَنُوا بفصاحته».

كما إن أعظم نعمة تفجرت على شفتيه هي القرآن الكريم الذي تلقّىٰ آياته الكريمة من الله تعالى عن طريق الوحي ونقلها شفاهاً الى الناس حيث تفرّد بمعجزة القرآن الخالد عن جمعي الأنبياء والمرسلين.

كما انه لُقِّبَ(ص) قبل بعثته الشريفة بـ«الصادق الامين» من قبل الكفار والمشركين أنفسهم نظراً لأن لسانه كان مُنزّهاً عن كل عيب أو كذب ولم يكن ينطق الا بما يُرضي الله وينفع الناس.

٣ ــ محارب يقظ لا يعرف الكلل والملل، يقاتل من أجل إحقاق الحق والعدل:

إنها صفة أُخرى من صفات محمد رسول الله(ص)، فقد خاض حروباً كثيرة ضد الكفّار والظالمين والمعاندين وانتصر عليهم فيها جميعاً. فلقد كان خبيراً حاذقاً في وضع الخطط الحربية، ولم يعرف الفرار أبداً في المعارك على الرغم من فرار معظم أصحابه وتخلّيهم عنه في بعض معاركه مع الأعداء (كأُحد وحُنين) الا فئة قليلة منهم كان على رأسها ابن عمه

وصهره علي ابن ابي طالب(ع) حيث أثبتت هذه الفئة إخلاصها ووفاءها بعد أنْ امتحن الله قلوب أفرادها للإيمان في جميع الظروف والاحوال والمواطن. وقد روي عن علي(ع) أنه قال واصفاً شجاعة رسول الله(ص) «كنا إذا احمرَّ البأس ولقى القوم القوم، اتقينا برسول الله(ص)، فما يكون أحد أقرب إلىٰ العدو منه»[١٠].

وكانت جميع حروبه(ص) من أجل إحقاق الحق واقامة العدل وتبليغ رسالة ربّه الى الناس. فحروبه(ص) لم تكن لأسباب شخصية أو قبليّة أو عرقية أو من أجل التسلط على الآخرين واستغلالهم لأغراض شخصية، بل كانت لنصرة الحق وإقامة العدل وتحرير الشعوب من الظلم والاستعباد والقهر، ومن ثم ترك حرية الاختيار لهذه الشعوب المحرّرة في أنْ تعتنق الاسلام أو تبقىٰ محافظة على دينها.

٤ ــ قبائل وشعوب كثيرة تنضوي تحت سلطته وتُذْعن لأمره ولشريعته:

لقد كان جهاد رسول الله محمد(ص) ضد أعداء الله الصادّين عن سبيله والمانعين الناس من اتّباع شريعته، لكي يُلْزمهم كلمة الحق ويمنعهم عن ظلم العباد وتضليلهم وحرفهم عن صراط الله المستقيم.

إذاً فالهدف الاساس من جهاد رسول الله(ص) هو كسر الاغلال والقيود التي وُضعت على عقول الناس ليكون عندهم بعدها حريّة التفكير والاختيار ليختاروا الحق والصواب وينبذوا الباطل والضلال.

---

١٠ ــ أخلاق النبي (ص) وآدابه، الحافظ الأصبهاني، ص ٥٨، مؤسسة الأهرام عام ١٩٨١.

وبمجرّد مطالعتنا لتاريخ الفتوحات الاسلامية يتبيّن لنا أنه ما إنْ قامت الجيوش الاسلامية بتحرير شعوب البلاد التي فتحتها من ظلم الطواغيت واستبداد المستبدّين حتى أقبلت تلك الشعوب تعتنق دين الاسلام متشرّفة بالإنتماء الى أمّة محمد رسول الاسلام(ص). وهذا ما حدث بالنسبة لكثير من الشعوب الآسيوية والافريقية والبعض من سكان القارة الأوروبية التي لو فسح لها المجال لما تأخرت عن الدخول في دين الاسلام والإنضواء تحت لواء شريعته بصفته دين الحق والمنطق ويتناسب مع فطرة الانسان وطبيعته.

٥ ــ سيرته في الحكم نموذج يُحتذى به فـ(خط مُلْكه هو خط الحق)، فهو قد أحبَّ العدل وأبغض الظلم:

لقد اعترف العدو والصديق لمحمد رسول الله (ص) بهذه الصفات، فمن يقرأ سيرة حياته الشريفة يقتنع بسهولة بتحلّيه (ص) بهذه الصفات النبيلة، وكيف لا وهو القائل في قصة المرأة المخزومية التي سرقت: «والذي نفسي بيده لو أنَّ فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها».

«ومن جهة أخرىٰ لا نستطيع تقييم هذا الحب الجارف للعدالة، والبغض الكبير للظلم والاثم عند شخص ما، مالم يمرّ في ظروف تضع صفاته هذه على محك الاختبار والامتحان. وأفضل امتحان يساعد على كشف عمق هذه الصفات وتأصلها في وعي وقلب هذا الشخص هو حينما يكون في موقع السلطة ويعتلي كرسي الحكم ليحكم بين الناس وليفصل بين خلافاتهم. فالفصل بين القضايا العادلـــة وغيـــر العادلة يتيح لنا التعرف الى ماهيّة هذا الحاكم وخفاياه التي يكنّها في قلبه.

«ورسول الله محمد (ص) كان حاكماً وقاضياً ورجل دولة وقائد جيش... الخ، وفي كل هذه المواقع كان يمثل القدوة الحسنة في العدالة والرحمة وفي محاربته للظلم واجتثاثه لأصول الشرّ عند الصديق والعدو. فقد عرف العالم في حياة رسول الله محمد (ص) ولفترة قصيرة بعد وفاته حكماً عادلاً وخلقاً سامياً لم يعرف له مثيلاً من قبل ولا من بعد. ولقد استقبلت الشعوبُ المسلمين بوصفهم فاتحين محرّرين لهم كما حدث في مصر وسورية وفلسطين وايران واسبانيا وغيرها»[11].

٦ ــ يتزوج من حفيدة لداود(ع) بعد ايمانها به وبالشريعة التي أرسل بها:

يوصي نبي الله داود (ع) في هذه البشارة قائلاً: «اسمعي يا بنتي وانظري واميلي أذنك وانسي شعبك وبيت أبيك فيشتهي الملك حسنك لأنه هو سيدك فاسجدي له (أي اخضعي له واطيعيه)».

في هذه النبوءة إشارة من نبي الله داود (ع) الى أنَّ اليهود سيكفرون برسالة الاسلام ويجحدون رسالة رسول الله محمد (ص) كما فعلوا من قبل بعيسى بن مريم (ع)، ولذا فإن رسول الله (ص) سيحاربهم ويجليهم عن أرض الجزيرة العربية وهذا ما دعا نبي الله داود (ع) الى ان ينصح حفيدته بأن تنسىٰ شعبها وبيت ابيها اللذين جحدا رسالة الاسلام التي بعث الله تعالى بها محمداً ليبلغها للناس جميعاً.

وحفيدة داود (ع) هذه هي «صفيّة بنت حيّ بن اخطب» زعيم يهود بني النضير الذين تحالفوا مع المشركين ضد رسول الله محمد (ص)

11- A.ALEM, MOHAMMAD dans la Bible et Jésus dans le Coran, pp. 126-127.

فأجلاهم عن المدينة المنورة الى خيبر الواقعة شمال المدينة. وكانت صفية بنت حي بن اخطب حفيدة داود (ع) متزوجة من كنانة بن الربيع زعيم يهود خيبر. ولكن بعد هزيمة اليهود في خيبر على يد علي بن ابي طالب (ع) وقتل كنانة بن الربيع تزوجها رسول الله محمد (ص).

والظاهر أنّ النبي داود (ع) يُقدم النصح هنا لحفيدته صفيّة هذه بأن تنسىٰ شعبها (اليهودي) الجاحد وتؤمن بالنبي الخاتم للأنبياء والرسل والمُبَشَّر به في هذا المزمور، وأن تخضع له وتطيعه. وهذا ما حدث فعلاً لصفية بنت حي حفيدة داود (ع) حيث اعتنقت الاسلام وأصبحت بزواجها من رسول الله محمد (ص) إحدى أُمّهات المؤمنين نظراً لقول الله تعالى في القرآن الكريم: «النبيّ أولىٰ بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم»[١٢].

والعجب مما قاله الدكتور أحمد حجازي السّقا لدىٰ حديثه عن هذه الفقرة الواردة في هذه البشارة في كتابه «البشارة بنبي الاسلام في التوراة والانجيل» حيث إنّه بعد ان نقل خطأ عبارة داود (ع): «اسمعي يا بنتي» فنقلها: «اسمعي يا بنـــت» علّق قائلا: «اشارة الى أنّ الممالك التي سيدخلها المسلمون فاتحين، تكون سعيدة بدخولها في حوزة المسلمين. وينسون بعد الفتح عادات الآباء وتقاليد المجتمع الضارة، ويكتفون بشعائر الاسلام وعاداته»[١٣]. وواضح أنّ ما ذهب اليه السّقا لا يتناسب مع عبارات نص هذه الفقرة من البشارة حيث يخاطب نبي الله داود (ع) فيها شخصاً معيّناً وهو ابنته أو إحدىٰ حفيداته حيث يقول لها «اسمعي

---

١٢ ــ سورة الاحزاب/٦.

١٣ ــ الدكتور احمد حجازي السّقا، البشارة بنبي الاسلام في التوراة والانجيل ج ٢/١١٠.

يا بنتي»، كما يشير في كلامه (ع) لها إلى حوادث سوف تقع لشعبها اليهودي ولبيت أبيها خاصـــة الذي كان سيد قومه وأنَّ هذا النبي المُبشَّر به سوف يتزوج منها بعد أنْ ينتصر على شعبها وهذا ما حدث في الواقع حينما انتصر رسول الله محمد (ص) على يهود خيبر وتزوج من صفيّة ابنة سيدهم.

٧ ــ ابنته الوحيدة جليلة القدر عالية المقام (كلّها مجد ابنة الملك في خدرها):

هذه اشارة الى بنت رسول الله (ص) فاطمة الزهراء (ع) واظهار لعظمتها ومكانتها العالية عند الله تعالى.

لقد تزوج رسول الله (ص) وأنجب عدة أطفال ماتوا جميعاً في عهده الا ابنته فاطمة (ع) التي تزوجت من الامام علي بن ابي طالب (ع) حيث جعل الله تعالى ذريّة رسوله الكريم من هذا الزواج المبارك. وقد ذكر الكثير من المفسّرين أنَّ المقصود بكلمة «الكوثر» الواردة في سورة الكوثر هو فاطمة الزهراء (ع) حيث أنّه لما مات أولاد رسول الله (ص) الذكور عيّره أحد المشركين بأنّه أصبح أبتر ـ أي لا ذريّة له «فأوحى له الله: «إنا أعطيناك الكوثر فصلّ لربّك وانحر إنّ شانئك هو الأبتر»[١٤] فكانت ذريّة رسول الله (ص) عن طريق زواج ابنته فاطمة الزهراء بابن عمه عليّ بن ابي طالب عليهما السلام حيث يُعَدُّ من ينتسب الى رسول الله (ص) اليوم عن طريق ابنته فاطمة بالملايين.

---

١٤ ــ سورة الكوثر: ١ ــ ٣.

وفاطمة الزهراء عليها السلام هي التي قال عنها أبوها رسول الله (ص) كما نقل لنا البخاري في صحيحه: «فاطمة بضعة مني، فمن أغضبها فقد اغضبني»[١٥] وفي رواية اخرى للبخاري عن ابي الوليد ان رسول الله (ص) قال: «فاطمة بضعة مني من آذاها فقد آذاني»[١٦].

كما إنها عليها السلام إحدىٰ سيدات نساء أهل الجنّة الاربع، فقد نقل لنا احمد بن حنبل في مسنده أن رسول الله (ص) قال: «أفضل نساء أهل الجنة: خديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد، وآسية بنت مزاحم (امرأة فرعون) ومريم بنت عمران»[١٧] وقد صرّحت الكثير من الروايات والاحاديث النبوية الشريفة بأنها سيدة نساء العالمين وسيدة نساء أهل الجنة، فقد روىٰ البغوي في «مصابيح السنّة» أنّ رسول الله (ص) قال لفاطمة (ع): «ألا ترضين أن تكوني سيدة نساء العالمين؟».

وذكر البخاري في صحيحه أنها سيدة نساء أهل الجنة[١٨]، وكذلك الترمذي في سننه ذكر أن ملكاً نزل إلىٰ رسول الله (ص) وبشّره بأنّ فاطمة سيدة نساء أهل الجنة وأن ابنيها الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنة، وهكذا إلىٰ الكثير من الأحاديث النبوية الشريفة التي تُظهر قدر فاطمة وكرامتها عند الله تعالى. وكيف لا وهي أُم الأئمة الأطهار من

---

١٥ ــ صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب مناقب قرابة رسول الله (ص) ج ٥/ ٢١ و ٢٩.

١٦ ــ المصدر نفسه، كتاب النكاح، باب ذب الرجل عن ابنته.

١٧ ــ مسند احمد ٢ ص ٢٩٣، والاستيعاب في ترجمة خديجة.

١٨ ــ صحيح البخاري ج ٤/٢٠٣.

ذريّة رسول الله(ص) الذين جعلهم الله تعالى أئمة يهدون الناس بأمره الى صراطه المستقيم بعد رسول الله(ص) كما سنرىٰ ذلك في فقرة تالية من هذا الفصل إن شاء الله.

ويجب القـــول هنا بأنَّ المراد من كلمة «الملك» الواردة في هذه البشارة (كلها مجد ابنة الملك في خدرها) هو التعبير عن رسول الله محمد(ص)، حيث درجت العادة في العهد القديم عند أهل الكتاب أن يُطلقوا لقب الملك على الأنبياء والرسل العظام خصوصاً منهم أولئك الذين اعتلوا سدّة الحكم وحكموا في شعوبهم.

ومما يثير الدهشة والاستغراب ما ذهب اليه الدكتور السقّافي تفسيره لعبارة نبي الله داود(ع) في وصفه لابنة رسول الله(ص) فاطمة(ع) «كلها مجد ابنة الملك في خدرها». حيث قال بأنها «إشارة الى ما فتحه الله لنبي الاسلام من البلدان»[١٩]؟. فهل هذا نابع عن جهل بالموضوع منه (ولو كنت لا أعتقد ذلك) أم هي محاولة لكتمان الحقيقة وطمسها وحرف النص عن معناه الحقيقي؟ وأعتقد أنَّ مـــا قدّمناه أعلاه من تفسير لهذه الفقرة من البشارة كافٍ لإظهار الحقيقة التي تضمنتها جليّة واضحة.

٨ ــ تلقّيه الهدايا من الملوك والحكّام حيث كان من جملة هذه الهدايا ابنة صور:

تشير هذه النبوءة الى تلقّي رسول الله محمد(ص) الهدايا من الملوك والحكام كالنجاشي ملك الحبشة، ومنذر بن ساوي ملك البحرين، وملك

---

١٩ ــ البشارة بنبي الاسلام، ج ١١٠/٢.

عمان الذين انقادوا لدعوته (ص) وأعلنوا إسلامهم. وأيضاً من هرقل قيصر الروم، والمقوقس حاكم مصر وغيرهم من الأمراء والحكام.

ويمكن أن يكون المقصود بإبنة صور هنا هو الإشارة الى السيدة «مارية القبطية» التي أرسلها المقوقس مع الهدايا الى رسول الله (ص) حيث تزوجها (ص) وأنجبت له ابنه ابراهيم (ع) الذي مات صغيراً.

بينما نجد أنَّ عيسى (ع) لم يتلقَّ أيَّ هدية من ملوك ورؤساء زمانه.

٩ ــ عِوَضاً عن آبائك يكون بنوك تقيمهم أمراء على كل الأرض:

كتب السيد: أ عالم في كتابه باللغة الفرنسية: «محمد في التوراة والانجيل وعيسىٰ في القرآن» معلقاً على ما ورد في هذه الفقرة من بشارة داود (ع) هذه ما ملخصه: لقد حكم أبناء رسول الله (ص) كخلفاء وملوك وحكام على الكثير من بلدان العالم الاسلامي، وما زال بعضٌ منهم حتى اليوم يحكم في بعض أقطار العالم الاسلامي كما كان أجداده خاصـــــة منهم هاشم وعبد المطلب على رأس طبقة الاشراف المتنفذة في مكة حيث كانوا محل احترام وتقدير جميع القبائل العربية آنذاك. انتهى كلامه ملخصاً[٢٠].

كما جاء في كتاب «البشارة بنبي الاسلام في التوراة والانجيل» للدكتور السّقا تعليقاً منه على هذه الفقرة من بشارة داود (ع) ما نصه: «أتباع نبي الاسلام صاروا حكاماً على البلاد. كالدولة الاموية والعباسية، والى هذا اليوم أتباع نبي الاسلام رؤساء في أكثر بقاع

20- A.Alem, Mohammad dans la Bible et Jésus dans le Coran p.128.

الارض...»[٢١].

ولكننا نقول بان هذا التفسير لبشارة داود(ع) هذه لا يتناسب مع روح الرسالة الاسلامية. فالله تعالى لا يأمر بإقامة أنظمة حاكمة لا تلتزم بإجراء أحكام شريعته التي أنزلها على رسوله محمد(ص). فقد وصف الله عز وجلّ الأنظمة التي لا تحكم بما أنزل الله بالظالمة والفاسقة والكافرة في كتابه المبين في سورة المائدة، الآيات ٤٤ و ٤٥ و ٤٧ حيث نذكر هنا واحدة من هذه الايات القرآنية الكريمة:

«ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون». ومعلوم لمن يطالع كتب التاريخ أن حكم بني اميّة وبني العباس لم يكن يمثل النموذج الصحيح للحكم الاسلامي الشرعي. حيث أن ملوك بني أميّة وبني العباس كثيراً ما كانوا يُجرون ما تملي عليهم أهواؤهم ورغباتهم تاركين وراء ظهورهم حكم القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، وكذلك الأمر بالنسبة للحكومات التي جاءت من بعدهم فإنه لا يمكن اعتبارها حكومات اسلامية شرعية لأن ذلك لا يتناسب مع ما جاء في القرآن الكريم حيث يقول الله تعالى:

«واذ ابتلى ابراهيمَ ربُّه بكلمات فأتمهن قال إني جاعلك للناس إماماً، قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين»[٢٢]. فمع مطابقة هذه الآية القرآنية الكريمة مع ما جاء في بشارة داود(ع) (... يكون بنوك تقيمهم أمراء على كل الارض) يتبيّن لنا أنّ أولئك الذين أمر الله تعالى

---

٢١ ــ البشارة بنبي الاسلام ج ٢/١١٠.

٢٢ ــ سورة البقرة/١٢٤.

نبيّه محمداً(ص) بتعيينهم وتنصيبهم أمراء (أي ائمة) على كل الارض (أي على الناس جميعاً) لابدّ من أن يكونوا متحلّين بصفة العدالة والخضوع التام لما أنزله الله تعالى على قلب رسوله محمد(ص) وذلك لكي تتم لهم هداية البشر الى صراط الله المستقيم. والاّ فكيف يأمر الله تعالى نبيّه بتنصيب أفراد لا يحكمون بشريعته ولا يأتمرون بأمره؟

إذاً، فاذا ما أخذنا بعين الاعتبار معنى الآيات القرآنية التي سبق ذكرها أعلاه فان المعنى الصحيح لهذه البشارة هـــــو أن الأمراء المعنيّين بهذه البشارة من أبناء رسول الله(ص) هم قادة للبشرية أو حسب المصطلح الاسلامي «أئمة» للناس يهدونهم الى طريق الخير والهدى والحق حسب ما جاء في شريعة الاسلام السمحاء التي بُعث بها جدُّهم رسول الله(ص). ولعل الآية القرآنية الكريمة التالية توضح لنا بأن تعيين أئمة لهداية الناس لا يتم إلا بأمر من الله تعالى: «وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا»[٢٣].

وقد حثَّ رسول الله(ص) أمّته على التمسك بأهل بيته والإقتداء بهم من بعده وحذّرها من الابتعاد عنهم، فقال(ص):

«ألا إنَّ مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح في قومه، من ركبها نجا، ومن تخلّف عنها غرق»[٢٤].

---

٢٣ ـ سورة الأنبياء: ٧٣. انظر ما كتبناه حول أئمة أهل البيت ـ عليهم السلام ـ في البشارة الأولىٰ من هذا الكتاب.

٢٤ ــ رواه جمع من اصحاب كتب الحديث نذكر منهم: ابن حجر في الصواعق المحرقة ص ١٨٤ و ٢٣٤ ط المحمدية بمصر و ص ١١ و ١٤٠ ط الميمنية بمصر، مجمع الزوائد للهيثمي ج ٩ ص ١٦٨، المعجم الصغير للطبراني ج ٢ ص ٢٢، حلية الأولياء ج ٤ ص ٣٠٦، الجامع الصغير للسيوطي ج ٢ ص ١٣٢ ط الميمنية بمصر، وغيرهم.

وقال ايضاً:

«اني تارك فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلّوا بعدي، أحدهما أعظم من الآخر، كتاب الله حبل ممدود من السماء الى الارض وعترتي أهل بيتي ولن يتفرقا حتى يردا عليّ الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيهما»[٢٥].

ولا يخفى على احد من المسلمين خطبة رسول الله (ص) في غدير خم اثناء عودته من حجة الوداع بين مكة والمدينة والمسلمون مجتمعون يسمعون اليه عندما أخذ بيد علي بن ابي طالب وعيّنه وليّاً وخليفة على جميع المسلمين وذلك بعد أن نزلت عليه الآية الكريمة« يا أيها الرسول بلغ ما أُنزل اليك من ربك وإن لم تفعل فما بلّغت رسالته والله يعصمك من الناس»[٢٦].

وقد روى نزول هذه الآية الكريمة على رسول الله (ص) في غدير خم بين مكة والمدينة اثناء عودته (ص) من حجة الوداع الكثير من علماء المسلمين ومفسريهم نذكر منهم: الحافظ ابو نعيم في كتابه نزول القرآن، الامام الواحدي في كتابه اسباب النزول، ابو اسحاق الثعلبي في تفسيره الكبير، الحاكم الحسكاني في كتابه شواهد التنزيل، جلال الدين السيوطي في الدر المنثور، الفخر الرازي في تفسيره الكبير، ابن جرير

---

٢٥ ــ صحيح الترمذي ج ٥ ص ٣٢٩ حديث ٣٨٧٦ دار الفكر في بيروت، الدر المنثور للسيوطي ج ٦ ص ٧ و ٣٠٦. الصواعق المحرقة لابن حجر ص ١٤٧ و ٢٢٦ ط المحمدية بمصر، اسد الغابة لابن الاثير ج ١٢/٢، تفسير ابن كثير ج ٤ ص ١١٣ ط دار حياء الكتب العربية بمصر، جامع الاصول لابن الاثير ج ١/ ص ١٨٧ ح ٦٥ ط مصر.... وغيرهم.

٢٦ ــ سورة المائدة/٦٧.

الطبري في كتابه الولاية، الالوسي في كتابه روح المعاني... وكثير غيرهم.

ولما نزلت هذه الآية الكريمة جمع رسول الله (ص) المسلمين في مكان غدير خم وقام فيهم خطيباً حيث ننقل هنا ما رواه لنا الطبراني في المعجم الكبير بسند صحيح عن كل من زيد بن الارقم وحذيفة بن اسيد الغفاري. قال: خطب رسول الله (ص) بغدير خم تحت شجرات فقال:

«ايها الناس يوشك أن أُدعى فأُجيب وإني مسؤول وإنكم مسؤولون فماذا انتم قائلون؟ قالوا نشهد انّك قد بلّغت وجاهدت ونصحت، فجزاك الله خيراً، فقال أليس تشهدون أن لا اله الا الله وأنّ محمداً عبده ورسوله وانّ جنّته حقّ وانّ ناره حقّ، وانّ الموت حقّ وانّ البعث حقّ بعد الموت وانّ الساعة آتية لا ريب فيها وانّ الله يبعث من في القبور. قالوا: بلى نشهد بذلك، قال اللهم اشهد، ثم قال: يا ايها الناس انّ الله مولاي، وانا مولى المؤمنين، وأنا أولى بهم من أنفسهم فمن كنت مولاه فهذا عليّ مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه.. الى آخر الخطبة.

كما نقل احمد بن حنبل في مسنده هذه الخطبة عن طريق البراء بن عازب الذي قال: كنّا مع رسول الله، فنزلنا في غدير خم، فنودي فينا الصلاة جامعة، وكسح لرسول الله (ص)، تحت شجرتين فصلّى الظهر واخذ بيد علي، فقال: ألستم تعلمون أني أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ قالوا: بلى قال: ألستم تعلمون أني أولى بكل مؤمن من نفسه؟ قالوا: بلى قال: فأخذ بيد علي، فقال: من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه، قال فلقيه عمر بعد ذلك، فقال له «هنيئاً يا ابن

أبي طالب أصبحت وأمسيت مولى كل مؤمن ومؤمنة»[٢٧].

وهذا ليس بغريب من الانبياء والرسل فكل نبي أو رسول مكلّف بتعيين خليفة له يقوم من بعده بنشر الدين والحفاظ عليه من التحريف وهداية الامة الى طريق الحق والهداية. فهذا هو نبي الله موسى عليه السلام يقوم بتعيين يوشع بن نون بأمر من الله تعالى وأمام جميع بني اسرائيل خليفة له عليهم. فقد جاء في الفقرات ١٥ ــ ٢٣ من الاصحاح ٢٧ من سفر العدد في التوراة أن موسى (ع) قام بتنصيب يشوع بن نون إماماً وخليفة على بني اسرائيل فقد ورد في هذا النص التوراتي:

«فكلم موسى الربّ قائلاً. ليوكّل الربّ إله أرواح جميع البشر رجلاً على الجماعة يخرج أمامهم ويدخل أمامهم ويخرجهم ويدخلهم لكيلا تكون جماعة الربّ كالغنم التي لا راعي لها. فقال الربّ لموسى خذ يشوع بن نون رجلاً فيه روح وضع يدك عليه وأوقفه قدّام العازار الكاهن وقدّام كل الجماعة وأوصه أمام أعينهم. واجعل من هيبتك عليه لكي يسمع له كل جماعة بني اسرائيل. فيقف العازار الكاهن فيسأل له بقضاء الأوريم أمام الربّ. حسب قوله يخرجون وحسب قوله يدخلون هو وكل بني اسرائيل معه كل الجماعة، ففعل موسى كما أمره الربّ. أخذ يشوع وأوقفه قدّام العازار الكاهن وقدّام كل الجماعة ووضع يده عليه وأوصاه كما تكلّم الربّ عن يد موسى».

وهكذا فان حادثة تنصيب موسى (ع) ليشوع بن نون بأمر من الله تعالى إماماً وخليفة له على بني اسرائيل تتكرر بكل تفاصيلها في عهد

---

٢٧ ــ مسند احمد بن حنبل ج ٢٨١/٤.

رسول الله محمد (ص) الذي أمره الله تعالى بتنصيب علي بن ابي طالب إماماً وخليفة على جميع المسلمين.

فهذه سنة الله في أنبيائه بأن لا يذهبوا من هذه الدنيا حتى يعينوا خلفاً لهم يرعى جماعة المؤمنين ويمنعهم من الانحراف إن هم أطاعوه ورضخوا لأوامره.

وأيضاً فإن نبي الله عيسى المسيح عليه السلام الذي لم تدم فترة تبليغه لرسالته اكثر من ثلاث سنوات ولكنه لم يغادر هذه الدنيا حتى قام بتعيين أحد حواريّيه وهو الحواري سمعان (بطرس) وصيّاً له وراعياً من بعده لجميع الذين آمنوا به. فقد نقل يوحنا في انجيله أنّ عيسى (ع) قام بتعيين الحواري سمعان راعياً على جميع المؤمنين من بعده عندما قال له أمامهم: «... يا سمعان بن يونا أتحبني أكثر من هؤلاء. قال نعم يا سيّد أنت تعلم أني أحبك. قال له ارع خرافي»[٢٨].

وهكذا ظهر لنا جليّاً أنّ النصّ على إمامة علي بن ابي طالب والأئمة الأطهار من ولده عليهم السلام ليس في القرآن الكريم والسنّة النبوية الشريفة فحسب بل جاء النصّ عليهم في أسفار العهد القديم كما رأينا على لسان كل من نبي الله موسى ونبي الله داود عليهما السلام، وأيضاً في أسفار العهد الجديد كما سنرى ذلك في تحقيق لنا قادم إن شاء الله.

وهي ـ أيضاً ـ سنة متبعة عند الأنبياء في تنصيب خلفائهم ـ كما أثبتنا ذلك سابقاً.

---

٢٨ ــ انجيل يوحنا، الاصحاح ٢١: ١٥ ـ ١٦.

١٠ ــ باركه الله الى الأبد، لذا تمدحه الشعوب ويُذكر اسمه الى أبد الدهر:

لاشك أنّ الله تعالى بارك جميع أنبيائه ورسله ولكنه سبحانه اختص محمداً رسوله (ص) بأن جعل الشعوب تمدحه ويُصلّى عليه دون انقطاع[٢٩] ويذكر اسمه الى أبد الدهر.

فكل مسلم مكلّف بأن يُصلّي على رسول الله محمد (ص) في صلواته اليومية الخمس وأيضاً كلما ذكر أمامه اسمه الشريف وذلك عملاً بما جاء في القرآن الكريم: «إنّ الله وملائكته يصلّون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلّوا عليه وسلّموا تسليماً»[٣٠].

ولدى مطالعتنا لفصل «الشمس والصلاة» من كتاب «المنهج الايماني للدراسات الكونية في القرآن الكريم» للدكتور عبد العليم عبد الرحمن خضر يتضح لنا أنَّ ذكر رسول الله محمد (ص) والثناء عليه والشهادة له بالنبوة وحمل الرسالة الالهية لايكاد يتوقف لحظة واحدة من على سطح الكرة الارضية، فقد قال الدكتور خضر ما ملخصه:

«... وفي التوقيت المحلّي يُحسب التوقيت في أي مكان من سطح الأرض بحسب موقعه من الشمس، فتوقيت الظهر المحلي هو اللحظة التي تصل فيها الشمس أعلىٰ مداها في كبد السماء ثم تقفل هابطة نحو المغيب... ونظراً لدوران الأرض حول محورها فإنَّ الأماكن التي تقع على نفس خط الطول يكون توقيتها المحلي واحداً وينطلق الأذان لصلاة الظهر

---

٢٩ ــ مزامير داود ٧٢: ١٥.

٣٠ ــ سورة الاحزاب: ٥٦.

(مثلاً) من جميع المآذن في لحظة واحدة ويستمر ذلك (أي صوت الأذان) لمدة ٤ دقائق تكون الشمس خلالها قد انتقلت على خط طول آخر وقبل أن ينتهي المؤذن من الله اكبر الله اكبر... لا اله الا الله، يكون الظهر قد حلَّ في جميع البلدان التي تقع على خط الطول التالي فينطلق صوت المؤذنين يعلن الله اكبر... الله اكبر... الله اكبر... الله اكبر... أشهد ان لا اله الا الله... أشهد ان لا اله الا الله... أشهد أن محمداً رسول الله... أشهد أن محمداً رسول الله... إلى آخر الأذان...» ولما كانت الأرض تدور ٣٦٠ درجة في كل مرة ٢٤ ساعة فان التوقيت المحلي يختلف ساعة كاملة كل ١٥ من درجات الطول أو ٤ دقائق لكل درجة واحدة من درجات الطول...» وبعد ذلك يطرح الدكتور خضر السؤال التالي: ما معنىٰ ذلك؟

ثم يجيب قائلاً: «معنىٰ ذلك أنَّ الأرض تدور حول محورها دورة كل ٢٤ ساعة... ومحيطها مقسّم الى ٣٦٠ خط طول أي أن الزمن الذي تستغرقه الأرض في دورانها أمام الشمس حتى ينتقل الشروق من خط طول الى الخط الآخر يساوي:

ـ الزمن الذي يستغرقه المؤذن لأداء الأذان = ٤ دقائق.

ـ (الله اكبر) (مع بقية الأذان بما فيه: أشهد أن محمداً رسول الله) تطوف حول الأرض بلا انقطاع الى يوم القيامة...

«لأنَّ الأرض إذا أكملت دورة كاملة بدأت تشرق من جديد علىٰ نفس خط الطول الذي بدأنا منه رصد الشروق، أو الزوال أو

المغرب...»[٣١].

ماذا نستنتج من ذلك؟

نستخلص من ذلك أن اسم رسول الله محمد صلى الله عليه وآله وسلم لا ينفك يُذكر دون انقطاع الى أبد الدهر كما جاء في البشارة المذكورة أعلاه وأن الشعوب تمدحه وتثني عليه وتصلّي عليه كلما ذكر اسمه حيث أن الشعوب المسلمة اليوم منتشرة في كافة أقطار الارض.

أضف الى ذلك أنه في كل عام يقوم الملايين من المسلمين بزيارة ضريحه الشريف الذي يتوسط مسجده المبارك حيث أنّ هؤلاء المسلمين منتسبون الى شعوب وبلاد وقارّات مختلفة ولكنهم جميعاً ينضوون تحت لواء أمّة محمد(ص) الاسلامية، فهم يذهبون لزيارة ضريحه والصلاة عليه وطلب الشفاعة منه والتبرك بهذا المقام الطاهر حيث يجتمع حوله أصناف الناس أبيضهم وأسودهم، وأحمرهم وأصفرهم، غنيّهم وفقيرهم، حاكمهم ومحكومهم فيذوب التفاوت الطبقي والعرقي بين الناس أمام ضريحه الشريف والكل يصلّي عليه ويتوسل الى الله تعالى أن يرزقه شفاعة نبيّه محمد(ص).

ولا ننسى أيضاً أنّ الكثير من العلماء والادباء والمفكرين والقادة من غير المسلمين قد أثنوا في كتاباتهم وفي تصريحاتهم على رسول الله محمد(ص) وأبدوا إعجابهم العميق بشخصيته الفذّة التي لم يبلغ سموها ورفعتها أحد من البشر. وكمثال نسجل في آخر هذا المطاف ما قاله

---

٣١ ــ الدكتور عبد العليم عبد الرحمن خضر، المنهج الايماني للدراسات الكونية في القرآن الكريم، الجزء الثاني من سلسلة العلم والقرآن ص ٣٩-٤٠.

البعض منهم ونبدأ ما كتبه الشاعر والأديب الفرنسي الشهير لامارتين حول شخصية رسول الله محمد(ص) حيث قال ما ترجمته :

«لم يستطع أحد من الناس أن يعرض أهدافاً أكثر سموّاً ورفعة من الأهداف التي عرضها وحققها محمد. نعم لأن تلك الأهداف هي فوق قدرة البشر: لقد قام بتقويض المعتقدات الباطلة والخرافية التي كانت تشكل حاجزاً بين المخلوق والخالق، أعاد العلاقة الصحيحة المتبادلة بين الانسان والله وبين الله والانسان، نزّه عقيدة التوحيد الصحيحة العقلية وطهرها من ركام الآلهة الماديّة والتجسيم والأوثان... فإذا كان سموّ الأهداف وتواضع الامكانات والوسائل، وعظمة النتائج المحققة تشكل المؤشرات الثلاث على عبقرية الانسان فمن يجرؤ أن يقيس أحداً من البشر في التاريخ الحديث بمحمد؟ فالأكثر شهرة من رجالات التاريخ لم يستطيعوا أن يفعلوا إلا تحريك الأسلحة، وبعض القوانين، أو تشكيل امبراطوريات، لم يؤسسوا ـ عندما استطاعوا أن يؤسسوا: شيئاً إلا قوىً ماديّة غالباً ما انهارت أثناء حياتهم. أما هذا (أي محمد(ص)) فقد استطاع تحريك جيوش، وشرائع وامبراطوريات وشعوب وسلالات حاكمة وملايين البشر على بقعة تشكل ثلث العالم المسكون، ولكنه قبل كل شيء حرّك بشكل أساسي الأفكار والعقائد والأنفس. لقد استطاع أن يبني حول كتاب ـ تحوّل كلُّ حرف من حروفه الى قانون ـ أمّة روحية تضم شعوباً من مختلف اللغات والأجناس، وزرع في قلوب أفراد هذه الامّة الاسلامية البغض والكراهية للآلهة الباطلة، والعشقَ والخضوعَ للاله الواحد المجرّد عن المادّة... فيلسوفٌ خطيب فصيح، رسول، مُشَرِّعٌ، قائد حربي، صاحب فكر عميق، مصلح العقائد العقلية المنطقية ومطهر

العبادة من التجسيم والصور، مؤسس أكثر من عشرين امبراطورية أرضية ولكنه مؤسس أكبر امبراطورية روحية، هذا هو محمد. فحسب كل المعايير التي تقاس بها عظمة الانسان مَنْ من البشر كان أعظم من محمد؟»[٣٢].

ويقول الفيلسوف الإنجليزي برناردشو: إن محمداً، يجب أن يُدعىٰ مُنْقِذ الإنسانية. إنني أعتقد، أنه لو تولّى رجل مثله زعامة العالم الحديث، لنجح في حل مشاكله بطريقة تجلب إلىٰ العالم السلام والسعادة. إن محمداً هو أكمل البشر في الغابرين والحاضرين، ولا يُتصوّر وجود مثله في الآتين»[٣٣].

ويقول بسمارك، موحد ألمانيا وقائدها الحديدي في القرن التاسع عشر: «إنني تدبرت وتأملت ودققت الكتب المنزّلة السماوية التي يُدّعى أنها واردة من اللاهوت؛ فما وَجَدتُ، لِما فيها من التحريف، مَا أنا طالبه من الحكمة. وإنَّ تلك القوانين ليست بحيث تؤمن السعادة البشرية...

لكنَّ القرآن المحمدي ليس بداخلٍ في ذلك القيد. نَعم دقَّقْتُ القرآن من كل جهةٍ ومن كل نقطة. فوجدت في كل كلمة منه حكمة عظيمة؛ ومن ادّعىٰ أن هذا القرآن تَرَشَّحَ من قريحة محمد فقد أغمض العين عن الحقائق، لأنَّ ذلك الزعم يَمجُّه العلم والحكمة.

وإنني أدّعي أن حضرة محمد، قدوة ممتازة، وليس في الإمكان

32- Jean During, Islam le combat mystique, E.d. Robert Laffond, PP. 95-96.

٣٣ ــ نقلاً عن كتاب «إعجازات حديثة علميّة وَ رَقْميّة في القرآن»، الدكتور رفيق أبو السعود، ص ٨٥.

إيجاد القدوة محمد ثانياً.

فيا محمد، إنني متأثراً جداً من أن لم أكن معاصراً لك. إن الكتاب الذي نَشَرْتَه ليس من قريحتك؛ وإنكار الوهيته هراء. إن البشرية رأت قدوة ممتازة مثلك، مرة واحدة، ولن ترىٰ ذلك مرة أخرىٰ، فبناءً على هذا، إني أُعَظِّمُك بكمال الإحترام راكعاً في حضورك المعنوي»[٣٤].

---

٣٤ ــ المصدر نفسه ٨٥-٨٦.

محمد(ص) والإمام المهدي المنتظر(ع) في المزمور ٧٢ من مزامير داود(ع)

مرَّ معنا في الفصل السابق لدىٰ حديثنا عن المزمور الخامس والأربعين كيف أنه يشكل نوعاً من الثناء والمديح لرسول الله محمد(ص) وآل بيته الأطهار(ع) وذكر صفاته الخُلُقية والخَلْقية وأهم الحوادث التاريخية التي جرت في أيام حياته الشريفة وخاصـــــة ما يتعلق بيهود المدينة المنورة وضواحيها حيث حاربهم رسول الله وانتصر عليهم وأجلاهم عن المدينة وبعض ضواحيها وذلك بعد أن جحدوا رسالته وتآمروا ضده وألّبوا عليه المشركين ولكن ابنة زعيمهم «صفية بنت حي» ـ حفيدة داود(ع) ـ آمنت به وبرسالته فتزوجها النبيُّ(ص) لتصبح بذلك إحدىٰ أمهات المؤمنين كما فصّلْنا ذلك في البحث السابق.

أمّا ما يتعلق بالمزمور ٧٢ والذي نحن بصدد الحديث عمّا جاء فيه من البشارات فإنَّ صياغته شـــبيهة بالأدعية والتوسل إلىٰ الله عزَّ وجلَّ حيث ننقل نص الترجمة العربية لهذا المزمور كما وردت في «الكتاب

المقدس» الصادر عن «دار الكتاب المقدس» في الشرق الاوسط. فقد جاء في هذا المزمور:

١ ــ اللهم اعطِ شريعتك للملك وعدلك لابن الملك.

٢ ــ ليحكم بين شعبك بالعدل ولعبادك المساكين بالحق.

٣ ــ فلتحمل الجبال والآكام السلام للشعب في ظل العدل.

٤ ــ ليحكم لمساكين الشعب بالحق ويخلّص البائسين ويسحق الظالم!

٥ ــ يخشونك ما دامت الشمس وما أنار القمر علىٰ مر الأجيال والعصور!

٦ ــ سيكون كالمطر يهطل على العشب وكالغيث الوارف الذي يروي الأرض العطشى!

٧ ــ يُشرق في أيامه الأبرار ويَعمُّ السلام الى يوم يختفي القمر من الوجود.

٨ ــ ويملك من البحر الى البحر ومن النهر الى أقاصي الأرض.

٩ ــ أمامه يجثو أهل الصحراء ويلحس أعداؤه التراب.

١٠ ــ ملوك ترسيس والجزائر يدفعون الجزية. وملوك سبأ وشبا يقدمون هدايا.

١١ ــ يسجد له كل الملوك. وتخدمه كل الأمم.

١٢ ــ لانه يُنجي الفقير المستغيث به والمسكين إذ لا معين له.

١٣ ــ يشفق علىٰ الضعفاء والبائسين ويخلص أنفس الفقراء.

١٤ ــ ويحررهم من الظلم والجور وتُكْرَم دماؤهم في عينيه.

١٥ ــ فليعش طويلاً وليُعْطَ له ذهب سبأ، وليُصلَّ عليه دائماً

وليُبارَك كل يوم.

١٦ ــ فليكثر القمح والبر في البلاد حتى أعالي البلاد! ولتتمايل سنابل القمح كأشجار جبل لبنان! وليشرق الرجال في المدينة كحشائش الحقول!

١٧ ــ ويبقى اسمه أبد الدهر. وينتشر ذكره واسمه أبداً ما بقيت الشمس مضيئة! وليتبارك به الجميع، وجميع الأمم تنادي باسمه سعيدة[١].

ينسب بعض مترجمي ومفسري العهد القديم من اليهود والنصارىٰ هذا المزمور الى نبي الله داود(ع)، كما ينسبه البعض الآخر منهم الى ابنه سليمان(ع). وقد اختلفت اليهود والنصارىٰ في تعيين الشخصيتين المتوسل الى الله تعالى في بداية هذا المزمور بأن يرسلهما لإنقاذ المستضعفين من الناس وللعمل بشريعة الله وإقامة عدله في الأرض. فقالت اليهود بأن المقصود بـ«الملك» في هذا المزمور هو نفسه نبي الله داود(ع)، وبـ«ابن الملك» سليمان ابنه. ولكن النصارىٰ قالوا بأن المقصود بـ«الملك» هنا هو عيسى المسيح(ع) وبأن جميع ما جاء في هذا المزمور، جاء بشارة به(ع)، ولكنهم لم يعطوا أي تفسير بما يخص عبارة «ابن الملك».

أمّا نحن فنقول بأن إدّعاء الفريقين واضح البطلان. ولتبيين ذلك نبدأ بما يدّعيه اليهود من أن المقصود بـ«الملك» هو نفسه داود وأنّ «ابن الملك» هو سليمان (عليهما السلام)، لنرىٰ أنّ ادّعاءهم هذا باطل من

---

١ ــ المزمور (٧٢: ١ ـ ١٧). اضطررنا للاستعانة بالترجمة الفرنسية للعهد القديم أحياناً نظراً لركاكة الترجمة العربية التي بين أيدينا الصادرة عن دار الكتاب المقدس في الشرق الاوسط. والترجمة الفرنسية التي استفدنا منها هي من ترجمة: LE CHANOINE A.CRAMPON

عدّة وجوه :

ـ أولاً : أنَّ النبـــي داود (ع) لم يكن صاحب شريعة لكي يقول «اللهم اعط شريعتك للملك» لأنه عليه السلام لم يأت بشريعة بل كان نفسه خاضعاً لشريعة موسى (ع).

ـ ثانياً : لا يُعقل أنْ يُسمّي داود (ع) نفسه بـ «الملك» وهو في مقام تذلُّل وتضرُّع وخشوع أمام ملك الملوك وخالق السموات والأرض، فإنَّ ذلك لا يصدر عن أكثر الناس جهلاً بمقام الربوبية فضلاً عن أنْ يصدر عن نبيٍّ من أنبياء الله تعالى. كما إنَّ المعروف عن نبي الله داود (ع) هو خضوعه وخشوعه التامّان لله عز وجل خصوصاً في أوقات الدعاء حيث كان يجلس على التراب ويفترش الأرض في أوقات عبادته وتبتله. فقد ورد في كتاب صموئيل الثاني وصفاً لحال النبي داود (ع) أثناء دعائه ومناجاته ربّه حيث جاء فيه :

«... فسأل داود الله من أجل الصبي. وصام داود صوماً ودخل وبات مضطجعاً على الأرض. فقام شيوخ بيته عليه ليقيموه عن الأرض فلم يشأ ولم يأكل معهم خبزاً»[٢].

كما جاء في تواضع داود (ع) وخضوعه لله تعالى أنه لما جيء بتابوت الربِّ الى بيت المَقْدِس كان (ع) يُهرول ويقفز من الفرح أمام التابوت[٣] مما أدّى الى احتقار زوجته ميكال بنت شاول له حيث استهزأت به قائلة : «ما كان أكرم ملك اسرائيل اليوم حيث تكشَّف

---

٢ ـ كتاب صموئيل الثاني ١٢ : ١٦-١٧.

٣ ـ كتاب صموئيل الثاني ٦ : ١٣-١٤.

اليوم في أعين إماء عبيده كما يتكشَّف أحد السفهاء»[4] فأجابها قائلاً: «أمام الربِّ الذي اختارني دون أبيك ودون بيته ليقيمني رئيساً على شعب اسرائيل كنت أقفز وأهرول من الفرح. وإنني مستعد لأتصاغر أكثر من ذلك وأكون وضيعاً في عيني نفسي. وأمّا عند الإماء التي ذكرت فأتَمَجَّد»[5].

ولذا فإننا نستبعد أن يكون نبي الله داود قد كنّى عن نفسه بـ «الملك» وهو في حال التضرُّع والتذلل أمام الله عز وجل.

ـ ثالثاً: إنَّ ما جاء في الفقرة الخامسة من هذه البشارة (ويخشونك ما دامت الشمس وما أنار القمر على مر الأجيال والعصور) وأيضاً ما جاء في الفقرة الحادية عشرة (ويسجد له كل الملوك. وكل الأمم تخدمه) لا ينطبق على نبي الله داود (ع)، حيث لم يُعرف أن الأمم والشعوب خارج فلسطين كانت وما تزال تخشاه على مر الأجيال والعصور ولا أن الملوك والأمم من خارج فلسطين كانت تطيعه وتخدمه.

ونحن إذا ما أخذنا بما جاء في الفقرة الخامسة عشرة (... وليُصلَّ عليه دائماً وليبارك كل يوم)، وأيضاً ما جاء في الفقرة السابعة عشرة (ويبقىٰ اسمه أبد الدهر (...)! ويتباركون به وكل الأمم تنادي باسمه سعيدة) لوجدنا أنَّ أيّاً من هذه الصفات لا تنطبق على نبي الله داود (ع). كما إنَّ هذه العبارة «ويتباركون به وكل الأمم تنادي باسمه سعيدة» وأيضاً عبارة «ويسجد له كل الملوك. وكل الأمم تخدمه» تشير إلى أنَّ وعد الله لابراهيم (ع) بأن يجعل جميع الأمم تتبارك به قد تحقق

---

٤ ـ كتاب صموئيل الثاني ٦: ٢٠.

٥ ـ كتاب صموئيل الثاني ٦: ٢١ ـ ٢٢.

بظهور هاتين الشخصيتين العظيمتين من نسله والتي يناجي داود(ع) ربّه لكي يرسلهما للناس لينشرا شريعته ويقيما عدله على الأرض بين الناس.

ـ رابعاً : هو أنه بعد أنْ دعا نبيُّ الله داود(ع) ربّه لكي يُرسل تلك الشخصية العظيمة المُعَبَّر عنها بـ«الملك» بالشريعة الالٰهية ليحكم بها بين الناس، شرع بالتحدث بصيغة الغائب مصوراً لنا المستقبل بعد مجيء هذا المبشَّر به الذي سيحمل شريعة الله الى الناس حيث ستخضع لها الشعوب والأمم وسيقوم ابنه (أو حفيده) بإقامة عدل الله في الأرض بحسب قوانين هذه الشريعة الالٰهية الخاتمة. إذاً إنَّ هاتين الشخصيتين العظيمتين ستأتيان بعد عصر داود(ع) وهذا ما يُبطل إدّعاء علماء اليهود من كون المقصود بـ«الملك هو داود(ع).

واذا بطل بالتحقيق كون الشخصية الاولى (أي الملك) هي داود(ع) بطل بالنتيجة كون الشخصية الثانية (أي ابن الملك) هي سليمان(ع).

ويمكن أيضاً إبطال دعواهم من كون المقصود بـ«ابن الملك» هو سليمان(ع) من وجهين:

ـ الأول: بحسب اعتقاد أهل الكتاب وتصريح كتابهم المقدس فإنَّ سليمان قد ارتدَّ عن عبادة الله تعالى وعكف على عبادة الأوثان[٦]

---

٦ ـ ورد في سفر الملوك الأول ١١ : ١ ـ ١٢ : «وأحبَّ الملك سليمان نساءً غريبة كثيرة مع بنت فرعون موآبيّات وعمونيّات وأدوميّات وصيدونيّات وحثيّات من الأمم الذين قال عنهم الربُّ لبني اسرائيل لا تدخلون إليهم وهم لا يدخلون إليكم لأنهم يميلون قلوبكم وراء آلهتهم. فالتصق سليمان بهؤلاء بالمحبة. وكانت له سبع مئة من النساء السيّدات وثلاث مئة من

(ونعوذ بالله من افتراءاتهم الباطلة على أنبياء الله ورسله)، حيث أقام معابد مرتفعة للأصنام مقابل هيكل الربِّ، وكانت زوجاته يعبدن الأصنام في بيته. فأي ظلم أعظم وأشنع من هذا الظلم؟! مع إنَّه قد ورد في سفر التثنية من التوراة قول الله تعالى: «أنا: أنا هو وليس إله معي»[٧]

كما أنَّبَ نبي الله أشعياء(ع) بني اسرائيل لانحرافهم عن دين التوحيد وجَعْلهم شركاء مع الله فقال لهم: «... فبمن تُشبِّهون الله، وأي شبهٍ تعادلون به؟! ألا تعلمون؟! ألا تسمعون؟! الله هو الربُّ الى الأبد»[٨].

وجاء في القرآن الكريم على لسان لقمان وهو يعظ ابنه:

«يا بني لا تشرك بالله إنَّ الشرك لظلم عظيم»[٩].

وينطبق أيضاً جميع ما أوردناه أعلاه حول عدم خصوصية هذه

السراري فأمالت نساؤه قلبه. وكان في زمان شيخوخة سليمان أنَّ نساءه أملن قلبه وراء آلهة أخرى ولم يكن قلبه كاملاً مع الربِّ إلهه كقلب داود أبيه. فذهب سليمان وراء عشتروت إلهة الصيدونيين وملكوم رجس العمونيين. وعمل سليمان الشر في عيني الرب ولم يتبع الربَّ تماماً كداود أبيه. حينئذ بنى سليمان مرتفعة لكموش رجس الموآبيين على الجبل الذي تجاه أورشليم. ولملك رجس بني عمُّون. وهكذا فعل لجميع نسائه الغريبات اللواتي كُنَّ يوقدن ويذبحن لآلهتهن فغضب الربُّ على سليمان لأنَّ قلبه مال عن الربِّ إله اسرائيل الذي تراءىٰ له مرتين. وأوصاه في هذا الأمر ألا يتبَّع آلهة أخرى. فلم يحفظ ما أوصى به الربُّ فقال الربُّ لسليمان من أجل أنَّ ذلك عندك ولم تحفظ عهدي وفرائضي التي أوصيتك بها فإني أمزِّق المملكة عنك تمزيقاً وأعطيها لعبدك. إلا أني لا أفعل ذلك في أيّامك من أجل داود أبيك بل من يد إبنك أمزقها».

٧ ــ سفر التثنية ٣٢: ٣٩.

٨ ـ سفر أشعياء ٤٠: ١٨ و٢١ و٢٨.

٩ ــ قرآن كريم، سورة لقمان: ١٣.

البشارة بداود (ع) على ابنه سليمان (ع).

ـ الثاني : ربّما احتجَّ بعضهم بأن أوصاف هذا المُلْك العظيم الواردة في هذه البشارة يمكن لها أن تنطبق على مُلْك سليمان (ع) حيث جاء في القرآن الكريم أنّه دعا ربّه قائلاً : «... وَهَبْ لي مُلكاً لا ينبغي لأحد من بعدي إنك أنت الوهّاب»[10]. ويقولون انَّ سليمان (ع) دعا الله تعالى أن لا يؤتي مثل ما أُوتيه من الملك لأحد من العالمين غيره. ولكن الحقَّ كما ذكره العلاّمة المرحوم محمد حسين الطباطبائي في تفسيره «الميزان» حيث قال : «... ويدفعه أنَّ فيه سؤال مُلْك يختص به لا سؤال أنْ يمنع غيره عن مثل ما أتاه ويحرمه ، ففرق بين أن يسأل أُوتيه مُلكاً اختصاصياً وأن يسأل الاختصاص بملك أُوتيه»[11].

كما إنَّ الواقع التاريخي يثبت لنا أن مملكة سليمان (ع) لم تزدد سعة عمّا كانت عليه أيام أبيه داود (ع)، وسلطته لم تكن إلا علىٰ بني اسرائيل فقط. فهو لم يملك مصر ولا العراق ولا حتى سورية ، بل كان علىٰ علاقات ودّية في غالب الأحيان مع الممالك المجاورة لمملكته. ومجيء بلقيس ملكة سبأ إليه كان لكثرة ما سمعته عن حكمته ودين التوحيد الذي كان يدعو الناس إليه ، فقد كان نبيّاً ملكاً ، آتاه الله تعالى من الحكمة والعلم ما لم يؤته أحداً في زمانه. ومما يدل على ذلك ما جاء في سفر الملوك الأول في قصة ورود الملكة بلقيس على سليمان (ع) :

«وسمعت ملكة سبأ بخبر سليمان واسم الربِّ فقدمت لتختبره

---

١٠ ـ سورة ص : ٣٥.

١١ ـ تفسير الميزان ج ١٧ : ٢٠٥.

بأحاجيّ... وقالت للملك حقاً كان الكلام الذي بلغني في أرضي عن أقوالك وعن حكمتك. ولم أُصدِّق ما قيل لي حتى قَدِمْتُ وعاينت بعينيَّ فإذا إني لم أُخبر بالنصف، فقد زِدْتُ حكمةً وصلاحاً علىٰ الخبر الذي سمعته... تبارك الربُّ الهُك الذي رضيَ منك وأجلسك علىٰ عرش إسرائيل...»[١٢].

وقولها له «تبارك الربُّ إلٰهك الذي رضيَ منك وأجلسك على عرش اسرائيل». دليل على أنَّ سلطته كانت على بني اسرائيل فقط وليس على بقيَّة الشعوب والأمم.

فدعاؤه (ع) كان بأن لا يهب الله تعالى ملكه الذي أعطاه إيَّاه لأحد من بعده، وذلك لما أطلعه الله على فساد الذين سيرثونه من بعده. وقد استجاب الله عز وجل دعاءه فسرعان ما انقسمت مملكته من بعده فاختص ابنه «رحبعام» بجزء صغير من مملكة أبيه سليمان عاصمته القدس وأطلق عليها اسم «مملكة يهوذا»، أما الجزء الأكبر من المملكة فقد استقل به «يربعام» أحد المتمردين أيام حكم سليمان (ع)، وأسَّسَ فيه مملكة اسرائيل في منطقة نابلس التي كانت تُسمى بـ «السامرة».

ونتيجة للحروب التي قامت بين مملكة يهوذا في القدس ومملكة اسرائيل في السامرة فقد ضعفتا وأصبحتا هدفاً لاجتياح الامبراطوريات والممالك المجاورة لهما كالفراعنة والآشوريين والبابليين حتى تلاشتا من الوجود. وبذلك استجاب الله تعالى دعاء سليمان إيّاه بأن لا يهب ملكه لأحد من بعده فلم يملك أحد من بني اسرائيل ملكاً كَمُلْك سليمان من

---

١٢ ــ سفر الملوك الاول: الاصحاح العاشر: ١، ٦، ٧، ٩.

بعده.

وبهذا ظهر لنا بطلان ادّعاء اليهود من أنَّ البشارة الواردة في المزمور ٧٢ جاءت بحق داود وابنه سليمان عليهما السلام.

وأمّا إدّعاء النصارىٰ بأنَّ هذه البشارة قد وردت بحق عيسىٰ المسيح (ع) فإنه إدّعاء باطل أيضاً من عدّة وجوه:

فعيسىٰ ابن مريم (ع) لم يكن صاحب مُلْكٍ ولم يحكم ولا يوماً واحداً، بل على العكس كان لليهود السلطة عليه، فقد أخذوه وأهانوه وضربوه واستهزؤوا به وقتلوه على حسب زعمهم. كما إنه لم يكن له ابن (فهو لم يتزوج في حياته) حتى يُقال بأنَّ الدعاء «واعط عدلك لابن الملك». جاء بحقّه.

وأيضاً فإن السيد المسيح (ع) لم يأت بأحكام جديدة حتى يُقال بأنَّ ما جاء في هذا الدعاء «واعط شريعتك للملك». مختص به (ع)، وهذا بشهادة الأناجيل الأربعة الموجودة بين أيدي الناس اليوم، فإنها تكاد تكون خالية من الأحكام، فالسيد المسيح اعترف بنفسه قائلاً: «لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء. ما جئت لأنقض بل لأكمل»[١٣].

كما إنَّ معظم الصفات الواردة في هذا المزمور الثاني والسبعين لا تنطبق على عيسى المسيح (ع).

وهكذا وبعد أن بيَّنّا بطلان ادّعاءات كل من اليهود والنصارى حول هذه البشارة نقول بأنَّ جميع الأوصاف الواردة فيها تشير وبدون أدنى

---

١٣ ــ انجيل متى ٥: ١٧.

تكلف الى رسول الله محمد صلى الله عليه وآله وسلم الذي تم التعبير عنه في هذا المزمور بـ«الملك» وإلىٰ حفيده الامام المهدي المنتظر(ع) المعبَّر عنه بـ«ابن الملك».

فالفقرة الأولى من هذه البشارة والتي جاءت على شكل دعاء: «اللهم اعط شريعتك للملك وعدلك لابن الملك». تشير الى أنه سوف تظهر بعد زمن داود(ع) شخصيتان عظيمتان: إحداهما سوف تحمل شريعة الله الى الناس كافة، والثانية سوف تقيم العدل في الأرض على أساس الشريعة الالٰهية التي حملتها الشخصية الأولى المعبَّر عنها بـ«الملك».

إذاً الفرق الوحيد الموجود بين «الملك» و «ابن الملك» هو كون الأول نبيٌّ مرسل من قبل الله تعالىٰ بشريعته الخاتمة الى الناس كافة، أما الثاني وهو «ابن الملك» فليس بنبي ولا صاحب شريعة إنما سيكلف من قبل الباري عزَّ وجلّ بإقامة العدل في الأرض على أساس الشريعة الالٰهية التي بُعث بها ذلك النبي المرسل. إذاً و «ابن الملك» سيكون بمثابة إمام يهدي الناس الى الله ويحكم بينهم بالعدل على أساس شريعة ذلك النبي المرسل. أما بقيّة الصفات الواردة في هذه البشارة فهي مشتركة بين النبي (الملك) صاحب الشريعة والامام (ابن الملك) الذي سيقيم العدل على الأرض.

بقي أن نعرف بأن بين هاتين الشخصيّتين العظيمتين يوجد نسب قرابة حيث عبَّر عنهما بـ«الملك» و «ابن الملك»، وهذا ينطبق على رسول الله محمد(ص) المعبَّر عنه بـ«الملك» وعلى حفيده وابنه الامام المهدي المنتظر(ع) المعبَّر عنه بـ«ابن الملك».

وفي الحقيقة فإنَّ ما جاء في المزمور ٧٢ يُعد من أقوى البشارات في حق كل من رسول الله(ص) وحفيده المهدي المنتظر(ع) حيث جمعت خلاصة أمريهما صلوات الله وسلامه عليهما، ولم يستطع التحريف الذي أُحدث فيها من أن ينال منها وظلت متماسكة البناء واضحة المعاني والدلالات.

ولمزيد من الايضاح نقوم بإلقاء الضوء، بشيء من التفصيل، على الأوصـــاف الواردة في هذه البشارة لنرى كيف أنها تشير بوضوح الى كل من رسول الله (ص) وحفيده الامام المهدي المنتظر(ع).

فالفقرة الاولـى منـــها تشـير الى ان المبشَّر به سيكون له سلطان على الناس حيث عبَّر عنه بـ«الملك» وسيكون صاحب شريعة وأحكام لجميع الناس حيث يلزم على جميع الشعوب والأمم الانضواء تحت رايتها. ومن المعلوم أن هذه الصفة لا تنطبق إلا على رسول الله محمد(ص) صاحب الشريعة المستقلة عن جميع الشرائع السابقة وصاحب السلطة الالٰهية على جميع البشر حيث أرسله الله تعالى للناس كافة[١٤] وجعله رحمة للعالمين[١٥] بينما أُرسل بقية الأنبياء برسالة خاصة كلٌّ إلى قومه. فقد جاء في سفر الملوك الأول أن الله تعالى منع أنبياء بني اسرائيل وقومهم من الدخول على الأقوام الأخرى خشية أن تميل قلوبهم الى آلهة تلك الأقوام والشعوب: «وأحبَّ الملك سليمان نساء غريبة كثيرة مع بنت فرعون:

---

١٤ ــ في القرآن الكريم سورة سبأ ٢٨ «وما أرسلناك إلّا كافة للناس بشيراً ونذيراً ولكن أكثر الناس لا يعلمون».

١٥ ــ في القرآن الكريم سورة الأنبياء ١٠٧: «وما أرسلناك الا رحمة للعالمين».

موآبيّات وعمونيّات وأدوميّات وصيدونيّات وحثيّات من الأمم الذين قال عنهم الربُّ لبني اسرائيل: «لا تدخلون إليهم وهم لا يدخلون إليكم لأنهم يميلون قلوبكم وراء آلهتهم»[16]. وبهذا يتبيّن لنا أن أنبياء بني اسرائيل لم يرسلوا إلا إلى قومهم بني اسرائيل. كما صرّح عيسى بن مريم (ع) أنه لم يُرسل إلّا الى خراف بني اسرائيل الضالة[17].

ولذا تم التعبير عن رسول الله محمد (ص) بـ «الملك» لأنَّ شريعته ستحكم جميع الشعوب والأمم. وهذا ما دعا نبيَّ الله دانيال (ع) الى الاشارة الى رسول الله (ص) بأنه صاحب السلطان والمملكة التي ستبقى الى الأبد، فقد ورد في كتاب دانيال ما نصه: «وفي أيام هؤلاء الملوك يقيم إلٰه السموات مملكة (أي شريعة) لن تنقرض أبداً وملكها لا يُترك لشعب آخر، وتُسحق وتفنىٰ كل هذه الممالك وهي تثبت الى الأبد»[18].

كما تنبأ دانيال (ع) مرة ثانية بمجيء محمد رسول الله وبأنّ شريعته لن تنمحي أبداً فقال: «كنت أرى في رؤى الليل وإذا مع سحاب السماء مثل ابن انسان أتى وجاء الى القديم الأيام[19] فقرّبوه قدامه[20] فأُعطيَ سلطاناً ومجداً وملكوتاً لتتعبّد له كل الشعوب والأمم والألسنة. سلطانه سلطان أبدي ما لن يزول وملكوته مالا ينقرض»[21].

---

١٦ ــ سفر الملوك الاول، الاصحاح ١١ : ١ - ٢.

١٧ ــ انظر انجيل متى ١٥ : ٢٤ «فأجاب وقال: لم أرسل إلّا الى خراف بيت اسرائيل الضالّة».

١٨ ــ سفر دانيال ٢ : ٤٤.

١٩ ــ «القديم الأيام» تعبير مألوف في العهد القديم يقصد به الله تعالى (أي القديم الأزل).

٢٠ ــ اشارة الى معراج رسول الله (ص).

٢١ ــ سفر دانيال ٧ : ١٣ - ١٤.

كما نادىٰ نبي الله يحيىٰ (ع) ببني اسرائيل وهو يعمدهم بأن يتوبوا الى الله ويعدُّوا أنفسهم ويعدُّوا الناس لاستقبال شريعة الله الخاتمة والخالدة التي عبَّر عنها بملكوت السموات فقال لهم:

«توبوا لأنه قد اقترب ملكوت السموات. فإنَّ هذا هو الذي تكلَّم عنه النبيُّ أشعياء قائلاً: صوتٌ صارخ في الصحراء، أعدُّوا طريق الربِّ. اصنعوا سبله مستقيمة»[٢٢]

ومعلوم أن هذا الصوت الصارخ في الصحراء والذي دعا الى عقيدة التوحيد الخالص والى التمسك بصراط الله المستقيم هو محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وأيضاً ما جاء على لسان زكريا (ع)[٢٣] من بشارة تنطبق على تَيْنك الشخصيّتين العظيمتين المُبَشَّر بهما في المزمور الثاني والسبعين من مزامير داود (ع) والتي أثبتنا أعلاه أنهما: محمد رسول الله (ص) وحفيده الامام المهدي المنتظر (ع). فقد نسب الى زكريا (ع) القول «ابتهجي جدّاً يا ابنة صهيون، اهتفي يا بنت أورشليم. هوذا ملكك قادم إليك هو عادل ومنصور»[٢٤].

وهاتان الصفتان العادل والمنصور هما صفتان مشتركتان لرسول الله (ص) ولحفيده الامام المهدي (ع). ولكن النصارىٰ يدَّعون أن بشارة

---

٢٢ ــ انجيل متى ٣ : ٢ - ٣.

٢٣ ــ زكريّا: من أواخر أنبياء العهد القديم مع حجّاي وملاخي، عاش في أواخر القرن السادس قبل الميلاد، له نبوءات مستقبلية كثيرة. وهو غير زكريا كافل مريم ابنة عمران ووالد نبي الله يحيىٰ (ع).

٢٤ ــ سفر زكريا ٩ : ٩.

زكريا هذه جاءت خاصةً بعيسىٰ المسيح (ع). الّا انّ ادّعاءهم هذا باطل لأن عيسى (ع) لم يكن صاحب سلطة يحكم بها ولا خاض حرباً ما حتى يوصف بالمنصور، ولهذا السبب تردد مترجمو العهد القديم من النصارىٰ الى اللغة الفرنسية في ترجمة كلمة «منصور» فلم يختارو ما يقابلها بالفرنسية (Vainqueur) لما رأوا أن هذا الوصف لا يناسب وضع نبيِّ الله عيسى (ع) ولذا عمدوا الى تحريف المعنى وترجموها بـ «المحمي من قبل الله» (Protegé de Dieu). ومع ذلك فإن هذه الصفة الجديدة «المحمي من قبل الله» لا تنطبق على عيسىٰ (ع) وذلك لما ذُكر في أناجيلهم من أنَّ الله لم يحمه من كيد ومكر أعدائه، بل تركه فريسة سهلة لحقدهم عليه وإيذائهم له حتى اضطر أن يصرخ - كما يزعمون - قائلاً: «ايلي، ايلي لما شبقتني!» أي (الٰهي، الٰهي لم تركتني!)[٢٥].

وبهذا يظهر لنا أنَّ بشارة زكريا (ع) هذه ليست خاصـــةً بنبي الله عيسى بن مريم (ع) بل جاءت بخصوص محمد خاتم الأنبياء والمرسلين (ص) الذي أنقذ البشرية بنور شريعة الاسلام الالٰهية وأخرجهم من ظلمات العبودية لغير الله الى نور العبودية لله الواحد الأحد، وأيضاً تنطبق هاتان الصفتان على حفيد رسول الله (ص) الامام المهدي المنتظر (ع) الذي سينقذ البشرية من ظلمات الظلم والجور والاستغلال وينشر العدل في الأرض على أساس شريعة الاسلام الالٰهية حيث ستكون معركته الحاسمة مع القوىٰ المادية الصهيونية والاستكبار العالمي محرراً بذلك أرض فلسطين والمسجد الاقصى من براثنهما الخبيثة.

---

٢٥ ــ انجيل متى ٢٧ : ٤٦.

ومن الواضح تاريخياً أنَّ رسول الله (ص) خاض حروباً كثيرة نصره الله فيها جميعاً على أعدائه حتى هابته الرؤساء والملوك وأذعن الكثير منهم لإرادته. وقد وردت في القرآن الكريم آيات كثيرة تشير الى نصر الله تعالى لرسوله محمد (ص) نذكر منها:

«وينصرك الله نصراً عزيزاً»[٢٦].

«لقد نصركم الله في مواطن كثيرة»[٢٧].

وقال أيضاً: «ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنوداً لم تروها وعذَّب الذين كفروا، وذلك جزاء الكافرين»[٢٨].

وحتى عدول النصارىٰ عن كلمة «منصور» الواردة في بشارة زكريا (ع) وتحويلها الى «المحمي من قبل الله» لا يجعلها تنطبق على عيسى (ع) كما بيَّنا ذلك أعلاه. بل إنَّ هذه الصفة الجديدة «المحمي» هي أيضاً من صفات رسول الله محمد (ص) الذي حماه الله من جميع المؤامرات التي حيكت ضده من قبل الكفار والمشركين والمنافقين واليهود. فقد تكفل الله تعالى بحمايته من مكائد الناس ومكرهم به فقال عز وجل مخاطباً رسوله الكريم: «والله يعصمك من الناس»[٢٩].

وعودة الى البشارات الواردة في المزمور ٧٢ فإن جميع ما ورد فيه جاء مشتركاً بين رسول الله محمد (ص) وحفيده المهدي المنتظر (ع) إلا بما يخص الرسالة والنبوة فإنها من خصوصيات رسول الله محمد (ص).

---

٢٦ ــ سورة الفتح ٣.

٢٧ ــ سورة التوبة ٢٥.

٢٨ ــ سورة التوبة ٢٦.

٢٩ ــ سورة المائدة ٦٧.

فالصفات الواردة في كل من الفقرات ٢، ٣ و ٤ مشتركة بين رسول الله (ص) وحفيده المهدي المنتظر(ع) حيث أن مهمتهما بعد دعوة الناس الى طاعة الله وعبوديته رفع الظلم عن كاهل الشعوب وردع الظالمين وسحقهم ونصرة المظلومين والبائسين والمساكين. ومن يدرس تاريخ رسول الله (ص) يتبيّن له أنه كان عوناً للمظلومين والفقراء والمساكين وحرباً على الظالمين والمستكبرين. وهكذا سيكون حفيده المهدي المنتظر(ع) فإنه سينشر القسط والعدل في الأرض بعد أن تكون قد ملئت ظلماً وجوراً، كما ورد في الأحاديث النبوية المتواترة عند المسلمين[٣٠].

اما ما ورد في الفقرة الخامسة: «ويخشونك ما دامت الشمس وما أنار القمر على مر الأجيال والعصور». فإنها حقيقة واضحة فالذين آمنوا برسالة الاسلام التي حملها رسول الله محمد (ص) يخشون أن يخالفوا أوامر شريعته فيخسرون يوم القيامة شفاعته وينالهم بذلك عذاب الله وسخطه. أما الطواغيت والمستكبرون والذين كفروا برسالته فإنهم يخافون دوماً وأبداً من أن يُحكّموا يوماً بشريعته لأنها تقف سداً مانعاً أمام طغيانهم واستكبارهم وأطماعهم وتمنعهم من استغلال الآخرين من

---

٣٠ ــ نذكر منها على سبيل المثال ما رواه أبوداود في سننه عن عبد الله عن النبي(ص) أنه قال: «لو لم يبق من الدنيا إلّا يوم لطول الله ذلك اليوم حتى يبعث فيه رجلاً مني» أو قال: «من أهل بيتي» يواطىء اسمه اسمي، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً» (أبو داود ج٤/١٠٧). انظر البشارة العاشرة من هذا الكتاب حيث فصلنا القول بما يتعلق بالامام المهدي المنتظر عليه السلام.

المستضعفين والفقراء والمساكين. ولذلك قال عنه السيد المسيح (ع) مبشراً بقدومه (ص): «ومتىٰ جاء ذلك (البركليت = أحمد) فإنه سيبكّت العالم علىٰ خطيئة وعلىٰ برٍّ وعلى دينونة»[٣١].

وهذا أيضاً ينطبق على الامام المهدي المنتظر(ع) وما سيقوم به من حروب ضد الظالمين والمستكبرين. فإن أقطاب الكفر والاستكبار العالمي يخشون حتى من ذكر اسمه ويحاولون إيهام الناس بأنَّ موضوع الامام المهدي هو مجرد فكرة خرافية وذلك لأنهم يعلمون بأن أول ما سيقوم به هو محاربتهم وتخليص العباد من ظلمهم وجورهم.

وأمـــا مـــا ورد في الفقرة السادسة: «سيكون كالمطر يهطل على العشب وكالغيث الوارف الذي يروي الأرض العطشىٰ!».

فكما أن ما جاء في هذه الفقرة يمثل وصفاً صادقاً لوضع البشرية المخزي أثناء بعثة رسول الله (ص) حيث كانت الانسانية متعطشة الى الرحمة والعدالة والعيش في ظل شريعة سمحة، فكان (ص) بالنسبة لها كالغيث الهاطل والمطر الوارف الذي يسقي الأرض العطشى حاملاً معه الرحمة والعدالة والمساواة ضمن قوانين شريعة إلٰهية سمحاء ليخرجهم بها من ظلمات الجهل والظلم والانحراف الى نور التوحيد والمعرفة والعدل. وكذلك الأمر بالنسبة للامام المهدي المنتظر(ع) فإنه قبل ظهوره الشريف سيعم الظلم والكفر بالله ونوع من الفوضى في المعاملات بين بني البشر على سطح الأرض وعندها سوف يأذن الله عز وجل له بالظهور والقيام لتطهير الأرض من كافة أنواع الظلم والكفر وجميع المفاسد التي ظهرت

---

٣١ ــ انجيل يوحنا ١٦ : ٨.

بين الناس، ويقيم القسط والعدل وينشر راية التوحيد والاسلام الصحيح لينعم الناس بظل عدالته الوارفة وبهذا سيكون ظهوره(ع) بالنسبة للانسانية كالغيث المنهمر على أرض عطشى.

وكذلك بالنسبة لما ورد في الفقرات من ٧ الى ١٤ فإنها جميعها تنطبق على رسول الله(ص) وكذلك على حفيده المهدي المنتظر(ع). وإنَّ ماجاء في هذه الفقرات الثماني ليعد أفضل وصف لما سيكون في أيام المهدي المنتظر(ع) من عدل واستقامة حيث سيشرق الأبرار والصالحون في أيامه وسيعم ملكه وعدله على جميع اليابسة بعد أن يقضي على حكم الظالمين والمستكبرين و يمحو من الأرض آثار طغيانهم وجبروتهم ويخضعهم لسلطانه ويرتفع شأن الفقراء والمستضعفين ويصلح حالهم وينعمون بحياة حرة كريمة بعد أن عانوا على مدى أجيال عديدة من ظلم الظالمين وحكم الطغاة والجائرين.

أما ما ورد في الفقرات ١٥، ١٦ و ١٧ فإن جميع ما جاء فيها من بشـــارات إنّـــما جاء بخصوص رسول الله محمد صلّى الله عليه وآله وسلم. فعبارة «وليُصلَّ عليه دائماً وليبارك كل يوم)»خاصة برسول الله محمد(ص) لم يشاركه فيها أحد من الناس ولا من الخلائق أجمعين. فهو يُصلّىٰ عليه من قبل أتباعه (البالغ عددهم اليوم أكثر من مليار مسلم) المنتشرين في كافة أقطار الأرض، حيث يُذكر اسمه كل يوم أثناء الأذان في كافة أنحاء العالم ويُصلّى عليه كلّما تم ذكر اسمه على شفة ولسان[٣٢].

---

٣٢ ــ راجع ما أوردناه حول هذا الموضوع في البشارة الرابعة من هذا الكتاب.

وأيضاً عبارة «ويبقى اسمه أبد الدهر، ما بقيت الشمس مضيئة. وليتبارك به الجميع، وجميع الأمم تنادي باسمه سعيدة. «فإنها من خصوصيات رسول الله محمد(ص) لم يشاركه فيها أحد من الأنبياء والمرسلين ولا من الخلائق أجمعين. فاسمه صلى الله عليه وآله وسلم باق أبد الدهر. كما يزداد انتشار اسمه في أوساط الناس من جميع الشعوب والأمم حيث كل يوم يعتنق دين الاسلام الكثير من الناس أفراداً وجماعات، الذين ما إن ينطقوا بالشهادتين (أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنَّ محمداً رسول الله) حتى تظهر آثار السعادة والبشر على مُحيّاهم ويبدؤون ينادون باسمه الشريف متبركين به في كل أذان وكل إقامة. وأيضاً توجه الناس من المسلمين على اختلاف درجاتهم وطبقاتهم، فقيرهم وغنيهم حاكمهم ومحكومهم لزيارة مرقده الطاهر ومسجده المبارك في المدينة المنورة في أرض الحجاز. كل يُصلّي عليه ويلتمس منه الشفاعة عند الله يوم القيامة فصلاة الله وسلامه عليك يا سيدي يا رسول الله، يا رسول الرحمة والعدالة والاستقامة، يا منقذ البشرية من ظلمات الجاهلية والضلال ومخرجهم بإذن ربّك الى نور الحق والهداية، وعلىٰ آل بيتك الطاهرين والبررة من أصحابك المنتجبين.

محمد (ص) في الإصحاح ٤٢ من سفر نبي الله أشعياء

لعلّ من أكثر البشارات التي وردت بخصوص نبي الله الأكرم محمد(ص) وشريعته الإلٰهية السمحة في كتب العهدين عند أهل الكتاب (اليهود والنصارى) دلالة ووضوحاً ما جاء في الاصحاح الثاني والأربعين من كتاب أشعيا (ع). فقد ورد في هذا الاصحاح أنَّ الله تعالى قال :

١ ــ هو ذا عبدي الذي أعضُدُه، مختاري الذي سُرَّت به نفسي، وضعت روحي عليه، وسيُخرج الحقّ للأمم.

٢ ــ لا يصيح ولا يرفع ولا يُسْمع في الشارع صوته.

٣ ــ قصبةً مرضوضةً لا يقصف، وفتيلةً خامدة لا يُطفىء. ويُعلن الشريعة على الأمم.

٤ ــ لا يكلُّ ولا ينكسر حتى يضع الحقّ في الأرض. فلتنتظر الجزائر شريعته.

٥ ــ هكذا يقول الربُّ خالق السموات وناشرها، باسط الأرض

وما يخرج منها ، مُعطي نسمةً للناس عليها وروحاً للساكنين فيها :

٦ ــ أنا الربُّ ، دَعَوْتُك بالحق ، سآخذ بيدك وأحفظك ، وأجعلك عهداً للشعب ونوراً للأمم .

٧ ــ لتفتحَ عيونَ العُمي . لتُخْرج الأسرى والساكنين في الظلمات من أغلالهم وسجنهم .

٨ ــ أنا الربُّ هذا اسمي ، ومجدي لا أُعطيه لآخر ، ولا تسبيحي للمنحوتات .

٩ ــ هوذا الأوليّات قد أتت والحديثات أنا مخبر بها قبل أنْ تظهر أُعلمكم بها .

١٠ ــ غنّوا للربِّ أُغنية جديدة ، تسبيحة من أقصى الأرض ، أيها المنحدرون في البحر وملؤه وأرض الجزائر وسكانها .

١١ ــ لترفع الصحراء ومدنها صوتها . الديار التي سكنها قيدار . لتترنم سكان سالع ، من رؤوس الجبال ليهتفوا .

١٢ ــ ليُعطوا الربَّ مجداً ويخبروا بتسبيحه في الجزائر .

١٣ ــ الربُّ كالجبّار يخرج كرجل حروب ينهض لغيرته . يهتف ويصرخ ويقوىٰ على أعدائه .

١٤ ــ قد صَمَتُّ منذ الدهر سكتُّ وتجلّدتُ ...

١٥ ــ أُسَيِّرُ العُمي في طريق لم يعرفوها . في مسالك لم يدروها أمشّيهم . أجعل الظلمة أمامهم نوراً والمعوجّات مستقيمة . هذه الأمور أفعلها ولا أتركهم .

١٦ ــ قد ارتدُّوا الى الوراء . يُخزىٰ خزياً المتكلمون على المنحوتات القائلون للمسبوكات أنْتُنَّ آلهتنا .

١٧ ــ أيُّها الصمُّ اسمعوا. أيها العُمي انظروا لتبصروا...

١٨ ــ أيكون الضالُّ مثل عبدي والأصمُّ كرسولي الذي أرسله. أيكون الأعمىٰ كالكامل والضال كعبد الله؟.

١٩ ــ ناظراً كثيراً ولا تلاحظ.. مفتوح الأذنين ولا تسمع.

٢٠ ــ الربُّ قد سُرَّ من أجل صدقه، يُعَظِّم الشريعة ويكرمها....» انتهىٰ.

لايسع الباحث المنصف الذي يطالع هذا الاصحاح من سفر أشعياء إلّا أن يعترف مُقرّاً بأنَّ ما جـــاء فيه من اشارات وأوصاف لا ينطبق على أحد من الناس كما ينطبق على شخصية رسول الله الأعظم محمد رسول الاسلام ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ ولذا سنقوم بإلقاء الضوء على عبارات هذه البشارة حتى يتيقن القارىء العزيز أنها جاءت بشارة جليَّة بيِّنة بحق محمد رسول الله.

أولاً: «هوذا عبدي الذي أعضده، مختاري الذي سُرّت به نفسي، وضعت روحي، وسيُخرج الحقّ للأمم»[1].

فمن هو عبد الله ومختاره هذا الذي سُرَّ به الله والذي سيُرسله بشريعته الالٰهية ليُظهر الحق للامم؟

وكما هو معلوم، فإن النبي أشعياء (ع) الذي أورد هذه البشارة في سفره قد عاش في زمن يعود الى القرن السابع (أو الثامن) قبل ميلاد عيسى المسيح (ع)، ومنذ ذلك الحين لم يذكر لنا التاريخ أنَّ نبياً مُرسلاً

---

١ ــ جاء في النسخة الكاثوليكية (ويأتي بالعدل للأمم)، ولكن في النسخة العبرية وهي الأصح [ويأتي بالشريعة للأمم].

قد اختير لحمل كتاب الله وشريعته إلىٰ جميع الشعوب والأمم غير خاتم الأنبياء والمرسلين محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله وسلم.

ولا يمكن تفسيره بما جاء في انجيل متى ١٢ : ١٧ من أنَّ هذه البشارة جاءت بخصوص عيسى المسيح (ع)، ذلك أنَّ المُبشَّر به هنا هو عبد الله ومختار من قبله أي أنَّه من خَلْقِ الله، بينما يدَّعي النصارىٰ بألوهية المسيح وهذا ينافي كونه عبداً مخلوقاً عندهم. ولكنهم عندما رؤوا هذا التعارض عمدوا الى تغيير ترجمة النص العبري الى اللغات الأُخرىٰ، ففي بعضها قالوا: «يعقوب عبدي سأساعده، اسرائيل مختاري، تقبلته نفسي..» ولكنهم قد غفلوا عن أنَّ ذلك لا يصح أيضاً من عدة وجوه نذكر منها: هو أنَّ صاحب هذه النبـــؤة النبي أشعياء (ع) قد عاش في زمن جاء بعد النبي يعقوب (ع) بعدَّة قرون، فكيف يبشِّر إذا بقدوم إنسان قد توفي قبله منذ زمن بعيد؟ ثم إنَّ المبشَّر به سيكون صاحب شريعة إلٰهية لجميع الأمم بينما الكل يعرف بأنَّ يعقوب (ع) لم يكن صاحب شريعة ولم يوحَ اليه كتاب الٰهي. إذاً ففساد ادِّعائهم هذا واضح للعيان. علاوة على ذلك فإنَّ النص العبري لهذه النبؤة يذكر فقط عبارة «هذا عبدي» بدون أن يضيف اسم يعقوب أو اسرائيل..!

وقد علَّق جون فنتون على ما جاء في انجيل متى قائلاً:

«من الواضح أنَّ متَّى لم يتبع نص أي من النسختين العبرية أو الإغريقية، لكنه أخذ النصوص حسبما رآها تتناسب مع رأيه في أنَّ النبؤة تحققت في يسوع وفي الكنيسة.. ولقد حذف متى سطرين من أشعياء (٤٢ : ١ ــ ٤). لكنه أبقىٰ على السطر الأخير الذي رأى أنَّه

يُحقق هدفه»[٢]. كما إنَّ المسيح عليه السلام لم يكن صاحب شريعة عامَّة بل أُرسل ليقوِّم إعوجاج بني إسرائيل وانحرافهم وليصحح مفهومهم الخاطىء لشريعة موسى عليه السلام، فهو لم يُرسل إلّا الى بني اسرائيل وليس الى الأمم حسب اعترافه بنفسه عندما صرَّح للمرأة الكنعانية التي جاءته ليشفي لها ابنتها قائلاً: «إنما أُرسلت لخراف اسرائيل الضالَّة» (متى ١٥: ٢٤).. وأيضاً عندما أوصى (ع) حواريه قائلاً لهم: «الى طريق الأمم لاتمضوا، والى مدينة للسامريين لا تدخلوا. بل اذهبوا الى خراف بيت اسرائيل الضالَّة» (متى ١٠: ٥ــ ٦).

وكلمة عبد الله تنطبق على عيسىٰ ومحمد عليهما الصلاة والسلام ولكن الأول حمل رسالته خاصة لقوم معيَّنين كما ظهر لنا من أقواله التي ذكرناها آنفاً أمّا الثاني وهو محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله وسلم فهو حاملٌ لشريعة إلٰهية عامة لجميع الشعوب والأمم وعلىٰ مرِّ العصور والأزمان الى يوم القيامة.

وقد جاءت الروايات في كتب المسلمين تؤكد هذا المعنىٰ الوارد في بشارة أشعياء (ع) حيث نقل ابن سعد في طبقاته الكبرىٰ أنَّ كعب الأحبار (الحبر اليهودي المعروف) قال:

«إنّا نجد في التوراة: محمدٌ عبدي المختار لا فظٌّ ولا غليظ ولا صخّابٌ في الأسواق، ولا يجزي السيئة بالسيئة، ولكن يعفو ويغفر»[٣].

وهذه عين البشارة الواردة أعلاه علىٰ لسان النبي أشعياء (ع).

2- J.C.FENTON, Saint Mathieu. Penguin Books, Harmond Worth, P.63.

٣ ــ محمد بن سعد، الطبقات الكبرى، باب صفة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ص ٣٦.

ولم تجتمع صفات العبودية والإختيار والوحي وتعميم الرسالة الى جميع البشر إلّا لخاتم الأنبياء والرسل محمد صلى الله عليه وآله وسلم.. يقول الله تعالى:

«تبارك الذي نزّل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً» (الفرقان ١).

«قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً الذي له ملك السموات والأرض» (الاعراف ١٥٨).

وهكذا نرىٰ أنَّ محمداً بن عبد الله صلى الله عليه وآله وسلم هو عبد الله ومختاره الذي أرسله بشيراً ونذيراً برسالته الخاتمة الكاملة ليخرج الناس جميعاً من ظلمات الجهل والكفر والعبودية لغير الله الى نور التوحيد الخالص وصراط الله المستقيم حيث جميع الناس سواسية في شريعة الاسلام دين لا اله الا الله، لا فرق بين عربي وعجمي ولا بين أبيض وأسود إلّا بالتقوىٰ والقرب من الله تعالى.

ثانياً: (٤٢: ٢ــ٣) «لا يصيح ولا يرفع ولا يُسمع في الشارع صوته.. قصبة مرضوضة لا يقصف، وفتيلة خامدة لا يطفيء، ويعلن الشريعة على الأمم».

إنها بعضٌ من صفات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الخُلُقية الحميدة وهي مصداق ما ورد عن كعب الأحبار: «ولا صخّابٌ في الأسواق، لا فظ ولا غليظ، ولا يجزي السيئة بالسيئة». وقد حدّث أنس بن مالك قائلاً: «خدمت النبي صلى الله عليه (وآله) وسلم عشر سنين، فما قال لي أُفٍّ ولا لِمَ صنعت ولا ألا صنعت».

وقال الله عزَّ وجلَّ في القرآن الكريم في وصف خُلُقِ رسول‌الله (ص)

«وإنك لعلىٰ خُلُق عظيم»(القلم : ٤).

«وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين» (الأنبياء : ١٠٧).

«لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم» (التوبة : ١٢٨).

ثم تتحدث النبوءة عن الشريعة التي سيبعثه الله تعالى بها إلىٰ جميع الأمم والشعوب «ويُعلن الشريعة للأمم» وهذا مصداق ما جاء في القرآن الكريم: «قل يا أيها الناس إني رسول الله اليكم جميعاً...» (الاعراف : ١٥٨).

وأيضاً: «وما أرسلناك الا كافة للناس بشيراً ونذيراً ولكن أكثر الناس لا يعلمون» (سبأ : ٢٨).

فرسالته صلى الله عليه وآله وسلم عالمية لا تختص بشعب دون شعب ولا بفئة من الناس دون فئة، وكل الناس معنيّون بها فلا فرق بين عربيّهم وعجميّهم، أبيضهم وأسودهم، غنيّهم وفقيرهم إلا بالتقوى.

ثالثاً: «لا يكل ولا ينكسر حتى يضع الحقَّ في الأرض. فلتنتظر الجزائر شريعته».

يكفي للمحقق الباحث إلقاء نظرة سريعة على التاريخ حتى يتبيَّن له أنَّ ما جاء في هذه الفقرة من النبوة لا تنطبق على أحد من الأنبياء والرسل كما تنطبق على رسول الاسلام محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله وسلم. فهو لم يتوان طلية ٢٣ سنة منذ بَعَثَهُ الله تعالى برسالته الخاتمة حتى قبضه إليه، لم يفتأ لحظة واحدة عن بذل كل ما في وسعه لنشر راية التوحيد وإعلاء كلمة لا اله الا الله وتفنيد ودحض عقيدة الكفر والشرك والوثنية ومن ثم دكّ معاقلها في الجزيرة العربية وفي خارجها. فقد تحملَّ

شتى أنواع الأذى من مشركي قريش خلال فترة دعوته في مكة المكرمة التي استمرت ثلاث عشرة سنة، حيث قاطعوه اقتصادياً واجتماعياً، وشتموه واعتدوا عليه وعلى آل بيته وأصحابه حتى اضطرَّ قسم منهم أن يهاجر الى الحبشة فراراً من ظلم قريش لهم وجورها عليهم ولكنه صلى الله عليه وآله وسلم بقي صامداً لايني عن دعوة الناس الى الايمان برسالة التوحيد وترك عقيدة الشرك وعبادة الأصنام. ولما رأى المشركون عزيمته التي لا تعرف الكلل والوهن في نشر عقيدة التوحيد خافوا على مصالحهم المتمثلة آنذاك في ترويج عبادة الأوثان، فأرادوا مصالحته على أن يكف عن مهاجمة أصنامهم وفي مقابل ذلك يعطوه ما أراد من الأموال والجاه والا فإنَّهم سيتخلصون منه عن طريق القوة والعنف. ولما سمع (ص) عرضهم ما كان جوابه الا أنْ قال: «والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أنْ أترك هذا الأمر (أي أمر الدعوة الى الله تعالى) ما تركته حتى يُظهره الله أو أهلك دونه». ولما اضطر هو وآل بيته وأصحابه الى الهجرة الى المدينة المنوَّرة حيث كثر عدد المسلمين هناك وقويت شوكتهم انتقل الى الجهاد المسلح لتركيز راية التوحيد في الجزيرة العربية وتطهيرها من دنس الشرك والكفر، فخاض حروباً كثيرة كان يثبت في المعركة وحيداً هو وابن عمه عليّ ابن أبي طالب تجاه عساكر الكفر والشرك عندما كان أصحابه يفرُّون عنه تاركينه وحده وابن عمه علي يقارعان ويجالدان الأعداء، كما حدث في أُحد وحنين حتى نصره الله تعالى على أعدائه فطهَّر الجزيرة العربية من الكفر وعبادة الأوثان وأتم الله تعالى نعمته عليه وأكمل له الدين فقال عزَّ من قائل: «اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم

الاسلام ديناً» (المائدة : ٣).

وبعد تطهيره الجزيرة العربية من الشرك وعبادة الأوثان اتّجه لدعوة الأمم والشعوب الى طاعة الله الواحد الأحد والدخول في دين الاسلام الخاتم لجميع الرسالات الإلٰهية السابقة.

رابعاً: هكذا يقول الربُّ خالق السموات وناشرها، باسط الأرض ومخرج مافيها، معطي نسمة للناس عليها وروحاً للساكنين فيها:

«انا الربُّ دعوتك بالحق، سآخذ بيدك وأحفظك، وأجعلك عهداً للشعب ونوراً للامم».

هذا النص هو اشارة واضحة الى محمد رسول الله وخاتم أنبيائه فقد أخذ الله تعالى بيده وشدَّ أزرهُ وأيّده بنصره وحفظه من كيد أعدائه وأقام به اعوجاج الأمم وانحرافها وجعله نوراً للناس جميعاً يهديهم الى كلمة التوحيد وصراط الله المستقيم. كما جعل منه (ص) عهداً للشعوب حيث أنه من رغب عن دين الاسلام الذي بُعِثَ به محمد (ص) من قبل الله لن يُقبل منه أي دين آخر، فقد قال عزَّ وجلَّ: «إنَّ الدين عند الله الاسلام» (آل عمران ١٩) وقال أيضاً: «ومن يبتغ غير الاسلام ديناً فلن يُقبل منه» (آل عمران ٨٥). وهذا دليل على أنَّ ما يسمى بالعهدين القديم والجديد عند اليهود والنصارى قد نُسخا ليحل محلهما عهد الله الجديد الذي أُرسل به محمد (ص) وهو دين الاسلام.

كما أيّده الله بنصره فنصره في المواطن كلها حتى ركّز راية التوحيد والايمان في قلب الجزيرة العربية ومنها انطلقت جحافل التوحيد لتحرر بقية الشعوب والأمم من نير العبودية لغير الله حاملة لها نور الهداية

والايمان، قال الله تعالى في القرآن الكريم: «وينصرك الله نصراً عزيزاً» (الفتح ٣). «وهو الذي أرسل رسوله بالهدىٰ ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون» (التوبة ٣٣).

«وإن يريدوا أنْ يخدعوك فإنَّ حسبك الله هو الذي أيَّدك بنصره وبالمؤمنين» (الأنفال ٦٢).

أمّا إدّعاء النصارى من أنَّ ما ورد في هذه الفقرة جاء إشارة الى عيسىٰ المسيح عليه السلام فهو ادّعاء ظاهر الفساد فقد نصَّت أناجيلهم على أنَّ الله قد تخلّى عن عيسى في الساعة الحرجة وتركه يسقط فريسة هيِّنة بأيدي أعدائه الذين كفروا برسالته، فأهانوه وأذلّوه وقتلوه صلباً (حسب زعمهم) حيث كان يصرخ خائفاً باكياً وقد فرّ عنه أصحابُه مُسلِميهِ لأقسى أنواع الذل والإهانة من قِبَل أعدائه (نعوذ بالله من ذلك ونبرِّىء ساحة عيسى المسيح عليه السلام مما يقوله عنه أتباعه باطلاً) «إلهي.. الهي.. لِمَ تركتني؟».. إذاً فأين تأييد الله له والأخذ بيده ونصره الذي ورد في هذه النبوءة؟...

خامساً: «لتفتح عيون العُمي. لتُخرج الأسرى والساكنين في الظلمات من أغلالهم وسجنهم».

لقد ورد عن عبد الله بن سلام الحبر اليهودي أنه قال بعد إسلامه: «إنّا نجد في التوارة: محمد عبدي المختار... الىٰ أنْ قال: ولن أقبضه حتى أُقيم الملّة المعوجّة، بأن يقولوا لا اله الا الله، فيفتح بها أعيناً عُمْياً وآذاناً صُمّاً وقلوباً غُلْفاً». وهذا يصدّق ما جاء في هذه الفقرة من بشارة أشعيا (ع) فقد أخرج رسول الله محمد صلى الله عليه وآله وسلم الناس من ظلمات الضلال والشرك والجاهلية الى نور الحق والايمان بالله الواحد

الاحد. يقول الله تعالى:

«الر، كتاب أنزلناه لتخرج الناس من الظلمات الى النور بإذن ربّهم الى صراط العزيز الحميد» (ابراهيم ١).

«هو الذي يُنَزِّلُ على عبده آيات بيّنات ليُخرجكم من الظلمات الى النور وإنَّ الله بكم لرؤوف رحيم» (الحديد ٩).

سادساً: «أنا الربُّ هذا اسمي، ومجدي لا أعطيه لآخر، ولا تسبيحي للمنحوتات». هنا إشارة الى دعوة التوحيد بأنه لا اله الا الله وحده لا شريك له وأنَّ عبادة الأصنام والطواغيت بكل أشكالها باطلة فاسدة، وهي أساس دعوة محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. بينما نجد اليوم المنحوتات والتصاوير تملأ الكنائس المسيحية.

سابعاً: «هوذا الأوّليّات قد أتت والحديثات أنا مخبر بها، قبل أن تنبت أُعلمكم بها». إنَّ جميع أنبياء الله السابقين ورسالاتهم التي حملوها لأقوامهم وشعوبهم كانت عبارة عن مقدمة وتمهيد لمجيء الرسالة الالٰهية الخاتمة والشاملة وهي رسالة الاسلام على حاملها وآله أفضل الصلاة والسلام. ولذا قال الله تعالى لهم: «أمّا الحديثات أنا مخبر بها، قبل أن تنبت أُعلمكم بها». وهذا ما حدث فعلاً، فقبل بعثة محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بدين الاسلام أُرسل عيسى عليه السلام قبله بنحو ستة قرون لتصحيح انحراف بني اسرائيل عن الصراط المستقيم ولإعلامهم بأنه ذاهب كي يأتي «الفارقليط» (ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد) كما سنرى ذلك في فصل مستقل من هذا الكتاب إن شاء الله.

ثامناً: «غنُّوا للربِّ أغنية جديدة، تسبيحة من أقصىٰ الأرض،

أيها المنحدرون في البحر وملؤه وأرض الجزيرة وسكانها».

أُغنية جديدة: تشير هنا الى تغيير جذري لما كان سابقاً، الى إحداث وضع جديد وذلك بظهور دين جديد حيث سيكون شعاره (تسبيحة)، الاعلان بأنَّ الله واحد لا شريك له وهو شعار «لا اله الا الله». هذا الدين الجديد هو دين الاسلام الذي شعاره التوحيد أي الاقرار لله تعالى بالوحدانية وإعلان أن لا اله الا الله ودعوة الناس إليها. هذه الشهادة لله بالوحدانية هي التي قال فيها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«أُمرت أنْ أُقاتل الناس حتى يشهدوا أنْ لا الٰه الاّ الله وأنَّ محمداً رسول الله، ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة. فإنْ فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الاسلام، وحسابهم على الله».

وقوله: «قولوا لا الٰه الا الله تفلحوا».

ومما يدل على أنَّ المقصود من الأُغنية الجديدة هنا هو دين الاسلام الذي بُعث به محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، أن رسول الله هو حفيد اسماعيل بن ابراهيم عليهم أفضل الصلاة والسلام الذي كان يقطن في وادي مكة المكرمة في صحراء الحجاز حيث أنَّ الفقرة التالية من هذه النبوءة تشير الى مكان ميلاد نبي الله محمد (ص) كما تشير في نفس الوقت إلى مكان هجرته.

تاسعاً: «لترفع الصحراء وقراها صوتها. الديار التي سكنها قيدار. لتترنم سكان سالع. من رؤوس الجبال ليهتفوا».

إنَّها حقيقة واضحة بحيث لا تحتمل تأويلاً ولا يسع المرء المعاند إنكارها.. فهي تحدد مهبط الوحي ومكان بعثة رسول الله محمد (ص)

ونسبه الشريف هذا بالاضافة الى مكان هجرته.

وقيدار هو ابن اسماعيل عليه السلام (سفر التكوين ٢٥ : ١٣)، والديار التي سكنها هي بطاح مكة (وادي مكة) وما حولها حيث كان يسكن ابوه اسماعيل عليه السلام، وهي صحراء قاحلة جرداء، وهذا معنى قول ابراهيم عليه السلام في القرآن الكريم: «ربّنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرّم ليقيموا الصلوة فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون» (سورة ابراهيم : ٣٧).

فالصحراء المذكورة في هذه النبوءة هي صحراء الحجاز التي تقع فيها مكة المكرمة مهبط الوحي والرسالة حيث سيرتفع صوت سكانها بكلمة لا اله الا الله محمداً رسول الله وبالتهليل لله وتسبيحه وتكبيره. وأوّل من كبّر وهلّل فيها هما ابراهيم واسماعيل عليهما السلام حيث بنيا بيت الله الحرام وعندها رفع ابراهيم عليه السلام يديه الى السماء ودعى ربه: «ربّنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذرّيتنا أمّة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتُب علينا إنك أنت التواب الرحيم. ربّنا وابعث فيهم رسولاً منهم يتلو عليهم آياتك ويُعلمهم الكتاب والحكمة ويُزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم» (البقرة ١٢٨ - ١٢٩). وقد استجاب الله تعالى دعوة ابراهيم عليه السلام، فقد ورد في سفر التكوين (١٧ - ٢٠) انّ الله تعالى قال لابراهيم عليه السلام:

«وأمّا اسماعيل فقد سمعت لك فيه. ها أنا أباركه وأثمره وأكثّره كثيراً جداً. اثني عشر رئيساً يلد وأجعله أمّة عظيمة».

وقد تقدم شرح هذا النص التوراتي في البشارة الأولى من هذا

الكتاب فلتراجع في محلها.

نعود الى الفقرة المتقدمة من نبوءة أشعياء فنقول: إذاً تبيَّن لنا أنه من تلك الصحراء القاحلة التي كان يقطنها قيدار بن اسماعيل وهي ارض الحجاز بُعِثَ حفيده محمد صلى الله عليه وآله وسلم برسالة الاسلام الىٰ الناس كافة ليخرجهم من ظلمات الشرك وعبودية غير الله الى نور شعار لا اله الا الله والإنضواء تحت راية التوحيد.

أما فيما يتعلق بسكان سالع، فهم سكان المدينة المنوَّرة التي هاجر إليها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قادماً من مكة المكرمة. وجبل سالع أو «سلع» موجود حتى اليوم تحت هذا الاسم قرب المدينة المنورة[٤] وهو الذي قال فيه ذريح أحد أصحاب النبي(ص):

لعمرك إنني لأحب سلعاً لرؤيته ومن بجنوب سلع

وهذا يدل على أنه جبل يقع شمال المدينة المنورة. ومن رؤوس الجبال المحيطة بالمدينة المنوَّرة بدر، وسلع وأُحد وغيرها انطلقت صيحات «الله اكبر» و «لا اله الا الله» من حناجر المؤمنين بدين الله الجديد الذي لا يُقْبَل من أحد غيره وهو دين الاسلام العزيز. ومن تلك الجبال انطلقت راية الجهاد في سبيل الله لإعلاء كلمته ولتحرير الانسان من الشرك والظلم والخرافات وأوهام العقائد الفاسدة.

عاشراً: «ليعطوا الربَّ مجداً ويخبروا بتسبيحة في الجزائر.. الربُّ كالجبّار يخرج.. كرجل حروب ينهض لغيرته.. يهتف ويصرخ ويقوى

---

٤ ــ سلع: سلع شُقوق في الجبال.... وسلع: جبل بسوق المدينة وقال الازهري: موضع بقرب المدينة. معجم البلدان ٣: ١١٧ مادة(سلع).

على أعدائه.. قد صَمَتُّ منذ الدهر سَكَتُّ تَجَلَّدْتُ.. أُسيِّر العُمي* في طريق لم يعرفوها. في مسالك لم يدروها أُمشِّيهم، أجعل الظلمة أمامهم نوراً والمعوجّات مستقيمة. هذه الأمور أفعلها ولا أتركهم. قد ارتدُّوا الى الوراء. يُخْزىٰ خُزي المتكلون على المنحوتات القائلون للمسبوكات أنتن آلهتنا، أيها الصمُّ اسمعوا. أيها العُمي انظروا لتبصروا.. أيكون الضالّ مثل عبدي والأصمُّ كرسولي الذي أرسله. أيكون الأعمى كالكامل والضالّ كعبد الله؟ ناظراً كثيراً ولا تلاحظ.. مفتوح الأذنين ولا تسمع. «الربُّ قد سُرَّ من أجل صدقه، يُعظِّم الشريعة ويُكرمها...».

تشير هذه الفقرات من البشارة إلى نقاط مهمة من حياة رسول الله محمد (ص) الجهاديّة وحروبه التي نصره الله تعالى فيها جميعاً ضد أعدائه الذين كانوا يشكلون عقبة أمام تبليغه رسالة ربّه. كما تشير الى الأُمّة التي بُعِثَ فيها والتي ستمجّد الله تعالى وتؤمن بوحدانيته وتُطهر الجزيرة العربية من الشرك والجاهلية والكفر، وتندفع بقوة مجاهدة في سبيل نشر عقيدة التوحيد ودعوة الأمم والشعوب الأخرى للإنضواء تحت لوائها لا تخشى في الله لومة لائم حيث سينصر الله هذه الامة المؤمنة المجاهدة على أعدائها مادامت متمسكة بعهده وميثاقه. وهذا ما دوّنه لنا التاريخ فقد أعزَّ الله المسلمين ونصرهم على أكبر امبراطوريتين في ذلك الوقت الفرس

---

* ــ المقصود بالعمي في هذه الفقرة هم سكان الجزيرة العربية الذين كانوا يعيشون في ظلمات الجاهلية الأولى. والله تعالى قد أحياهم بنور الاسلام وجعل منهم أمة عظيمة تحمل لواء الدين الجديد الخاتم والناسخ للرسالات الالٰهية السابقة عليه بالزمن إلى جميع الامم والشعوب.

والروم. ودخلت شعوب كثيرة من جميع البلدان في دين الله أفواجاً، خالعين عن كاهلهم رجس الكفر والشرك لينضووا تحت راية لا اله الّا الله محمد رسول الله.

إنَّ هذه الفقرات تشكل وصفاً رائعاً للحالة الجهادية للمسلمين في عصرهم الأول حيث وعلى الرغم من قلّة العدد وضعف الامكانيات المادّية فقد نصرهم الله على أقوى وأعتى القوى المادية في عصرهم مذلّلا أمامهم العقبات وجاعلاً الظلمة أمامهم نوراً والموجّات مستقيمة، سالكاً بهم طُرقاً جديدة عليهم، وفاتحاً بهم بلاداً لم يعرفوها سابقاً، فأخزىٰ بهم الشرك والكفر وأذلّ بهم الطواغيت والجبابرة.

ويختتم نبي الله أشعياء(ع) بشارته هذه برسول الله محمد(ص) قائلاً:

«الربُّ قد سُرَّ من أجل صدقه. يُعظِّم الشريعة ويُكرمها...».

إنَّ الصدق وتعظيم شريعة الله صفتان بارزتان من صفات رسول الله محمد(ص)، فقد لقّبه الناسُ قبل بعثته بـ«الصادق الأمين»، وكان من حرصه على تعظيم الشريعة والسهر على تنفيذ أحكامها على كافة الناس أن قال قولته المشهورة(ص) في قصة المرأة المخزومية التي سرقت حيث توسط لها بعض أقربائها لإعفائها من تنفيذ حدّ السرقة عليها المتمثل بقطع يدها، قال: «والذي نفسي بيده لو أنَّ فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها». مع العلم أنَّ ابنته فاطمة الزهراء(ع) كانت أحبّ الناس إليه.

بقي أن نشير الى أنَّ رسول الله(ص) قد ذُكِرَ في أول هذه البشارة بأحد أسمائه الشهيرة وهو: المصطفىٰ أو المختار الذي هو من أسماء

رسول الله (ص) المعروفة والمشهورة عند جميع المسلمين.

وعلى الرغم من جميع التحريفات التي دخلت على أسفار العهدين (القديم والجديد) من قبل اليهود والنصارى ومحاولاتهم المتكررة طمس أنوار الحقيقة المحمدية فإنَّ الله تعالى ردَّ كيدهم وحفظ بشارات أنبيائه برسوله محمد ورسالته الخاتمة باقية خالدة في توراتهم وأناجيلهم حتى يومنا هذا «ليهلك من هلك عن بيِّنة ويحيىٰ من حيَّ عن بيِّنة»

(سورة الانفال/٤٢).

من هو «شَيلوه»؟

جمع يعقوب ـ عليه السلام ـ أبناءه، وهو على فراش الموت، وأوصاهم ونصحهم بما ينفعهم، وأخبرهم ببعض الأمور المستقبلية التي تهمهم بشكل خاص، حيث ألقى في مسامعهم أن عصا الحكم والنبوّة والرسالة ستبقى فيهم الى أنْ يأتي «شَيْلُوه» ذلك الشخص العظيم الذي سيحمل صولجان الحكم بيد وشريعة الله باليد الأخرى، فتجتمع حوله الشعوب مذعنة لأمره ومنضوية تحت لواء الشريعة التي سوف يحملها إليهم. وعندها فقط سيكون دور بني اسرائيل كحاملين لصولجان الحكم وللشريعة الالٰهية قد انتهى بمجيئه.

فقد جاء في الفقرة العاشرة من الاصحاح التاسع والأربعين من سفر التكوين أنَّ نبي الله يعقوب ـ عليه السلام ـ قال لأبنائه وهو يوصيهم.

«لا يزول صولجان من يهوذا ومشترع من صُلبه حتّى يأتي شيلوه

وتطيعه الشعوب»[1].

ثم وصفه لهم فقال:

«عيناه أشدُّ سواداً من الخمر وأسنانه أشدُّ بياضاً من اللبن»[2].

لقد احتفظت جميع نسخ العهد القديم بكلمة (شيلوه) الأصلية، دون اعطائها أية ترجمة الى اللغات الأخرى.

وقد تم إعطاء كلمة «شيلوه» في هامش بعض طبعات الكتاب المقدس، كالطبعة الصادرة بالعربية عن دار الكتاب المقدس في الشرق الاوسط (بيروت)، والطبعة الفرنسية الصادرة عام ١٩٣٨ عن (societe de st.Jean l'Evangeliste) ترجمة (Le Chanoine A.CRAMPON) صفحة ٥٣ و ٥٤ وكذلك في هامش الطبعة الجديدة «سغون» (SEGON) صفحة ٥٤ الصادرة عن الاتحاد العالمي للكتاب المقدس، تم إعطاؤها معان عديدة حيث قالوا إنَّ «شيلوه» تعني:

ـ الذي له الحكم أو الذي له عصا (أو صولجان) الحكم[3].

ـ الذي سوف يُرسل أو الرسول.

---

١ ـ سفر التكوين ٤٩ : ١٠. انظر العهد العتيق، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، طبعة ١٩٦٠.

٢ ـ سفر التكوين ٤٩ : ١٢.

٣ ـ وقد استفادوا هذا المعنى مما ورد في سفر حزقيال (٢١ : ٢٥ ـ ٢٧) حيث يقول الله تعالى: «وأنت أيها النجس الشرير رئيس اسرائيل الذي قد جاء يومه، في زمان اثم النهاية. هكذا قال السيد الرب. انزع العمامة. ارفع التاج، هذه لا تلك ارفع الوضيع وأضع الرفيع. منقلباً منقلباً اجعله. هذا أيضاً لا يكون حتى يأتي الذي له الحكم فأعطيه إياه».

وهذا يعني أن عمامة النبوّة وتاج الملك سوف ينزعه الله من بني إسرائيل ويعطيهما للآتي الذي له الحكم. وهذا واضح أنَّ المراد بالذي له الحكم هو رسول الله محمد(ص) كما هو مبيَّن في هذا الفصل.

ـ الداعي للسلام أو الذي يعمل من أجل السلام (Le Pacificateur).

وتعني أيضاً مُخْمِد الفِتنْ.

وقد اختلف علماء اليهود والنصارىٰ حول شخصيَّة «شيلوه» هذه. فالمسيحيون يُصرُّون على أن شيلوه هو عيسى المسيح، واليهود يؤكدون أنه لم يأت بعد وما زالوا ينتظرون قدومه ليُتَوِّجوه ملكاً على العالم وليحكم على جميع الشعوب ويُسخرها لهم.

ولكن ادِّعاءات الطرفين لا تثبت أمام البحث والنقد العلميين، فهي لا تصح من عدة وجوه:

المستفاد من نبوءة يعقوب ـ عليه السلام ـ هذه هو أنَّ أمور الحكم والشريعة ستظل في بني اسرائيل حتى يأتي شيلوه الذي ستؤول إليه أمور الحكم وحمل راية شريعة إلٰهية جديدة تنضوي تحتها الشعوب ممتثلة لأمره وخاضعة لحكم شريعته. وهذا يعني أن شيلوه لن يكون من بني اسرائيل بل سيكون من شعب آخر تجتمع حوله جميع الشعوب. وهذا وحده كاف لرد ادّعاءات كل من اليهود والنصارى.

فهاتان الصفتان لا تنطبقان علىٰ عيسى (ع)، فهو من بني اسرئيل ومن أحفاد يهوذا من جهة أُمِّه. إذْ لو كان المقصود من هذه النبوءة عيسى (ع) ما كان لها من معنىٰ لأنه إسرائيلي الأصل فكيف يُخرج قضيب الحكم والشريعة من بني إسرائيل إلىٰ غيرهم؟ بل علىٰ العكس فإنه سيثبتها فيهم وهذا مناقض للنبوءة نفسها.

والأمر الثاني هو أنَّ الشعوب لم تجتمع حول عيسىٰ (ع) بل حتى إنَّ أتباعه القلائل قد أسلموه لأعدائه وفرُّوا من حوله كما ذكرت ذلك

أناجيلهم . إضافة الى ذلك فإنَّ عيسى (ع) لم يُرسل إلّا الى بني اسرائيل وليس الى بقية الشعوب حسب ما جاء في تصريحه في انجيل متّى (١٥ : ٢٤) «لم أرسل إلّا إلى خراف بيت إسرائيل الضالّة».

ثم كيف تجتمع الشعوب من غير بني اسرائيل حول من يتصرف معها بقسوة وفظاظة ويعامل الفقراء والمساكين معاملة الكلاب كما يروون ذلك في قصته مع المرأة الكنعانية المسكينة التي سألته أن يشفي لها ابنتها. فقد أورد متّى في انجيله (١٥ : ٢١ــ٢٦) هذه القصة على النحو التالي: «ثم خرج يسوع من هناك وانصرف الى نواحي صور وصيداءَ. وإذا امرأة كنعانية خارجة من تلك التخوم صرخت إليه قائلة ارحمني يا سيِّد يا ابن داود. ابنتي مجنونة جداً. فلم يجبها بكلمة فتقدَّم تلاميذه وطلبوا اليه قائلين اصرفها لأنها تصيح وراءنا. فأجاب وقال لم أُرسل إلّا الىٰ خراف بيت إسرائيل الضالّة. فأتت وسجدت له قائلة يا سيِّد أعنّي. فأجاب وقال ليس حسناً أنْ يؤخذ خبز البنين ويُطرح للكلاب...».

فالرحمة والمعاملة الانسانية الحسنة هي أحد الأسباب الداعية لتجمُّع الشعوب حول المبشَّر به «شيلوه» في نبوءة يعقوب (ع) هذه. وهذا ما ينطبق على رسول الله محمد صلى الله عليه وآله وسلم، فقد خاطبه الله تعالى في القرآن الكريم قائلاً:

«وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين»[٥].

وقال له أيضاً: «ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضُّوا من حولك»[٦].

---

٤ ــ انظر انجيل متى (٢٦ ـ ٥٦)، وانجيل مرقس (١٤ : ٥٠).

٥ ــ سورة الانبياء/١٠٧.

٦ ــ سورة آل عمران/١٥٩.

ووصفه أيضاً قائلاً : «وإنك لعلى خُلُقٍ عظيم»[٧].

وقد اتفق جميع مفسري هذه البشارة على أن التعابير الواردة فيها مثل «القضيب أو الصولجان» و «المشرِّع» جاءت كناية عن السلطة والملكية والنبوَّة، أي أنَّ «شيلوه» المبشَّر به سيكون نبيّاً مرسلاً صاحب تشريع وحاكماً على رأس دولة في نفس الوقت. وهذا ما كان ينتظره اليهود من المسيح الذي كانوا ومازالوا ينتظرون قدومه. ومعلوم أنه ليس هو عيسىٰ المسيح (ع)، لأنه هو نفسه رفض الفكرة القائلة أن المسيح الذي كان ينتظره بنو اسرائيل كان أحد أبناء داود[٨]. كما إنه لم يترك تشريعاً مكتوباً بل جاء ليؤكد على إتِّباع شريعة موسى (ع)، ولم يكن يُفكر بعصا الحكم، بل لقد نصح اليهود أن يكونوا مخلصين لقيصر وأن يدفعوا له الجزية[٩].

وهكذا ظهر لنا بطلان قول من يدعي أنَّ عيسىٰ المسيح هو «شيلوه» المبشَّر به من قبل يعقوب (ع).

وبإنعام النظر في هذه المعاني التي أُعطيت لكلمة «شيلوه» والتي ذكرناها آنفاً، إضافة الىٰ كونه أنه لن يكون من بني اسرائيل وسيكون صاحب شريعة تنضوي تحتها الأمم، وأيضاً ما جاء في بعض أوصافه الخَلْقيَّة من أنَّ عينيه أشدُّ سواداً من الخمر وأسنانه أشدُّ بياضاً من اللبن، يتبيَّن لنا أن جميع تلك الصفات والمعاني تنطبق انطباقاً تاماً على رسول

---

٧ ــ قرآن، سورة القلم/٤.

٨ ــ انظر انجيل متى (٢٢ : ٤٤ - ٤٥)، وانجيل مرقس (١٢ : ٣٥ - ٣٧)، وانجيل لوقا (٢٠ : ٤١ - ٤٤).

٩ ــ انجيل مرقس (١٢ : ١٧) (اعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله).

الله محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

فمحمد (ص) ليس من بني اسرائيل وهذه إحدىٰ علامات «شيلوه»، كما إنه (ص) كان نبيّاً مرسلاً حيث أرسله الله تعالى الىٰ الناس كافة وليس الى امة بعينها. بأنقىٰ الأديان وأشملها وهو دين التوحيد الخالص، ووضع أفضل القواعد الشرعية العملية والضوابط الأخلاقية والسلوكية للبشر. ولم يكن رسول الله محمد (ص) نبيّاً واعظاً فحسب بل كان نبيّاً مُرشداً وحاكماً صاحب أمر ونهي وحكم حيث دعا الناس كافة دون التمييز بين أجناسهم وأعراقهم وقبائلهم الى الانضواء والتآخي تحت شريعة التوحيد الخالصة من كل شوائب الشرك والكفر.

اما بما يخص كلمة «الرسول» وهو أحد المعاني الذي أعطي لاسم «شيلوه» في هامش بعض طبعات العهد القديم كما ذكرنا آنفاً، فقد قال الاستاذ عبد الأحد داود في كتابه «محمد في الكتاب المقدس» صفحة ٣٨: «أما بالنسبة للتفسير الثالث (أي «الرسول») لإسم شيلوه، فقد قلت أنه قد يكون تحريفاً لـ(شِلْواه) وفي تلك الحالة فإنه يتطابق حتماً مع اللقب العربي للنبي، والذي يتكرر كثيراً في القرآن وهو «الرسول» الذي يعني بالضبط ما تعنيه (شِلواح) أي رسول أو مبعوث و «شيلواح إلوهيم» بالعبرية هي بالضبط «رسول الله» وهذه العبارة تُرتّل خمس مرات كل يوم عندما يؤذن المؤذنون للصلاة فوق جميع المآذن في العالم». انتهىٰ.

واما بالنسبة للمعنىٰ الآخر الذي اعطوه لكلمة «شيلوه» وهو الداعي للسلام أو الذي يعمل من أجل السلام (Le Pacificateur)، فمن

المعروف أنّ رسول الله محمد (ص) وقبل بعثته ودعوته لرسالة الاسلام كان ذا شخصية هادئة مسالمة وتأمليّة جذابة حتى سمّاه أهل مكة «الصادق الأمين» وأنه لما بعثه الله برسالة الاسلام وابتدأ يدعو الناس إلىٰ نبذ عبادة الأصنام والإنعتاق من ظلمات الجاهلية والشرك، والإستنارة بنور التوحيد الخالص والإنضواء تحت لواء شريعة الله ودينه الاسلام الحنيف، عندها اضطهده قومه بأعظم الاضطهاد وآذوه بأشد انواع الاذىٰ حتى قال: ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ «ما أُوذي نبي بمثل ما أُوذيت به»، ولكنه تحمل كل ذلك في سبيل إنقاذ قومه من الضلال ليشكل منهم قاعدة تنطلق منها القوىٰ المؤمنة لإنقاذ الانسان وإخراجه من ظلمات الكفر والشرك والعبودية لغير الله الى أنوار الايمان وعبادة الواحد القهّار. وعندما اشتد أذىٰ قومه له قال قولته المشهورة «اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون». وبعد أن هاجر من مكة مسقط رأسه الى المدينة ازداد عدد المؤمنين برسالته ولكن المشركين لم يتوقفوا عن محاولة إيذائه وتأليب الناس عليه، وشن الحروب ضده مما اضطره الى الدفاع عن دين التوحيد الخالص الذي كان ما يزال يافعاً في ذلك الوقت فنصره الله تعالى في جميع حروبه التي خاضعها ضد المشركين وأحلافهم من اليهود والمنافقين، حتى مكّنه الله من افتتاح مكة وتحطيم جميع الأصنام فيها و وهنا ظهرت عظمة رسول الله محمد ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وحبُّه للسلام والأمن، فما إن افتتح مكة وجمع من بقي من أهلها على الشرك وكان حينها في أوج قوّته العسكرية، فقال لهم: ما تظنون أني فاعلٌ بكم. قالوا: خيراً، أخ كريم وابن أخ كريم، فقال لهم: اذهبوا فأنتم الطلقاء.

وقد أصاب السيد عالم في تعليقه على هذا المعنى لكلمة «شيلوه»

أي المحب للسلام أو الداعي للسلام، فقال:

«لا يستطيع أحد أن يعرف قيمة حبّ إنسان للسلام إلا عندما يكون هذا الانسان ممتلكاً للقوة والقدرة العسكرية. وعندما نطالع حياة محمد فإننا نلاحظ أنه كان دائماً يُفضـــل السلم على الحرب، ولم يكن يلجأ الى القتال إلا مكرهاً. والحال أننا لا نستطيع وصف ذلك الذي يجاهد في سبيل الله لإقامة العدل والسلام بأنه عدوٌّ للامن والسلام»[10].

ومن المفيد هنا أن نذكر ما كتبه البروفسور عبد الأحد داود الذي شرّفه الله تعالى باعتناق الاسلام بعد أن كان من كبار علماء المسيحية، حيث برهن على أن معنى كلمة «شيلوه» هو «أمين» أحد ألقاب رسول الله محمد وصفاته (ص) فكتب قائلاً:

ومن الحقائق المعروفة جيداً في تاريخ نبي بلاد العرب أنه قبل دعوته الى الرسالة كان كثير الهدوء والمسالمة ومحلاً للثقة وذا شخصية تأملية وجذابة. وكان أهل مكة يسمونه «محمد الأمين»، وعندما خلع عليه أهل مكة لقب الأمين هذا، لم تكن لديهم أدنى فكرة عن «شيلوه»، وفي جهل من العرب الوثنيين، شاء الله أن تختلط الأمور على اليهود غير المؤمنين، الذين كان بحوزتهم كتاب مقدس، يعرفون محتوياته. وفعل «أمن» العربي مثل فعل أمان العبري معناه: «ثابت، مستمر، مأمون»؛ ولذلك فإن الهدوء والأمانة والثقة تُرينا أن كلمة «أمين» مساوية تماماً (لشيلوه) وتحمل جميع الدلالات التي تتضمنها.

«وقبل أن يرسل الله محمداً بالدعوة الى الاسلام وازالة الوثنية، الأمر

10- A.ALEM, Mohammad dans la Bible et Jésus dans le Coran, P.119.

الذي حققه بنجاح، كان أهدأ وأصدق رجل في مكة. ولم يكن بالمحارب أو المشرع، ولكن بعد أن تحمل رسالة النبوّة أصبح أفصح المتكلمين وأشجع العرب، وكان يحارب الكفار وسيفه في يده، ليس لمصلحته الشخصيّة ولكن من أجل مجد الله، وقضية الدين، وهو الاسلام، وقد عرض الله عليه مفاتيح كنوز الأرض، ولكنه رفضها، وعندما توفي كان فقيراً. إن الخدمة الجليلة العظيمة المدهشة التي قدمها محمد صلى الله عليه (وآله) وسلم خالصة لله، ولصالح البشرية، لم يقدمها أي مخلوق من عباد الله، ملكاً كان أو نبياً، أما خدمته لله فإنه اقتلع جذور الوثنية من جزء كبير من الأرض، وأما خدمته للانسان فقد قدّم له أكمل دين وأفضل شريعة لإرشاده وأمنه، وقد أخذ الصولجان والشريعة من اليهود، فحصّن الصولجان وبلغت شريعته درجة الكمال»[11].

أما ما جاء في وصف هذا النبي الحاكم والمشرع (شيلوه) من القول: «عيناه أشدُّ سواداً من الخمر، وأسنانه أشدُّ بياضاً من اللبن» فإنها من الصفات الخَلْقية المشهورة لرسول الله محمد ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ. فقد جاء في وصف الامام علي بن أبي طالب ـ عليه السلام ـ له: «وكان عظيم العينين، أهدب الأشفار، مُشَرَّب العينين بحمرة» أو كما في رواية ثانية «أدعج[12] العينين مُشربَّتين بحمرة». وكان يأمر بالسواك حتى قيل

---

١١ ــ البروفيسور عبد الأحد داود، محمد في الكتاب المقدس، صفحة ٨٢ـ٨٣.

١٢ ــ جاء في قاموس المنجد: دَعِجَ دَعَجاً، دَعجتِ العينُ: صارت شديدة السواد مع سعتها فصاحبها أدعج.

أنَّ أسنانه كانت بيضاء كعقد اللؤلؤ[١٣].

وهكذا تبيَّن من كل ما تقدَّم أنَّ «الذي بشَّر به يعقوب ـ عليه السلام ـ هو محمد رسول الله (ص) الذي بعثه الله برسالة الاسلام للناس جميعاً. فقد تطابقت جميع الصفات التي ذكرها يعقوب في بشارته مع صفاته، بينما لم ينطبق شيء منها على عيسى بن مريم ـ عليه السلام ـ أو على أيٍّ من أنبياء بني اسرائيل الآخرين. فـ «شيلوه» ليس من بني اسرائيل وهو صاحب رسالة الٰهيَّة عالمية حاكمة وليس صاحب رسالة محدودة ومختصة بقوم دون قوم كما هو الحال في ديانة اليهود.

---

١٣ ــ لقد وردت صفات رسول الله محمد (ص) بشكل جليٍّ واضح في المخطوطات الهامة التي تم العثور عليها بقمران قرب البحر الميت، والتي قام بترجمتها إبجال يادين نائب وزير الحربية الاسرائيلي السابق والمتخصص في اللغات القديمة حيث لم يكن يسمح لغيره بالاطلاع على هذه الوثائق، ونشرها في كتابه «صحائف البحر الميت بالانجليزية» طبعة ١٩٧٩ صفحة ٢٧٠، وتحمل هذه الوثائق اليوم الرقم (4Q186).

وقد قام السيد صلاح كمال بنقل النص الذي وردت فيه صفات رسول الله (ص) في الصفحة ١٢٦ من كتابه «الاسلام والمحرفون الكلم» تحت عنوان «خاتم النبوة» حيث ننقلها عنه بدورنا نظراً لأهميتها وفائدتها بالنسبة للقارىء الكريم.

«... إثنان.... وحة[١]. والشعيرات لونها أحمر. من حوله عدسات. ووحمات صغيرة على فخذه.... (بعد سنة) ين سيعلم.. الأشياء من بعضها. في شبابه سيكون كأنه.... (كر) جل أمي حتى الوقت الذي يعلم فيه الكتب الثلاثة. حينئذ سيبحث عن الحكمة ويتعلم (...).. يأتيه الوحي وهو جالس. في أبيه وأجداده.. الحياة والسن المتقدم. الشورى والحكمة معه. وسيعلم أسرار الانسان. حكمته ستصل كل الناس، وسيعلم أسرار الحياة. كل ←

---

١ ــ شامة (BIRTHMARK). لاحظ أن الحروف التي بين قوسين هي استنتاج من مترجم الصحيفة، أما النقاط فهي كلمات وحروف مطموسة. (الاسلام والمحرفون الكلم هامش ص ١٢٦).

أفعالهم ضده ستنتهي إلىٰ لا شيء. وسـ(يـ)حكم حكماً عظيماً. شريعته (ستنجح) لأنه المختار من الله. ولادته وأقواله.. وسنته ستبقىٰ إلىٰ الأ بد....».

هذا ما ورد في الصحف التي تم اكتشافها في مغارات قمران سنة ١٩٤٧ والتي لم تُنشر إلّا بعد مرور ثلاثين سنة على اكتشافها والعثور عليها، في صفات رسول الله محمد (ص) حيث تتحدث عن بعض صفاته الخَلْقيه البارزة ومراحل سير حياته الشريفة المميَّزة والتي لخَّصها صلاح كامل في كتابه المذكور أعلاه بقوله:

«وهكذا يظهر بعد ثمانية عشر قرناً من الزمان جزء من صحيفة في كهف مجاور للبحر الميت، لم يكشف عنها منذ أبيدت جماعة قمران أثناء الاحتلال الروماني في عصر المسيحية الأولىٰ.. ويشاء المولىٰ أن تبقىٰ من الكلمات المتآكلة ما يصف لنا:

● خاتم النبوة صفة النبي الأمي المنتظر.. [وخاتم النبوة هذا كان علامة بارزة بين كتفي رسول الله (ص)، وهو عبارة عن شامة واضحة نبتت منها بعض الشعيرات، فقد جاء في قصة بحيرىٰ الراهب حين خرج رسول الله، وكان صبياً، مع عمه أبي طالب في ركب إلىٰ الشام ونزل ببصرىٰ (الشام) وكان بها راهب يقال له بحيرىٰ، حيث صنع للقوم طعاماً ودعاهم جميعاً، فلما حضروا عنده علىٰ المائدة نظر بحيرىٰ وإذا غيمة تُظلّل القافلة فسألهم هل بقي أحد منكم في القافلة، فقال أبو طالب نعم لقد تركت فيها ابن أخي وهو صبي يافع، فأمره الراهب أن يحضره «فلما رآه بحيرىٰ جعل يلحظه لحظاً شديداً، وينظر إلىٰ أشياء في جسده كان يجدها عنده من صفته... ثم نظر إلىٰ ظهره فرأىٰ خاتم النبوة بين كتفيه علىٰ موضعه الذي عنده».. حينئذ نصح بحيرىٰ عمه بأن يرجع بابن أخيه إلىٰ مكة وحذره بأن قوم يهود إذا رأوه وعرفوا منه ما عرف ليبغينه شراً.

وأيضاً قصة اسلام سلمان الفارسي رضوان الله عليه، وكان قد نشأ مجوسياً ثم هجر قومه وصار مسيحياً يخدم من كنيسة إلىٰ أخرىٰ في بلاد الشام حتى التحق بخدمة راهب من عمورية أوصاه قائلاً:

«يا بني، قد أطلّ زمان نبي، وهو مبعوث بدين ابراهيم عليه السلام، يخرج من أرض العرب، مهاجرة إلى أرض بين حرتين بينهما نخل، به علامات لا تخفىٰ: يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة، وبين كتفيه خاتم النبوة، فإن استطعت أن تلحق بتلك البلاد فافعل..».

وانتهىٰ أمر سلمان إلىٰ المدينة، واستطاع أن يتحقق من بعض صفات الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وفي يوم جاء إليه ببقيع الغرقد ويقول: «فسلمت عليه، ثم استدرت أنظر إلى ظهره، هل أرىٰ الخاتم الذي وصف لي صاحبي، فلما رآني رسول الله صلى الله عليه وآله

وسلم استدبرته عرف أني أستثبت في شيء وصف لي، فألقىٰ رداءه عن ظهره، فنظرت إلىٰ الخاتم فعرفته، فأكببت عليه أقبله وأبكي..».

وروي عن عائشة أنها قالت: «وبه شامة بين كتفيه سوداء صفراء فيها شعرات متواترات» (طبقات ابن سعد ج ١/١٦٢).

- صفة الوحي الذي أتاه جالساً في غار حراء وبين أصحابه..
- يعلمه الحكمة وحقائق الكتب المنزلة..
- الشورىٰ سنة الرسول صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم..
- ما آل إليه تآمر الكفار والمنافقين.. (حيث جاء في نص البشارة: «كل أفعالهم ضده ستنتهي إلىٰ لا شيء).
- وأن أقواله وأفعاله ستبقىٰ إلىٰ الأبد..
- وأنه المختار من الله ليحمل لواء الشريعة ودين الحق..
- وأنه سيحكم وأمته حكماً عظيماً. (انظر: الاسلام والمحرفون الكلم لـ صلاح كمال. ص ١٢٩).

ملكوت اللّه على لسان يحيى وعيسى ـ عليهما السلام ـ

انحصرت جهود كلٌّ من نبي الله يحيىٰ ونبي الله عيسىٰ ـ عليهما السلام ـ في السعي لتحقيق هدفين اثنَيْن :

١ ــ تصحيح خط سير بني اسرائيل السلوكي والعقائدي ومنعهم من الانحراف.

٢ ــ تبشير الناس بقرب مجيء ملكوت الله وحثهم للإستعداد لاستقباله والانضواء تحت لوائه.

فنبي الله يحيى لم يفتأ يحذر اليهود من عاقبة انحرافهم وطغيانهم ويدعوهم الى التوبة واعداد انفسهم لاستقبال ملكوت الله القريب مجيئه والإنضواء تحت لوائه ، فقد جاء في انجيل متى :

«وفي تلك الأيام جاء يوحنا المعمدان (النبي يحيىٰ) يكرز* في

* يكرز كرزاً ، كرز أي وعظ ونادىٰ ببشارة.

بريّة اليهودية . قائلاً توبوا لأنه قد اقترب ملكوت السمٰوات. فإنَّ هذا هو الذي قيل عنه بأشعياء النبي القائل صوت صارخ في الصحراء أعدُّوا طريق الربِّ . اصنعوا سبله مستقيمة»[1].

إذاً كان نبي الله يحيىٰ (ع) مؤمناً بأنَّ ملكوت الله الذي بشَّر به قبله نبي الله أشعياء لابُدَّ من تحققه على الأرض حيث سيكون له وقع عالمي كبير. ولذا كان يأمر شعبه (بني اسرائيل) بالتوبة والتهيؤ لمجيئه واستقباله .

وما ان قُتل يحيىٰ (ع) حتى قام عيسىٰ بن مريم (ع) يُبشِّر بما كان يبشِّر به يحيى (ع) وشرع يطوف في قُرىٰ الجليل ومدنها داعياً الناس الىٰ التوبة الى الله وتصحيح مسيرهم مُعلناً لهم بأنَّ ملكوت الله الذي بشَّر به يحيىٰ قد اقترب مجيئه. فقد ذكر متّى في إنجيله :

«من ذلك الزمان (أي بعد استشهاد يحيىٰ) ابتدأ يسوع يُكرِّز ويقول توبوا لأنه قد اقترب ملكوت السموات»[2].

وأيضاً ما ذكره مرقس في إنجيله :

وبعدما أُسْلِم يوحنا (أي يحيىٰ) جاء يسوع الى الجليل يكرز ببشارة ملكوت الله ويقول قد كَمُلَ الزمان واقترب ملكوت الله فتوبوا وآمنوا بالإنجيل* »[3].

---

١ ــ انجيل متى ٣ : ١ - ٣.

٢ ــ انجيل متى ٤ : ١٧.

٣ ــ انجيل مرقس ١ : ١٤ - ١٥.

* معنى كلمة «انجيل» هو البشارة والاعلام عن النبأ، فيكون المقصود هنا من عبارة «وآمنوا بالإنجيل» هو: آمنوا بحقيقة هذا النبأ الذي أُخبركم به وهو موعد اقتراب مجيء ←

يتبيَّن مـــن النصوص المذكورة أعلاه أنَّ ملكوت الله لم يكن قد جاء أو تحقَّق في زمن عيسىٰ (ع) وإلا لما كان هو نفسه يُبشِّر به ويأمر حواريِّيه الاثني عشر بالتبشير به كما ذكره لنا متَّى في انجيله، حيث ذكر أن عيسى (ع) قال لهم:

«إلى طريق أُمم لا تمضوا والى مدينة للسامريين لا تدخلوا. بل اذهبوا بالحري الى خراف بيت اسرائيل الضالَّة. وفيما أنتم ذاهبون اكرزوا قائلين إنَّه قد اقترب ملكوت السموات»[٤].

وقد اهتم السيد المسيح (ع) اهتماماً بالغاً بالتبشير بمجيء ملكوت الله، فهو لم يكتف بتكليف حواريِّيه الاثني عشر للقيام بهذه المهمة؛ بل قام بانتخاب سبعين رجلاً من خيرة تلاميذه وقسَّمهم مجموعات مجموعات وأمرهم بأن ينطلقوا ويُبلِّغوا الناس بأنَّ ملكوت الله قد اقترب موعد مجيئه، فقد ذكر لوقا في انجيله:

«وبعد ذلك عيَّن السيد (المسيح) سبعين آخرين وأرسلهم اثنين اثنين أمام وجهه الى كل مدينة وموضع حيث كان هو مُزمعاً أنْ يأتي»[٥]. ثم أوصاهم (ع) قائلاً: «وأية مدينة دخلتموها وقبلوكم فكلوا مما يُقدَّم

← ملكوت الله، إذ لو كان القصد منها أن يؤمنوا بالأناجيل الأربعة التي هي بين أيدي الناس الآن لما كان لهذا الأمر من معنىٰ، حيث أنَّ هذه الأناجيل لم يكن لها وجود في زمن عيسىٰ عليه السلام ولم تكتب إلا بعد مرور عشرات السنين على مغادرته لهذه الدنيا، ولذلك لا معنى لطلبه منهم الإيمان بالانجيل إلّا أنْ يكون القصد: آمنوا بهذا النبأ الذي أُخبركم به، لأنه حتى الانجيل الذي أُوحي به لعيسىٰ عليه السلام لم يكن مكتوباً إنما كان منقوشاً في ذهنه.

٤ ــ انجيل متى ١٠: ٥-٦.

٥ ــ انجيل لوقا: ١٠: ١.

لكم. واشفوا المرضىٰ الذين فيها وقولوا لهم قد اقترب منكم ملكوت الله»[٦].

ومن الواضح كما ذكرنا سابقاً أنَّ ملكوت الله هذا الذي كان يُبشّر به يحيىٰ (ع) لم يظهر في زمانه وكذلك لم يظهر هذا الملكوت في زمان عيسى (ع) ولا في عهد الحواريين الاثني عشر ولا التلاميذ السبعين لأنهم جميعهم أي يحيى وعيسىٰ والحواريين والتلاميذ ما فتئوا يُبشّرون بقرب مجيء ملكوت الله طيلة حياتهم.

والمقصود بملكوت السماوات هو طريق النجاة والخلاص للبشرية قاطبة، ولذا يجب أن يكون متمثلاً بشريعة واضحة المعالم وشاملة لجميع ما يحتاجه الانسان في حياته سواء على مستوىٰ الفرد أو المجتمع بحيث تكون هذه الشريعة هي صراط الله المستقيم التي مَنْ تمسَّك بها نجا ومن ابتعد عنها ضلَّ وغوىٰ حيث لا يقبل الله عزّ وجلّ من أحد أن يعبده إلا عن طريق هذه الشريعة الجديدة. وهذا لا ينطبق إلا على شريعة الاسلام التي بُعِثَ بها محمد ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ بعد عيسىٰ ـ عليه السلام ـ بستة قرون تقريباً. وبذلك يقول الله تعالى بهذا الشأن:

«ومن يبتغ غير الاسلام ديناً فلن يُقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين»[٧].

ومعلوم أنَّ طريق النجاة هذا لم يكن يقيناً مُتمثلاً بشريعة عيسىٰ (ع) وإلا لما كان عيسىٰ نفسه وحواريُّوه وتلاميذه قالوا: «قد

---

٦ ــ انجيل لوقا ١٠: ٨-٩.

٧ ــ سورة آل عمران/٨٥.

اقترب ملكوت السماوات» بل كان عليهم أنْ يقولوا: «لقد ظهر ملكوت السمٰوات والآن هو موجود فعلاً». كما إنَّ عيسى (ع) كان يُعلِّم تلاميذه وأتباعه أن يقولوا في صلاتهم: «أبانا الذي في السمٰوات. ليتقدّس اسمك. ليأت ملكوتك»[٨].

فلو كان ملكوت السماوات قد ظهر في عهد عيسىٰ المسيح (ع) وتحقق به لكان تعليمه هذا الدعاء لتلاميذه في صلاتهم لغواً وباطلاً، فلا معنى إذاً لقولهم وهم يدعون الله تعالى في صلواتهم «ليأت ملكوتك» وملكوته قد جاء. كما إنَّ ملكوت السمٰوات هذا (أي طريق النجاة) سيكون مفتوحاً أمام كل من يريد من بني البشر، ولن يكون مخصوصاً بقوم دون قوم أو بفئة دون فئة كما هوالحال بالنسبة لرسالة عيسىٰ (ع) التي جاءت خاصة ببني إسرائيل وحدهم كما بيَّنا ذلك مراراً في فصول هذا الكتاب السابقة. بينما أُرسل محمد (ص) بشريعة الاسلام لهداية الناس كافة دون أنْ يكون هناك فرق بين أبيضهم وأسودهم، عربيهم وعجميهم، بل إنَّ جميع الناس سواسية في دين الاسلام الحنيف، إنما يتفاضلون بدرجة التقوىٰ التي يبلغها كل واحد منهم.

وعلّق العلاّمة المرحوم محمد صادق فخر الاسلام على هذه البشارة فقال:

«إن لفظ ملكوت السماوات الوارد في الأناجيل يدلُّ على أنّه سيتحقّق بصورة سلطة وقدرة وليس بصورة فقر ومسكنة. كما يجب أن يكون لهذه المملكة أسسها العقائدية والتشريعية مدونة في كتاب سماوي

---

٨ ــ انجيل متّى ٦: ٩.

تسير المملكة في ضوء تعاليمه وهداه. وهذا كله مُحقق بشريعة الإسلام السماوية التي بُعِثَ بها محمد صلى الله عليه وآله وسلم»[٩].

وقد ضرب عيسىٰ (ع) أمثلة كثيرة لتلاميذه وحواريّيه بخصوص ملكوت السموات، حيث نذكر هنا من هذه الأمثلة على سبيل المثال لا الحصر:

ــ فقد قال لهم: «يُشبه ملكوت السموات حبَّة خردل أخذها إنسان وزرعها في حقله. وهي أصغر البزور. ولكن متى نمت فهي أكبر البقول. وتصير شجرة حتى أنَّ طيور السماء تأتي وتتآوىٰ في أغصانها»[١٠].

وكون حبَّة الخردل هذه أصغر البزور أي لم يكن أحد يحسب لها حساباً أو يعيرها اية أهيمة وهذا وضع أحفاد اسماعيل (ع) من القبائل العربية، أي لم يكن اليهود يُفكرون بأنَّ الشريعة تنتقل منهم الى أبناء اسماعيل. ولكن عندما نمت هذه الحبَّة الصغيرة أصبحت أعظم وأشمل وأكبر شريعة ظهرت على الأرض، بحيث يأتي الناس أفواجاً ليتفيئوا تحت ظلالها ويتباركوا فيها.

كما قال لهم أيضاً: «أيضاً يُشبه ملكوت السمٰوات انساناً تاجراً يطلب لآلىء حسنة. فلمّا وجد لؤلؤةً واحدة كثيرة الثمن مضى وباع كل ما كان له واشتراها»[١١].

---

٩ ــ أنيس الاعلام في نصرة الاسلام، ج ١٢٧/٥.

١٠ ـ انجيل متّى ١٣: ٣١ ـ ٣٢.

١١ ـ انجيل متّى ١٣: ٤٥ ـ ٤٦.

وهذا يدل علىٰ أنَّ الشريعة التي تمثل ملكوت السماوات متى جاءت ستنسخ جميع الشرائع الأخرى، كما إن التاجر قد باع جميع اللآلىء التي شبَّه بها عيسى(ع) لحواريه وتلاميذه ملكوت السموات موجود في قوله: «لذلك أقول لكم إنَّ ملكوت الله يُنزع منكم ويُعطىٰ لأُمَّة تعمل ثمارها»[١٢]. فقول عيسى(ع) هذا يدل بوضوح على أنَّ المقصود بعبارة ملكوت السمٰوات هو الشريعة التي ستكون طريقاً للخلاص والنجاة وليس سعة انتشار وشيوع المسيحية في العالم كما يدَّعي علماء الكنيسة الذي لا يعدو كونه تأويلاً واهياً وضعيفاً لا يستند الى أي حقيقة تاريخية أو علمية أو دينية، بل هو خلاف لظاهرهم وما هم عليه. وإلا فإنَّ نزع الشيوع والإنتشار من قوم وإعطاءَهما لقوم آخرين لا معنى له.

وبذلك يتبيَّن لنا من كل ما تقدم أن ملكوت السماوات الوارد في هذه البشارة يعني رسالة الاسلام الخاتمة لجميع الرسالات الإلٰهية السابقة والناسخة لها، ولذا كانت موضع اعتناء واهتمام جميع الأنبياء والمرسلين الذين كانوا يعملون على تهيئة شعوبهم وأتباعهم لانتظارها واستقبالها والانضواء تحت لوائها متى جاءت.

---

١٢ ــ انجيل متى ٢١: ٤٣.

أحمد (ص) (الفارقليط) على لسان عيسى المسيح (ع)

تطالعنا الآية الكريمة السادسة من سورة الصف في القرآن الكريم بأن عيسىٰ عليه السلام قد قام ببشارة بني اسرائيل بقدوم نبي عظيم من بعده اسمه «أحمد». فقد ذكر الله تعالى في هذه الآية الكريمة: «وإذ قال عيسىٰ ابن مريم يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدّقاً لما بين يديّ من التوراة ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد، فلما جاءهم بالبيّنات قالوا هذا سحر مبين».

كما تشير هذه الآية الكريمة الى أنَّ بني اسرائيل قد كذّبوا بهذا المبشر به وكفروا برسالته لما جاءهم بالبيّنات والأدلّة التي تثبت أنه هو النبي الموعود الذي كانوا ينتظرون قدومه منذ قرون طويلة.

وما يهمنا هنا في هذا البحث هو الكشف عن إسم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم «أحمد» في إنجيل يوحنا الذي أورد بشارة المسيح هذه والذي هو انجيل معترف به رسمياً من قبل الكنيسة المسيحية. فالقرآن

الكريم يؤكد علىٰ أن عيسىٰ (ع) قد بشّر بقدوم رسول الاسلام من بعده وذكر اسمه صريحاً لحواريّيه وتلاميذه وعدّد لهم صفاته وما سيقوم به من إنجازات عظيمة باهرة. فهل يمكن لنا أن نجد مصاديق ذلك في أناجيل القوم، وعلى الخصوص ما يشير الى اسم رسول الله أحمد؟ هذا ما سنحاول تجليته في هذا البحث إظهاراً للحقيقة وحبّاً في نشرها وذلك بهدف إدخال الطمأنينة الى قلوب المؤمنين، وإزالة الشك والرين عن قلوب بعض آخرين لعلهم يهتدون الى سواء السبيل، «قال أو لم تؤمن قال بلىٰ ولكن ليطمئن قلبي»[1].

في مجلس مهيب حيث يُخيِّم الصمت على الجميع والكل آذان صاغية، فالسيد المسيح يستعد لإلقاء توصياته الأخيرة على حواريّيه وتلاميذه قبل أن يتم بينه وبينهم الفراق الأخير. فقد أشرفت مهمته الرسالية على الإنتهاء، والأعداء يبحثون عنه في كل مكان لإلقاء القبض عليه والتخلص منه.

لأنه جاءهم بحقائق أفزعتهم وأقضّت مضاجعهم، فهي تخالف أهواءهم ومصالحهم الدنيوية وميولهم الشيطانية، ولذا فإنّ ساعة رحيله قد حانت، ومهمته التي كلّفه الله بها قد تمّت وهي محاولة ردّ بني إسرائيل الى صراط الله المستقيم ومنعهم من غيِّهم وضلالهم، فقد صرّح عليه السلام مراراً قائلاً: «.. لم أُرسل إلّا الىٰ خراف بيت إسرائيل الضالّة»[2].

---

١ ــ القرآن الكريم سورة البقرة/٢٦٠.

٢ ــ انجيل متى ١٥ : ٢٤.

كما إنّه لم يأت ليُرسي قواعد شريعة جديدة غير شريعة موسى (ع) الذي جاء قبله، فقال (ع): «لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء ـ ما جئت لأنقض بل لأكمل»[٣].

إذاً فمهمة عيسى (ع) كانت منع بني إسرائيل من الانحراف العقائدي، وإنقاذهم من ظلمات الضلال واتّباع الشهوات وإضفاء شيء من الأبعاد المعنوية والروحية على تطبيقاتهم العملية لأحكام الشريعة ومن ثم تهيئتهم روحياً وعقائدياً لاستقبال الرسالة الخاتمة التي ستكون رسالة الله العامة والكاملة للبشرية جمعاء حتى يكونوا حريصين على اتّباعها والإيمان بها متى جاءت.

ولذا شرع عليه السلام كما شرع قبله ابن خالته النبي يحيى عليه السلام بإبلاغ بني اسرائيل عن قرب مجيء ملكوت الله إليهم (أي شريعة الله الخاتمة الشاملة) فقال لهم يحيى (ع): «توبوا لأنه قداقترب ملكوت السماوات... أعدُّوا طريق الربّ. اصنعوا سبله مستقيمة»[٤].

وما إن قُتل يحيى (ع) على يد الطغمة الحاكمة في ذلك الوقت بتحريض من إحدى المومسات حتى بدأ عيسى (ع) بمهمته الرسالية في تقويم مسار الناس وتهيئتهم لاستقبال شريعة الله الجديدة، وتعريفهم بحامل هذه الرسالة الخاتمة ودعوتهم للإيمان به ومناصرته، فقد نقل متّى في انجيله: «ومن ذلك الزمان (أي بعد قتل يحيى) ابتدأ يسوع يكرز (أي يُبشّر) ويقول توبوا. لأنه قد اقترب ملكوت السماوات»[٥].

---

٣ ــ انجيل متى ٥ : ١٧.

٤ ــ انجيل متى ٣ : ٢ ـ ٣. انظر البشارة الثامنة من هذا الكتاب.

٥ ــ انجيل متى ٤ : ١٧ ـ ٢٣، انجيل مرقس ١ : ١٥.

وقد أمر عيسى (ع) حواريه وتلاميذه وأوصاهم بأن يقوموا بنفس المهمة أي بالقيام بتبشير الناس بقرب مجيء ملكوت الله ووجوب الإنضواء تحت رايته[٦]. ثم انتقل خطوة تبليغية أخرى وأعلن لبني اسرائيل بأن ملكوت الله (أي شريعة الله) سوف ينزعها الله منهم ليعطيها الى شعب آخر أكثر إيماناً ووفاءً واخلاصاً لله منهم[٧] حيث تتحقق على يديه إنجازات عظيمة وباهرة.

وهكذا تدرَّج عيسى (ع) بالبشارة برسالة الاسلام ورسوله الكريم. فهو بعد أن أخبر عن قرب مجيء ملكوت الله (أي شريعته) أعلن لبني اسرائيل صراحة أنَّ لواء الشريعة الالٰهية سوف ينزع منهم ويُعطىٰ الى شعب آخر أكثر وفاءً واخلاصاً منهم. وقد ضرب لهم بذلك الأمثال ليفهمهم وليضعهم أمام الأمر الواقع. ثم انتقل بهم خطوة أخرىٰ وأعلمهم أنَّ النبي الذي ينتظرونه لن يكون من أحفاد داود كما يزعمون[٨] بل من أحفاد اسماعيل (ع)[٩].

وبعد أن وصل بهم الى هذه المرحلة من التبليغ انتقل بهم الى المرحلة الحاسمة والنهائية في تبليغه فأعلن لهم عن الاسم الصريح للنبي المنتظر الذي ينتظرون قدومه عليهم بعد أن بشَّرهم به جميع أنبياء بني اسرائيل ابتداءً من موسى (ع). هذا النبي المنتظر هو حامل راية ملكوت

---

٦ ــ انجيل متى ١٠: ٥-٧، وانجيل لوقا ٩: ١-٢، انظر البشارة الثامنة من هذا الكتاب.

٧ ــ انظر انجيل متى ٢١: ٣٣-٤٤، وانجيل مرقس ١٢: ١-١٢ وانجيل لوقا ٢٠: ٩-١٨.

٨ ــ انجيل متى ٢٢: ٤١-٤٤.

٩ ــ انجيل برنابا ٤٣: ٢٠-٣١.

الله (أي شريعة الله الخاتمة) وخاتم الأنبياء والمرسلين، حتى متى جاء عرفوه وآمنوا به ونصروه.

وهكذا كان المجلس جليلاً مهيباً عند ساعة وداع السيد المسيح لحواريّيه وتلاميذه حيث القلوب متلهفة لسماع آخر وصاياه، عسى أن تحمل في طيّاتها ومضات من نور تكشف لهم عن خفايا المستقبل المجهول ليكونوا على بصيرة من أمرهم بعد رحيله عنهم.

والتفت اليهم السيّد المسيح (ع) وأخذ يشرح لهم بهدوء العارف الواثق من كلامه قائلاً:

«إن كنتم تحبّونني فاحفظوا وصاياي. وأنا أطلب من الأب فيعطيكم معزّياً (فارقليط) آخراً ليمكث معكم الى الأبد. روح الحق الذي لا يستطيع العالم أن يقبله لأنه لا يراه ولا يعرفه، وأمّا أنتم فإنكم تعرفونه لأنه ماكث معكم ويكون فيكم»[10]. وبعد لحظات من الصمت تابع قائلاً: «بهذا كلمتكم وأنا عندكم. وأمّا الفارقليط، الروح القدس، الذي سيرسله الآب بإسمي فهو يعلمكم كل شيء ويذكركم بكل ما قلته لكم»[11]. ثم قال لهم: «وقلت لكم الآن قبل أن يكون حتى متى كان تؤمنون»[12].

ثم قال لهم في مورد آخر: «ومتى جاء الفارقليط الذي سأرسله أنا إليكم من الآب روح الحق الذي من عند الآب ينبثق فهو يشهد لي»[13].

---

١٠ ــ انجيل يوحنا ١٤: ١٥-١٧.

١١ ــ انجيل يوحنا ١٤: ٢٥: ٢٦.

١٢ ــ انجيل يوحنا ١٤: ٢٩.

١٣ ــ انجيل يوحنا ١٥: ٢٦.

وفي الفصل السادس عشر من انجيل يوحنا يشرع بإعطائهم صفات هذا الفارقليط (النبي العظيم الذي سيأتي بعده) كي لا يخطؤوه متى جاء، فقال لهم:

«لكني أقول لكم الحقّ إنّه خير لكم أن أنطلق. لأنّه إنْ لم أنطلق لا يأتيكم الفارقليط، ولكن إن ذهبت أُرسله لكم. ومتى جاء ذاك يبكّت العالم على خطيئة وعلى برّ وعلى دينونة، أمّا على خطيئة فلأنهم لا يؤمنون بي. وأمّا على برٍّ فلأني ذاهب الى أبي ولا ترونني أيضاً. وأمّا على دينونة فلأنّ رئيس هذا العالم قد دين.

«إنَّ لي أموراً كثيرة أيضاً لأقول لكم ولكن لا تستطيعون أن تحتملوا الآن، وأمّا متى جاء ذاك روح الحق فهو يُرشدكم إلى جميع الحق لأنه لا يتكلم من نفسه بل كل ما يسمع يتكلم به ويخبركم بأمور آتية. ذاك يمجّدني لأنه يأخذ مما لي ويخبركم»[١٤].

وممّا يثير الدهشة والاستغراب هو أنَّ هذا الحديث الطويل الذي تضمن وصايا عيسى (ع) الأخيرة لحواريه وتلاميذه، ووداعه الأخير لهم على رغم طوله وأهميّة ما جاء فيه من إخبارهم بأمور مستقبلية في غاية الأهميَّة قد تفرَّد به يوحنّا في انجيله بينما خلت الأناجيل الثلاثة الأُولى (أي متّى ومرقس ولوقا) من أي إشارة الى هذا الأمر الخطير. فكيف يمكن لنا تفسير تجاهل هذه الأناجيل الثلاثة الأولى، وهي الأقدم من إنجيل يوحنّا، لذكر هذا الامر العظيم الذي هو من الأهمية بمكان. فهل أنَّ متّى ومرقس ولوقا قد دونوه في أناجيلهم ولكن النسّاخ والمترجمين

---

١٤ ــ انجيل يوحنا ١٦: ٧-١٤.

عملوا على حذفه بتمامه؟ ولماذا يا ترىٰ؟ لقد بقي الجواب سراً من الأسرار الخفيَّة التي لم يستطع رجال الكنيسة إلقاء أي ضوء عليها.

ونشير هنا الى نقطة ثانية وهي أنَّ أهل الكتاب قد جرت العادة عندهم لدىٰ ترجمتهم لكتبهم المقدسة أن ينقلوا لنا ترجمة الأسماء الى اللغات المترجم إليها وليست الأسماء صريحة بذاتها.

فعيسى (ع) كان قد تحدث بلغة قومه بني اسرائيل العبرية أو اللغة الوطنية الآرامية التي كانت سائدة في فلسطين في ذلك الزمان، بينما نجد أنّ أناجيل كل من يوحنا ومرقس ولوقا قد كتبت باللغة اليونانية أي كانت ترجمة للّغة الاصلية التي كان يتحدث بها عيسى (ع) وهي (العبرية أو الآرامية)، أمّا انجيل متّىٰ فقد كُتب باللغة العبرية ولكن أصله العبري قد فُقد ولم تصلنا إلّا ترجمته اليونانية، ولذلك فالشك والشبهة حول ما تضمنته هذه الأناجيل باقية حتى اليوم وخصوصاً بما يتعلق باسم ذلك النبي المُبشَّر به حيث أنَّ ما يحويه انجيل يوحنّا هو ترجمة لاسم المبشّر به الى اليونانية وليس الاسم الأصلي الذي نطق به عيسى (ع) بالعبرية أو الآرامية.

ولذا فإنَّ اسم المُبشَّر به الصريح قد اختفى. والمسيحيون لم يروه ولم يسمعوا به إلّا اللّهم ما ذكره برنابا في إنجيله من إسم محمد (ص) الصريح بعنوان النبوة (يعني محمداً رسول الله)[١٥].

---

١٥ ــ لقد وردت البشارة برسول الله محمد (ص) على لسان عيسى (ع) في أماكن عديدة من إنجيل برنابا، نذكر بعضها على سبيل المثال لا الحصر لتعم الفائدة للقارىء الكريم: جاء في الفصل ٩٦/ ٨ـ ١٥ أنَّ كاهناً يهودياً سأل عيسى (ع) إن كان هو المسيح (أو النبي) المنتظر فأجاب: «لعمر الله الذي تقف بحضرته نفسي إني لست مسيّاً الذي تنتظره كل قبائل

فما هو الاسم الصريح الذي استعمله عيسىٰ (ع) في لغته الأصلية والذي تمت ترجمته في انجيل يوحنا الى «الفرقليط» ثم ترجم الى «المُعزِّى» في جميع نسخ هذاالانجيل؟

لقد ذكر الله تعالى كما أشرنا سابقاً في الآية السادسة من سورة الصف أنَّ عيسى عليه السلام قد ذكر اسم الرسول المُبشَّر به أنه «أحمد» صريحاً، بينما ذكر برنابا في انجيله اسم «محمد» والواقع أنَّ (محمد) و (احمد) لهما نفس المعنى، ويمكن أن يُقال أنَّ عيسى (ع) كان يستعمل تارة لفظة محمد وتارة أُخرىٰ لفظة أحمد.

وقد علَّق العلامة المرحوم محمد صادق فخر الاسلام على كلمة «فارقليط» الواردة في بشارة يوحنا ما ملخصه: «إنَّ يوحنا صاحب

الأرض كما وعد الله أبانا ابراهيم قائلاً: «بنسلك أبارك كل قبائل الأرض». ولكن عندما يأخذني الله من العالم سيثير الشيطان مرّة أخرى هذه الفتنة الملعونة بأن يحمل عادم التقوى على الاعتقاد بأني الله وابن الله. فينجس بسبب هذا كلامي وتعليمي حتى لا يكاد يبقى ثلاثون مؤمناً. حينئذ يرحم الله العالم ويُرسل رسوله الذي خلق كل الأشياء لأجله. الذي سيأتي من الجنوب بقوة وسيُبيد الأصنام وعبدة الأصنام. وسينتزع من الشيطان سلطته على البشر. وسيأتي برحمة الله لخلاص الذين يؤمنون به. وسيكون من يؤمن بكلامه مباركاً».

ثم يذكر عيسى (ع) اسم محمد (ص) صريحاً في الفصل ٩٧/ ١٣ـ ١٧:

«فقال حينئذ الكاهن: ماذا يُسمَّى مسيّاً وماهي العلاقة التي تعلن مجيئه؟ أجاب يسوع: إنّ اسم مسيّاً عجيب لأنَّ الله نفسه سمّاه لما خلق نفسه ووضعها في بهاء سماوي. قال الله: «اصبر يا محمد لأني لأجلك أريد أن أخلق الجنة والعالم وجمّاً غفيراً من الخلائق التي أهبها لك حتى أنّ مَن يُبارككَ يكون مباركاً ومن يلعنك يكون ملعوناً. ومتى أرسلتك الى العالم أجعلك رسولي للخلاص وتكون كلمتك صادقة. حتى إنَّ السماء والأرض تهنان ولكن إيمانك لا يهن ابداً». إنَّ اسمه المبارك محمد».

راجع أيضاً في انجيل برنابا الفصل ١٤/٣٩ ـ ٢٧ والفصل ٢٦/٤١ ـ ٣١ تجد اسم محمد رسول الله (ص) صريحاً.

الانجيل الرابع قد قام بترجمة اسم المُبشَّر به من قبل عيسىٰ (ع) الى اللغة اليونانية بهذا الشكل Periclytos (بريكليطوس) والتي تعني باللغة العربية «محمد» (...) وقد تمَّ تعريب هذه الكلمة اليونانية الى «فارقليط» أو «بارقليط»، وكلمة بارقليط هذه مشتقة من كلمة (باركليطوس) التي تعني مُعزِّي، ومُعين، ووكيل وليس من (بريكليطوس) التي تعني محمد وأحمد والتي عُرِّبت عناداً وتعصباً بعد ظهور الاسلام الى لفظة (فارقليط) ولم يكن هناك قبل الاسلام أي نقاش أو جدال حول معنىٰ هذه الكلمة.

ثم يتابع العلامة محمد صادق ـ فخر الاسلام ـ قائلاً: أنَّ التفاوت بين اللفظتين قليل جداً Periclytos (بريكليطوس) و Paraclytos (باركليطوس) حيث أننا نلاحظ أن الحروف اليونانية متشابهة جداً فيما بينها، ولذا فإنَّ تبديل بركليطوس بباركليطوس من قبل النسّاخ والمعاندين هو أمر ممكن الوقوع. وهذا النوع من التحريف والتزوير ليس ببعيد عن أهل التثليث المنكرين لرسالة خاتم الأنبياء والمرسلين صلى الله عليه وآله وسلم بل إنَّه من بديهيات الأمور عندهم لأنَّ علماءهم لا يتورعون عن فعل ذلك بل يعتبرونه عندهم من المستحبات[١٦]. انتهى كلامه ملخصاً.

والواقع أنَّ كلمة (باراكليتوس) قد جاءت تحريفاً للصيغة اليونانية الصحيحة التي هي (بريكليتوس Periklytos) والتي تعني: الأشهر أو الجدير بالحمد.

---

١٦ ــ انيس الاعلام في نصرة الاسلام ج ١٤٦/٥.

وبعد أن حرّفَ رجال الكنيسة اسم المُبشِّر به في انجيل يوحنّا من (بريكليتوس) ـ أي الجدير بالحمد وهو أحمد ومحمد ـ الى (باراكليتوس) ـ أي الشفيع والمعزِّي ـ عمدوا الى تحريف من نوع آخروهو ادّعاؤهم بأن الباراكليتوس (المُعرَّب الى فارقليط) هو «الروح القدس» الذي يطلقون عليه اسم «الأقنوم الثالث» الذي نزل علىٰ الحواريين بعد عدّة أيام من موت عيسىٰ المسيح بزعمهم.

وقد قام يوحنا صاحب الانجيل المسمّى باسمه بإعطاء تفسير لكلمة (فارقليط)، فقال في الفقرة ٢٦ أنــه (روح الحــق). وقد علّق الطبيب الفرنسي الجرّاح موريس بوكاي على ذلك قائلاً:

«إنَّ التفاسير والتعليقات التي أُعطيت من قبل رجال الكنيسة لهذه النصوص الحاوية على كلمة «الفارقليط» تحاول الإيحاء الىٰ القارىء بأنها صحيحة الرأي ومنزهة عن الخطأ. ولإيضاح ذلك نأخذ مثالاً على ادّعائهم هذا، ما ورد في المعجم الصغير للعهدالجديد للأب تريكو (A. TRICOT) حول شرح مفهوم الفارقليط، فقد جاء فيه: «هذا الاسم أو هذا اللقب المنقول عن اليونانية إلىٰ الفرنسية (Paraclet فارقليط) في العهد الجديد فقط عن طريق يوحنّا في إنجيله قد تمّ ذكره أربع مرات عندما نقل حديث عيسى (ع) في وداعه الأخير (١٤: ١٦ و٢٦؛ ١٥: ٢٦؛ ١٦: ٧) ومرّة واحدة في رسالة يوحنّا الأولى (٢: ١). ففي انجيل يوحنّا ذُكرت كلمة فارقليط بمعنى الروح القدس، بينما في رسالة يوحنّا الأولى تعنـــي عيسى المسيح. لقد استُعملت كلمة الفارقليط كثيراً من قبل اليهود الهللنستيين بمعنىٰ الشفيع والمحامي (...). وقد أعلن عيسىٰ بأنَّ الروح سيُرْسَل من قبل الآب والإبن وستكون وظيفته أنْ يحل محل

الإبن في دوره الإنقاذي الذي قام به مُدّة حياته على الأرض لصالح تلامذته. فالروح سيدخل الساحة ويتصرف مكان المسيح كفار قليط شفيع قادر على كل شيء».

ويعلق موريس بوكاي على هذا التفسير الذي يجعل من الروح القدس مُرشداً اسمىٰ للبشرية بعد اختفاء المسيح قائلاً: «هل يتفق هذا التفسير مع ما جاء في انجيل يوحنّا حول الفارقليط؟ هذا التساؤل يجب أن يُطرح لأنّه من الصعب تطبيق ما جاء في آخر فصل من الوصيّة على الروح القدس: «... لأنه لا يتكلم من نفسه بل كل ما يسمع يتكلم به ويخبركم بأمور آتية».

إنّه من غير المعقول أن تكون عند الروح القدس قدرة التحدث وأن يقول ما يسمع. وحتى تتكون عندنا فكرة صحيحة عن الموضوع يجب أن نعود الى النص اليوناني لإنجيل يوحنّا الذي كتب لأول مرّة باللغة اليونانية. ففي جميع النصوص التي وردت في انجيل يوحنّا بخصوص الفارقليط لايوجد بينها إلّا نَصٌّ واحد يُثير الشبهة، وهو ما جاء في الفقرة ٢٦ من الاصحاح ١٤: «وأمّا الفارقليط الروح القدس الذي سيُرسله الآب بإسمي فهو يُعلمكم كل شيء...»، فما يثير الشبهة هنا هي عبارة «الروح القدس» التي جاءت بعد كلمة فارقليط كتفسير لها كما يظن النصارى! فهل هي عبارة أُضيفت فيما بعد من قبل النُسّاخ؟ أم أنّها من صُلب النص اليوناني للإنجيل؟

«وممّا يدعونا للشك هنا هو أنّ النسخة السريانية لهذا الانجيل والتي كتبت في القرن الرابع أو الخامس الميلادي، وتمّ اكتشافها في جبل سيناء (طور سيناء) عام ١٨١٢، لا تحتوي على عبارة «الروح

القدس» بعد كلمة الفارقليط بل تَمَّ ذكر كلمة الروح فقط.

«وممّا يجعلنا نؤكد بأنَّ عبارة (الروح القدس) قد تمَّت اضافتها الى أصل النص ولا تعني بشكل من الأشكال الفارقليط هو ما ورد في الفقرة ١٣ من الاصحاح ١٦: «وأمّا متى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم الى جميع الحق لأنه لا يتكلم من نفسه بل كل ما يسمع يتكلم به...» فعبارة «وأمّا متى جاء ذاك روح الحق...» تدل بوضوح علىٰ أنه ما زال لم يأت بعد في زمن عيسىٰ(ع) بينما تذكر الأناجيل أنَّ الروح القدس كانت قد نزلت مرّات عديدة على عيسىٰ وحواريّيه.

«ثم يجب معرفة المقصود من عبارة «كل ما يسمع يتكلم به» فهي تحوي على فعلي (يسمع) و (يتكلم). وهذا يبيِّن أن اتّصال هذا المبشَّر به مع الناس لن يكون عن طريق الالهام الذي هو من خواص الروح القدس ولكنه سيكون بواسطة جهاز سمع وجهاز تكلم مادِّيَّين، وهذا هو المعنى الذي يمكن استخلاصه من فعليّ السمع والتكلم في النص اليوناني لانجيل يوحنا حيث استخدم عبارة «akouô» وهو فعل يسمع، وعبارة «laleô» وهو فعل يتكلم، وهذا لا يكون إلا إذا كان الفارقليط المبشَّر به يملك جهازي سمع ونطق. وهذا لا ينطبق على الروح القدس».

وبعد أن يتوصل السيد بوكاي الى هذه النتيجة يستخلص قائلاً: «وهكذا فإن النص اليوناني لهذه الفقرة الذي وصل الينا لا يمكن له أن يُفْهم أو أن يحمل معنىً صحيحاً إذا ما اعتبرنا بأن عبارة (الروح القدس) تدخل في صلب نص هذه الفقرة (١٤: ٢٦) أي «الفارقليط الروح القدس الذي سيُرسله الآب باسمي... الخ» والتي هي الفقرة الوحيدة في انجيل يوحنّا التي يمكن لها أن توحي بأن كلمة الفارقليط

تعني الروح القدس.

«ولكن إذا ما حذفنا عبارة (الروح القدس) فإنَّ ما جاء في هذه الفقرة يُصبح ذا معنى واضح والذي يؤيد ذلك ويدعمه هو ما جاء في الفقرة الأولى من الاصحاح الثاني لرسالة يوحنا الأولى حيث تَمَّ استخدام نفس الكلمة (فارقليط) للتعبير بها عن عيسىٰ (ع) بصفته شفيعاً عند الله. وعندما يقول عيسىٰ نفسه حسب ما ورد في إنجيل يوحنا (١٤ : ١٦) : «وأنا أطلب من الآب فيعطيكم فارقليط آخر.» فهو يريد بذلك أنه سيُرسل للناس شفيعاً آخر كما كان هو نفسه شفيعاً للناس عند الله خلال وجوده بينهم»[١٧].

يتبيَّن لنا إذاً بوضوح أنَّ الفارقليط الذي ورد ذكره في انجيل يوحنّا يعني كائناً بشرياً مثل عيسىٰ (ع) يتمتع بقدرة السمع والتكلم كما هو مبيَّن في النص اليوناني لهذا الانجيل. إذاً لقد أعلن عيسىٰ (ع) أنّ الله تعالى سوف يبعث أو يُرسل الىٰ الناس إنساناً مثلهم ليقوم بالدور الذي ذكره يوحنا في انجيله، والذي هو دور نبيٍّ يقوم بنقل رسالة الله التي يسمعها عن طريق الوحي الى الناس جميعاً.

ويمكن لنا أن نستخلص أن عبارة (الروح القدس) قد تمّت إضافتها فيما بعد الى النص عن سابق إرادة وتصميم وعلىٰ الأرجح بعد ظهور الاسلام، وذلك بقصد تحريف المعنىٰ الصحيح لهذا النص الوارد في انجيل يوحنّا الذي يعلن بكل صراحة عن مجيء نبيٍّ بعد عيسى (ع)، لأن ذلك بحدّ ذاته مناقض لتعاليم الكنيسة المسيحية التي تدّعي بأنَّ

17- Maurice BUCAILLE, la Bible, le Coran et la Science, pp. 107 - 108.

عيسى هو آخر الأنبياء والمرسلين من قبل الله ولذلك عمدوا الى تحريف نص هذه البشارة.

إذاً فالمراد من كلمة الفارقليط هو نبيّ مبشَّر به وهو محمد (ص) وليس الروح القدس النازلة على تلامذة عيسىٰ (ع) بعد ارتحاله عنهم يوم اجتماعهم في الدار كما جاء في الفصل الثاني من كتاب أعمال الرسل: «ولما حضر يوم الخميس كان الجميع معاً بنفس واحدة. وصار بغتة من السماء صوت كما من هبوب ريح عاصفة وملأ كل البيت حيث كانوا جالسين وظهرت لهم ألسنة منقسمة كأنها من نار واستقرت على كل واحد منهم. وامتلأ الجميع من الروح القدس وابتدأوا يتكلمون بألسنة أخرىٰ كما أعطاهم الروح أن ينطقوا»[١٨].

إنه حقاً لمشهد غريب! ريح عاصفة تنقسم الى ألسنة من لهب لتدخل كل واحدة منها في جوف كل واحد من الحضور، فيشرع كل واحد منهم بالتحدث بلغة تختلف عن اللغات التي يتحدث بها الآخرون. فمع من كانوا يتحدثون جميعاً وفي نفس الوقت؟ وعن أي شيء كانوا يتحدثون؟ وما فائدة هذه المسرحية الخيالية يا ترىٰ؟ هذا ما لم يذكره لنا النص...!!

ولكي يتضح لنا الأمر أكثر ونصل الى درجة اليقين بأن الفارقليط المبشَّر به هو محمد (ص) وليس أحداً غيره علينا أن نسلط الضوء هنا على فقرات هذه البشارة التي وردت في كل من الفصول ١٤ و ١٥ و ١٦ من انجيل يوحنّا. فلقد بدأ عيسى عليه السلام بإيقاظ الوعي عند تلاميذه

---

١٨ ــ اعمال الرسل ٢: ١: ٤.

بقوله لهم : «إن كنتم تحبونني فاحفظوا وصاياي». (يوحنا ١٤ : ١٥)، وبعد ذلك مباشرة أخبرهم عن قرب موعد مجيء الفارقليط ليتهيأوا ويكونوا على استعداد للايمان به متى جاء. والحقيقة أنّ عيسى (ع) كان يعلم عن طريق الوحي ونور النبوّة أنّ الكثير من أتباعه سوف يُنكرون نبوّة هذا النبي، الذي يُبشّرهم به، وقت ظهوره، ولهذا أكّد عليهم قائلاً : إن كنتم تحبونني فاحفظوا وصاياي وآمنوا بالفارقليط القادم بعدي وأيّدوه وانصروه.

وبعد أن هيّأهم روحياً ونفسياً، بشّرهم بمجيء الفارقليط من بعده فقال لهم : -

ــ «وأنا أطلب من الآب فيعطيكم فارقليطاً آخر يمكث معكم الى الأبد» (يوحنا ١٤ : ١٦). والمتفحص لعبارات هذه الفقرات من البشارة يلاحظ شيئاً من عدم التوازن فيها، فعبارة «آخر» التي وردت بعد اسم «فارقليط» تشير الى أن هناك عدة فارقليطات مع إننا أثبتنا سابقاً أنها كلمة محرّفة عن كلمة (بريكليتوس) والتي تعني محمد وأحمد الذي هو اسم شخص خاص. إذاً كلمة (آخر) هنا قد أُضيفت الى النص تحريفاً له.

ثم إنّ عبارة (وأنا أطلب من الآب فيعطيكم فارقليطاً آخر) توحي بأنّ الفارقليط لن يأتي إلا اذ طلب عيسىٰ ذلك! وفي رأينا فإن هذه العبارة (وأنا أطلب من الآب فيعطيكم..) إمّا أنها تحريف واضح للنص، وذلك لربط هذا الحادث العظيم المتعلق بمجيء الفارقليط بعيسىٰ (ع). وإمّا أنها جاءت خطأ في الترجمة حيث إنّ الأصل يجب أن يكون علىٰ هذه الصورة: «وإنني سأدعو الله تعالىٰ لكي يرسل لكم

البريكليتوس الموعود (أي محمد أو أحمد) الذي سوف تبقىٰ شريعته الى الأبد» وبهذا يتم المعنىٰ الذي يتناسب مع شخصية المسيح عليه السلام المتواضعة والبعيدة عن الكبر والاستعلاء.

والحال نفسه بالنسبة لما ورد في الفقرة ٢٦ من الإصحاح ١٤ والتي تقول: «وأمّا الفارقليط الروح القدس الذي سيُرسله الآب بإسمي...» فإنَّ التحريف ظاهر عليها، فالفارقليط لا يعني الروح القدس كما أثبتنا سابقاً وهذا وحده يكفي لإسقاط العبارة التي جاءت بعدها (... الذي سيُرسله الآب بإسمي). فلماذا يُرسل الله الفارقليط بإسم عيسىٰ؟ أليس إرسال الأنبياء هو برنامج إلٰهي يتم باسم الله وليس باسم اي كائن آخر لهداية البشر الى توحيد الله وعبادته حيث يبدأ بآدم(ع) وينتهي بإرسال خاتم الأنبياء محمد صلى الله عليه وآله وسلم (الذي هو البريكليتوس) مروراً بنوح وابراهيم وموسىٰ وعيسىٰ عليهم أفضل الصلاة والسلام؟ إذاً فعبارة «إرسال الفارقليط من قبل الآب بإسم عيسىٰ» قد تمَّ إضافتها من قبل النسّاخ تحريفاً لهذه البشارة.

ويمكن القول نفسه بخصوص ما جاء في الفقرة ٢٦ من الاصحاح ١٥ حيث يقول فيها: «ومتى جاء الفارقليط الذي سأرسله أنا إليكم من الآب...». إن عبارة «الذي سأرسله أنا إليكم من الآب» مدسوسة في النص بقصد تحريفه، فهي لا معنىٰ لها هنا بل هي لغو محض. والنص الصحيح المتماسك الخالي من شوائب التحريف يجب أن يكون على هذا النحو: «ومتى جاء الفارقليط روح الحق الذي سيبعثه الله فهو يشهد لي».

وهكذا بالنسبة لما ورد في الفقرة ٧ من الإصحاح ١٦ والتي تقول:

«لكني أقول لكم الحق إنه خير لكم أن أنطلق. لأنه إن لم أنطلق لا يأتيكم الفارقليط. ولكن إن ذهبت أرسله إليكم». فعبارة «أرسله إليكم» عبارة واضحة الدس والتحريف للنص لأنه كما أوضحنا سابقاً لا ربط لإرسال الفارقليط بعيسىٰ (ع) فالله تعالىٰ هو الذي يُرسل الفارقليط كما أرسل عيسىٰ الذي هو نبي مرسلٌ كغيره من الأنبياء والمرسلين ولكن علماء اللاهوت المسيحي يُصرُّون على إضفاء صبغة الألوهية عليه، فهو بزعمهم إبن الله، وأحد الأقانيم الثلاثة التي هي الله والله هو الأقانيم الثلاثة، فَمَنْ يُرْسِل مَنْ؟ وَمَنْ يَطلب مِمَّنْ؟ فالله يطلب من الله أن يُرسل الله وهكذا يدورون في حلقة مفرغة خالية من أي معنىً صحيح.

وهكذا وبعد أن أشرنا الى مواطن التحريف في نصوص هذه البشارة نعود الى فقراتها لنتابع تدرُّج عيسىٰ المسيح عليه السلام في تبشير أتباعه بقدوم محمد رسول الله (ص):

ــ فبعد أن أخبر عيسىٰ (ع) تلاميذه بأن الله سيرسل لهم الفارقليط ليمكث معهم الى الأ بد (أي لتمكث شريعته الى الأ بد) قال لهم:

«روح الحق (أي الفارقليط) الذي لا يستطيع العالم أن يقبله لأنه لا يراه ولا يعرفه وأما أنتم فتعرفونه لأنه ماكث معكم ويكون فيكم». (انجيل يوحنا ١٤: ١٧)، والمعنىٰ هو أن الشعوب الأخرىٰ لم يسمعوا بالفارقليط (محمد) كما سمعتم أنتم به، ولذلك لن يعرفوه لدىٰ ظهوره، أمّا أنتم فإنكم ستعرفونه لأنني بشَّرتكم به وذكرت لكم اسمه وصفاته وطلبت منكم أن تؤمنوا به وتنصروه وتؤازروه، فمن الآن قد غرستُ صورتَه وحبَّه في قلوبكم فهو معكم وفيكم لأنكم تنتظرونه بفارغ الصبر،

و «بهذا كلمتكم وأنا عندكم» (يوحنا ١٤ : ٢٥) حتى لا يكون لكم حجة عليَّ يوم القيامة فقد أبلغتكم ما أمرني به ربي. ثم يضيف لهم قائلاً: «وقلت لكم الآن قبل أن يكون حتى متى كان تؤمنون» (يوحنا ١٤ : ٢٩)، وهذا دليل على أن المقصود هنا ليس الروح القدس لأن الحواريين كانوا قد اعتادوا علىٰ نزولها ولم يستبعدوا ذلك. ولذا فالتأكيد هنا علىٰ وجوب إيمانهم بها حين نزولها مرة أُخرى لا معنىٰ له بل هو لغو لا فائدة منه وهو قول لا يصدر عن عاقل فضلا عن نبي عظيم. إذاً فالمراد من هذا القول هو نبيٌّ مبشِّرٌ به يأتي بعد عيسىٰ (ع).

ــ ويتابع عيسى عليه السلام بشارته لأصحابه فيقول لهم: «لكني أقول لكم الحقَّ إنَّه خير لكم أن أنطلق. لأنّه إنْ لم أنطلق لا يأتيكم الفارقليط» (يوحنا ١٦ : ٧).

ما أعذبها من روح وما أصدقها من لهجة هذه التي نطق بها عيسى عليه السلام أمام الحواريِّين معترفاً لهم بأنَّ من مصلحتهم ومصلحة البشرية أن يذهب حتى يأتي البريكليتوس (محمد) خاتم الأنبياء والمرسلين ذاك الذي سيُبْعَثُ بدين الاسلام شريعة الله الخالدة لهداية البشرية جمعاء.

وأيضاً، فإنَّ ما جاء في هذه الفقرة من البشارة يشكل دليلاً على أنَّ الفارقليط هو غير الروح، لأن الروح قد نزل عليهم وحضر معهم بحضور عيسى (ع)، فمجيء الروح غير مشروط بذهاب عيسى (ع).

إذاً الفارقليط هو شخص آخر حيث أن مجيئه مشروط بذهاب عيسىٰ (ع) من بينهم وهذه الصفة هي من صفات محمد خاتم الأنبياء (ص) الذي جاء بعد عيسىٰ (ع) لأنه لا يجوز أن يكون رسولان صاحبا شريعتين مستقلتين في آن واحد.

ويجب أن لا ننسىٰ بأن المسيحيين الأوائل قد فهموا من عبارة البريكليتوس (فارقليط) نبيّاً مُبشّراً به سيأتي مستقبلاً ولم يفهموا من ذلك أنه الروح القدس. فقد ادّعىٰ بعض المسيحيين أنه هو الفارقليط المبشّر به وذلك قبل ظهور محمد (ص). ومثال علىٰ ذلك منتسي المسيحي الذي عاش في القرن الثاني الميلادي والذي كان يُعرف بتقاه وورعه، فقد ادّعى سنة ١٧٧ ميلادية في آسيا الصغرى أنه صاحب رسالة وأنه الفارقليط الذي بشّر عيسىٰ (ع) بمجيئه فاتّبعه كثير من الناس نظراً لما عرفوا فيه من الصلاح والتقوىٰ. وقد ذكر أحواله وأحوال أتباعه المؤرخ وليم ميور في تاريخه حيث قال: «ذكر بعض المؤرخين أن منتسي ادّعى بأنه الفارقليط يعني المعزّي روح القدس، وبما أنّه كان رجلاً تقيّاً وشديد الرياضة فقد اتّبعه كثير من الناس وقبلوا دعواه.» وقد علّق العلامة محمد صادق ـ فخر الاسلام ـ على كلام وليم ميور هذا قائلاً:

«وكما هو واضح فإن عبارة روح القدس والمعزّي الواردتين في كلام وليم ميور هي إضافة من عنده كما هو ظاهر حيث يقول: ادّعى بأنه الفارقليط يعني المعزّي روح القدس، فكلمة يعني.. تدل على أن ما جاء بعدها من تفسيره هو لا غيره»[١٩].

يستفاد من ذلك أن المسيحيين في القرون الأولى كانوا منتظرين مجيء الفارقليط ولذلك ما إن ادّعى منتسي أنه هو الفارقليط المنتظر حتى صدّقه الناس واتّبعوه لأنهم كانوا في حالة انتظار.

---

١٩ ــ هامش الصفحة ١٢ من الجزءالاول من كتاب «أنيس الأعلام في نصرةالاسلام» للعلاّمة محمد صادق ـ فخر الاسلام ـ.

ومما هو معروف أيضاً أنَّ أهل الكتاب في زمن ظهور محمد رسول الله (ص) كانوا منتظرين ظهور نبيٍّ موعود ومبشَّر به من قبل أنبيائهم، فهذا هو النجاشي ملك الحبشة وقد كان نصرانياً، يقول عندما تسلَّم رسالة رسول الله (ص) التي يدعوه فيها الى الاسلام: «أشهد بالله أنه نفس النبي الذي ينتظره أهل الكتاب». وقد أقرَّ بنبوّة رسول الله (ص) وتشرَّف باعتناق الاسلام، ولذا يُروىٰ أنَّ رسول الله (ص) قد صلّى عليه غيابياً صلاة الميّت عندما سمع بموته.

كما إنَّ المقوقس حاكم مصر الذي كان هو الآخر نصرانياً أجاب علىٰ رسالة رسول الله (ص) التي دعاه فيها إلىٰ الاسلام قائلاً: «لمحمد بن عبد الله من المقوقس عظيم القبط سلام عليك، أمّا بعد فقد قرأت كتابك وفهمت ما ذكرت فيه وما تدعو إليه وقد علمت أنَّ نبيّاً بقي وقد كنت أظنُّ أنه يخرج بالشام وقد أكرمت رسولك.» وهذا إقرار من المقوقس بأن النصارىٰ كانوا ينتظرون نبيّاً خاتماً للأنبياء مبشَّراً به من قبل عيسىٰ (ع) حيث قال: «وقد علمت أنَّ نبيّاً بقي».

وعلى الرغم من فقدان الكلمة العبرية أو الآرامية التي نطق بها عيسى (ع) كإسم لهذا النبي المبشَّر به فإن أصل ترجمتها الى اليونانية كان «بريكليتوس» والتي تعني أحمد أو محمداً. أما إصرار رجال الكنيسة المسيحية على أن الأصل اليوناني لهذه الكلمة هو بارقليطوس (فارقليط) فهذا أيضاً لا ينافي ما ذهبنا إليه من أنَّ البشارة جاءت بحق محمد صلى الله عليه وآله وسلم لأنَّ معنى هذه الكلمة هو الشفيع والمعين والوكيل والمعزّي ومعلوم أن جميع هذه المعاني تنطبق تماماً على محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

بقي علينا أن نشير هنا الى بعض المهمات والمنجزات التي سينجزها هذا النبيّ المبشَّر به والتي عجز عنها الأنبياء والمرسلون السابقون. حتى يتبيَّن لنا أن هذه الصفات والمنجزات لا تنطبق على إنسان آخر غير محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

فعندما بُعِثَ محمد رسول الله (ص) بدين الاسلام الحنيف كانت عقيدة التوحيد غير واضحة المعالم في أذهان معظم الناس من مختلف الشعوب والقبائل. فكانت الانسانية تتخبط في تصورات اسطورية وهمية عن الخالق سبحانه بحيث أنها كانت تصب جميعها في دائرة الشرك والإلحاد وفكرة تجسد الاله.

فبنو اسرائيل لم يكن عندهم تصور واضح وصحيح عن وحدانية الله تعالى وصفاته، فهو بالنسبة لهم يتعب ويستريح[٢٠]، ويأتي إليهم ويظهر لهم مجسَّداً على هيئة بشر ليروه بأمّهات أعينهم[٢١]، و يسير أمامهم كدليل ليدلهم على الطريق في صحراء سيناء[٢٢]، كما إنه يقوم بخداعهم والكذب عليهم[٢٣] (تعالى الله عما يقولون علواً كبيـــراً)، كما إنه يبكي أحياناً

---

٢٠ ــ انظر سفر التكوين ٢ : ١ ـ ٣.

٢١ ــ سفر أشعيا : ١٦ ـ ١١، وسفر الخروج ٢٤ : ٩ ـ ١١ حيث جاء فيه (ثم صعد موسىٰ وهارون وناداب وأبيهو وسبعون من شيوخ اسرائيل. ورأوا إله اسرائيل وتحت رجليه شبه صنعة من العقيق الأزرق الشفّاف وكذات السماء في النقاوة. ولكنه لم يمدّ يده إلىٰ أشراف بني اسرائيل. فرأوا الله وأكلوا وشربوا».

٢٢ ــ سفر الخروج ١٣ : ٢٠ ـ ٢٢ (وارتحلوا من سكوت ونزلوا في أيثام في طريق البريّة. وكان الربّ يسير أمامهم نهاراً في عمود من سحاب ليهديهم في الطريق، وليلاً في عمود من نور ليضيء لهم، لكي يمشوا نهاراً وليلاً».

٢٣ ــ سفر ارميا ٤ : ١٠ حيث يقول ارميا النبي للربّ : (فقلت آه يا سيدي الرب. حقّاً

ويلطم، ويأتي ليقضي الليل في مصارعه اسرائيل (يعقوب) دون أن يستطيع التغلب عليه حتى يضطر الى خلع حقّ فخذه[٢٤]. وهو أيضاً ينتابه الأسىٰ والحزن والندم على ما عمله[٢٥]، الى الكثير من ترهاتهم وافتراءاتهم على ذات الله سبحانه وتعالى عما يقولون علوّاً كبيراً.

وأمّا أتباع الكنيسة المسيحية فقد انحرفوا عن تعاليم السيّد المسيح وسقطوا في عقائد الشرك والوثنية وذلك بإضفائهم صفة الألوهية عليه وقولهم إنّه ابن الله (تعالى الله عما يقولون علوّاً كبيراً) ومن ثم تبنّيهم لعقيدة التثليث أي أنّ الله ينقسم الى ثلاثة أقانيم وثلاثة أقانيم تشكل الله وهذا هو الشرك المحض المناقض لوحدانية الخالق سبحانه، كما إنّ تجسم الإلٰه وحلول اللاهوت بالناسوت شيء معروف عندهم ويشكل جزءاً مهماً من عقائدهم.

أمّا بالنسبة لبقية الشعوب والأمم الأخرى فكانت عقيدة الشرك هي السائدة عندهم.

ولمّا بُعث محمد صلى الله عليه وآله وسلم برسالة الاسلام نادىٰ بالناس جميعاً: «قولوا لا الٰه الا الله تفلحوا» وبقي سنوات عديدة يعمل على ترسيخ هذا المفهوم في أذهان الناس ودحض عقائد الشرك والضلال

إنك خدّاع خدعت هذاالشعب ـ أي بني اسرائيل ـ وأورشليم قائلاً: يكون لكم سلام. وقد بلغ السيف للنفس».

٢٤ ــ سفر التكوين ٣٢: ٢٣-٢٥.

٢٥ ــ سفر التكوين ٦: ٥-٦ (ورأى الربُّ أنّ شرّ الانسان قد كثر في الأرض وأنّ كل تصوُّر أفكار قلبه إنما هو شرير كل يوم. فحزن الربُّ أنْ عمل الانسان في الأرض. وتأسّف في قلبه).

بكافة أشكالها، فهـــو الـــذي جلّى كل الحقيقة عن الله تعالى وعن وحدانيته ودينه القويم وردَّ جميع الافتفراءات والأكاذيب التي نسجها اليهود والنصارىٰ حـــوله ســبحانه، وبلّغ ما أُوحي إليه بهذا الصدد: «بديع السموات والأرض أنّىٰ يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كلّ شيء وهو بكل شيء عليم. ذلكم الله ربكم لا الٰه إلّا هو خالق كلّ شيء فاعبدوه وهو على كل شيء وكيل. لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير». (سورة الانعام ١٠١ ــ ١٠٣).

فكان محمد (ص) هو روح الحق (أي المبلِّغ عن الله بالحق) الذي بشَّر بقدومه عيسى المسيح (ع) والذي وبَّخ النصارىٰ وبكّتهم على افتراءاتهم على الله وتقسيمهم وحدانيته الى ثلاثة أقانيم أو أشخاص، فصدع (ص) بما أوحىٰ إليه الله تعالى قائلاً:

«لقد كفر الذين قالوا إنَّ الله ثالث ثلاثة. وما من إلٰه إلّا إلٰه واحد». (المائدة ٧٣).

كما وبَّخَ النصارىٰ أيضاً على رفعهم عيسىٰ (ع) الى درجة الألوهية وادّعائهم بأنّه ابن الله حيث أوحى الله لنبيه محمد (ص) في هذا الشأن:

«لقد كفر الذين قالوا إنَّ الله هو المسيح ابن مريم». ثم شهد لعيسىٰ (ع) ودافع عنه ضدَّ افتراءاتهم مُصرّحاً بأنَّ المسيح (ع) كان يدعو إلى وحدانية الله وعبادته وينهي عن الشرك به: «وقال المسيح يا بني اسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم. إنّه من يُشرك بالله فقد حرَّم الله عليه الجنّة ومأواه النّار، وما للظالمين من أنصار». (المائدة ٧٢).

وبذلك فضح الفارقليط روحُ الحق (محمد وأحمد) عقيدةَ النصارىٰ

الباطلة حول المسيح وكشف بما أوحىٰ له الله عن حقيقته كإنسان ونبيٍّ وعبدٍ من عباد الله فقال :

«ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمّه صدّيقة كانا يأكلان الطعام. انظر كيف نبيّن لهم الآيات ثم انظر أنّىٰ يؤفكون». (المائدة ٧٥).

«يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق. إنما المسيح عيسىٰ ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلىٰ مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسله، ولا تقولوا ثلاثة، انتهوا خيراً لكم، إنما الله إله واحد سبحانه أن يكون له ولد. له ما في السموات وما في الأرض وكفى بالله وكيلا. لن يستنكف المسيح أن يكون عبداً لله ولا الملائكة المقربون. ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم إليه جميعاً». (سورة النساء ١٧١ ــ ١٧٢).

كما وبّخ الله اليهود ونددّ بافتراءاتهم وقذفهم مريم عليها السلام بما لا يليق بطهارتها وعذريتها وبطهارة مولد ابنها عيسىٰ عليه السلام، فقال: «وبكفرهم وقولهم على مريم بهتاناً عظيماً. وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسىٰ ابن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شُبّه لهم، وإنّ الذين اختلفوا فيه لفي شك منه، ما لهم به من علم إلّا اتّباع الظن، وما قتلوه يقيناً» (سورة النساء ١٥٦ ــ ١٥٧).

وهكذا تبين لنا كيف فضح القرآن الكريم الذي أُوحي لمحمد رسول الله(ص) أباطيل النصارى الذين ألّهوا عيسى(ع) وأباطيل اليهود الذين طعنوا في طهارة مولده وأنكروا رسالته وادّعوا قتله وصلبه. كما أبان حقيقة طبيعة عيسىٰ البشرية وشهد له بأنه عبد الله ورسوله أرسله ليُقوّم

انحراف بني اسرائيل العقائدي والسلوكي وليُمهِّد الطريق لبعثة محمد خاتم الأنبياء والمرسلين بدين الاسلام الحنيف الذي لا يرضىٰ الله من الناس غيره «ومن يبتغ غير الاسلام ديناً فلن يُقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين» (آل عمران ٨٥).

ثم إنَّ من وظائف الفارقليط (محمد وأحمد) الهامّة أن «يُبكِّت[٢٦] العالم على خطيئة وعلى استقامة وعلى دينونة» (يوحنا ١٦ : ٨).

أمّا على خطيئة فالجميع يعلم بأنّه ما من نبيٍّ بكّت العالم على خطيئة صغيرها وكبيرها بحماسة وتصميم وشجاعة كما فعل محمد(ص). فقد أرسله الله تعالى بشريعة سمحة لها قوانينها وأحكامها لتوجه الانسان في جميع ظروف حياته الشخصية والعائلية والاجتماعية والاعتقادية الى الخير كل الخير، وتنظم حياة المجتمعات تنظيماً يؤدي بها الى سعادتها ورقيِّها وكمالها، ولذلك كان أيُّ خرق لحدود هذه الشريعة الالٰهية الخاتمة خطيئة تستلزم تبكيت مرتكبها حتى لا يصير الى حرف الانسان عن السير في طريق رقيِّه وكماله وحتى لا تشُوِّه الفطرة السليمة التي فطره الله عليها. فمن يتعدَّ حدّاً من حدود شريعة الله يكن ظالماً لنفسه ويصبح في عداد الظالمين كما قال الله تعالى في القرآن الكريم: «ومن يتعدَّ حدود الله فأُولئك هم الظالمون» (سورة البقرة ٢٢٩)، وقال أيضاً: «ومن يتعدَّ حدود الله فقد ظلم نفسه» (سورة الطلاق ١). بينما عدَّ الشرك بالله ظلماً عظيماً»[٢٧] يُخرج الانسان عن دين الله، ولذا وجب

---

٢٦ ــ بكّته: عنّفه وقرّعه (المنجد).

٢٧ ــ «يا بني لا تشرك بالله إنَّ الشرك لظلم عظيم» (سورة لقمان ١٣).

جهاده عن طريق استخدام القوة كي لا يشكل عقبة في طريق مسيرة الانسانية نحو خالقها والاعتراف له بالوحدانية والعمل بطاعته حسب شريعته التي سنّها لها.

إنَّ محمداً (الفارقليط) لم يُرسل بدين الاسلام الى قبيلته وبني قومه فحسب بل كانت رسالته عامة شاملة للناس جميعاً[٢٨]، ولذلك كان اهتمامه منصبّاً على دعوة جميع الناس الى دين التوحيد بغض النظر عن جنسياتهم وأقوامهم وألوانهم وألسنتهم. فهو ما إن اجتث أساس الوثنية من شبه الجزيرة العربية ووحّد قبائلها تحت راية الاسلام حتى اتجه الى دعوة الشعوب والأمم الأخرى الى الدخول في دين الله الحنيف ونبذ الكفر والعقائد الباطلة، فقام بإرسال مبعوثين الى كسرىٰ ملك الفرس وهرقل امبراطور الروم ـ أعظم امبراطوريتين في ذلك الوقت ـ والى النجاشي ملك الحبشة والمقوقس حاكم مصر والى غيرهم من الملوك والأمراء الآخرين. وقد بدأ رسول الله (ص) بالدعوة الى دين التوحيد عن طريق الموعظة الحسنة والتعليم والممارسة الحقيقية لدين الله مبكّتاً الناس على عبادتهم للأوثان واعتناقهم للعقائد الباطلة. وعندما وقفت قوىٰ الكفر والضلال في وجهه لمنعه من إبلاغ رسالته التوحيدية الالٰهية استل سيف الجهاد في سبيل الله وجاهد تلك القوىٰ الكافرة الصادّة عن سبيل الله، وبكّتها وأسّس مملكة الله على الأرض.

ولم يُعرف نبيٌّ من الأنبياء حمل رسالة عالمية لجميع البشر

---

٢٨ ــ «وما أرسلناك إلّا كافّة للناس بشيراً ونذيراً» (سورة سبأ ٢٨). «وما أرسلناك إلّا رحمة للعالمين» (سورة الأنبياء ١٠٧).

كمحمد(ص) الذي حمل رسالة الاسلام الى الناس جميعاً والتي تعني التسليم والخضوع لله والايمان بوحدانيته. بينما نجد أنّ رسالات الأنبياء الذين جاءوا قبله كانت محدودة بأقوامهم وشعوبهم، كما هو الحال بالنسبة الى أنبياء بني اسرائيل حيث عرفوا باسم قومهم وحملت تعاليمهم اسم «الدين اليهودي»، وكذلك الحال بالنسبة لأتباع عيسى(ع) حيث أطلقوا على تعاليمه اسم «الدين المسيحي». بينما سمّىٰ الله تعالى الرسالة التي بَعثَ بها محمداً(ص) برسالة «الاسلام» والذي يعني التسليم والطاعة لله، فكل منكر لهذه الرسالة هو خارج عن طاعة الله وكافر بدين الله ولذا وجب تبكيته ومقاومته ـ إن تعذّر إصلاحه ـ لأنّ كل مخالفة لحدٍّ من حدود الاسلام هي خطيئة وجب التبكيت عليها، وبذلك نفهم معنى قول عيسىٰ(ع) بأنّ الفارقليط سيبكّت العالم على خطيئة.

وأمّا عبارة «... فلأنهم لا يؤمنون بي» (يوحنا ١٦ : ٩) التي جاءت كسبب لتبكيت الفارقليط للعالم على خطيئة فهي لا شك عبارة قد تمّ دسّها في النص لتحريفه ولجعل مجيء الفارقليط متعلقاً بالإيمان بعيسىٰ(ع) أو عدمه. وحتى لو كان مقصودهم الإيمان بعيسى نبيـاً من أنبياء الله فإنّ هذه العبارة تصبح أيضاً لغواً لا لزوم له، لأنّ الايمان بجميع أنبياء الله أمر واجب، إذاً التخصيص هنا باطل ولا معنى له. أمّا إذا كان مقصودهم الايمان به على أساس أنّه ابن الله أو الله كما يزعمون (نعوذ بالله من تضليل المضلّين) فهذا هو شرك بالله، وواضح على أنّ العبارة جاءت تحريفاً صريحاً للنص.

وأمّا تبكيت الفارقليط للعالم على عدالة ـ استقامة ـ بعد ذهاب عيسىٰ(ع) الى ربّه (يوحنا: ١٦ : ١٠) فهو أنّ الفارقليط سيُنْصف

عيسىٰ من جميع الأكاذيب والافتراءات التي قيلت بشأنه من قبل أعدائه اليهود الذين أنكروا نبوّته وادّعوا أنّهم صلبوه وقتلوه ولم يؤمنوا بأنَّ الله قد رفعه وأنقذه منهم، فقد بكّت الفارقليط الذي هو محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم- اليهود وفنّد مفترياتهم وحاربهم بسبب مزاعمهم وكفرهم - كما إنه قام بتبكيت النصارىٰ وتقريعهم على اعتقادهم بأنَّ عيسى (ع) قد صُلِبَ ومات على الصليب وعلى ادّعائهم بأنه إلٰه وابن الله (راجع سورة النساء ١٥٧- ١٥٨ والمائدة: ٧٢ و ٧٥). ولذلك فإنَّ إنصاف محمد لعيسىٰ عليهما الصلاة والسلام كان الإعلان القطعي بأنه مخلوق بشري ورسول كريم من رسل الله وأنبيائه وأنّه كان يدعو الناس الى وحدانية الله ولم يدّع قطعاً الألوهية أو أنّه ابن الله بل كان عبداً من عباد الله الصالحين، وأنه لم يُصلب ولم يُقتل وإنّما رفعه الله إليه ولقد بَرأ القرآن الكريم الموحى به الى محمد (ص) ساحة عيسى (ع) مما نسبه إليه أتباع الصليب وشهد له بخلوص طاعته وعبوديته لله تعالى فقد جاء في الآية ١١٦- ١١٧ من سورة المائدة: «وإذ قال الله يا عيسىٰ ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلٰهين من دون الله. قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق إن كنت قلته فقد علمته، تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علاّم الغيوب. ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أنْ اعبدوا الله ربي وربكم وكنتُ عليهم شهيداً ما دمت فيهم فلما توفيتني كنتَ أنتَ الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد». وهذه هي العدالة التي قصدها عيسى (ع) حول شخصه ورسالته، وهذا ما حققه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فبكّت اعداءه اليهود على كفرهم برسالته كما بكّت النصارىٰ على غُلوهم فيه واطلاق صفة

الألوهية عليه. وإنه لم يُعرف أحد دافع عن مظلومية عيسىٰ عليه السلام وبرّأه من افتراءات أعدائه والمغالين فيه كمحمد رسول الله وخاتم أنبيائه صلى الله عليه وآله وسلم.

وأمّا تبكيت العالم على دينونة فلأنَّ محمداً(ص) قد كُلِّف بحمل شريعة الله الخاتمة لجميع الشرائع والمهيمنة عليها والتي لا يقبل الله تعالى من الناس غير التعبُّد بها حيث قال سبحانه في القرآن الكريم: «ومن يبتغ غير الاسلام ديناً فلن يُقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين» (آل عمران ٨٥) وقال أيضاً «إنَّ الدين عند الله الاسلام وما اختلف الذين أوتوا الكتاب إلّا من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم ومن يكفر بآيات الله فإنَّ الله سريع الحساب». (آل عمران ١٩)، كما قال عزَّ وجلَّ بشأن خاتمية الاسلام للأديان كلها وظهوره عليها: «هو الذي أرسل رسوله بالهدىٰ ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون» (التوبة ٣٣). ولذا فإنَّ رسول الله محمداً(ص) قد قام بدعوة الناس جميعاً الى دين الله الذي ارتضاه لهم وحارب كل من وقف عقبة في طريق هداية البشر الى الدين الحق، فبكّت المعاندين وحارب المخالفين ببيانه وسيفه مجتثاً بذلك عبادة الأوثان ومقيماً بذلك مملكة الله على الأرض التي ستبقىٰ مناراً لهداية الناس الى الأبد. ولا شك بأنَّ مملكة الله هذه التي أسسها خاتم الأنبياء والرسل محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله وسلم ستشمل العالم بأسره عندما يأذن الله عزَّ وجلَّ لحفيد نبيِّه محمد(ص) الامام الحجة المهدي المنتظر عليه أفضل الصلاة والسلام بالظهور لتحطيم جميع أشكال رايات الكفر والالحاد ولتعمّ راية الاسلام جميع أصقاع الأرض حيث ستكتمل مملكة الله التي ستُقام على أسس

التوحيد والعدل والقسط وتنهدم والى الأبد قواعد الجور والإلحاد والظلم.

وأخيراً بقي أن نقول كلمة عن صفة مهمة من صفات الفارقليط (محمد واحمد) التي جاءت على لسان عيسى(ع) في انجيل يوحنا (١٦ : ١٣):

«وأمّا متى جاء روح الحق فهو يرشدكم الى جميع الحق لأنّه لا يتكلم من نفسه بل كل ما يسمع يتكلم به ويخبركم بأمور آتية». هذه الإشارة أو العلامة التي تشير إلى أنَّ الفارقليط» لا يتكلم من نفسه بل كل ما يسمع يتكلم به». لا يمكن أن تكون من صفات الروح القدس كما بيَّناه سابقاً لأنَّ الروح القدس هي إله للمسيحيين ومتَّحدٌ بالذات المقدسة (تعالى الله عمَّا يقولون علوّاً كبيراً)، إذاً قول عيسىٰ «لا يتكلم من نفسه بل كل ما يسمع يتكلم به» لغو لا معنى له لأن الله لا يأخذ الأحكام عن غيره بل يتكلم من وعن نفسه بدون أن تكون له حاجة لكي يسمع من غيره ليعيده على أسماع الآخرين. نعم هذه العلامة أو الصفة هي للأنبياء والرسل الذين يحتاجون الى أن يأخذوا أحكام قواعد شرائعهم عن الله تعالى ليقوموا بدورهم بتبليغها الى الناس.

إذاً هذه الاشارة هي مصداق محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم التي أنتجت أعظم ثمرة من ثمار النبوّة ألا وهي كتاب الله المبين (القرآن الكريم) الذي هو معجزة خالدة لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، والذي قال الله تعالى فيه: «قل لئن اجتمعت الأنس والجنّ على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً» (الاسراء ٨٨). هذا القرآن الكريم هو كتاب الله الذي تلقّاه رسول الله (ص) عن طريق الوحي ومن ثم أبلغه للناس، وهكذا لم يكن

محمد (ص) يتكلم من نفسه بل كان كل ما يسمع من الوحي يتكلم به. وهذا معنى قوله تعالى في حقّ محمد عَبْدِهِ ورسوله (ص): «وما ينطق عن الهوىٰ. إنْ هو إلّا وحيٌ يوحى» (النجم ٣-٤).

«.... إن أتّبع إلّا ما يوحىٰ إليّ». (الانعام ٥٠).

وقال أيضاً: «قل ما يكون لي أن أبدّله من تلقاء نفسي إنْ أتّبع إلّا ما يوحىٰ إليّ إنّي أخاف إن عصيت ربّي عذاب يوم عظيم». (سورة يونس ١٥).

وهكذا تبيّن لنا بأنّ المقصود من كلمة فارقليط التي جاءت تحريفاً للكلمة اليونانية (بريكليتوس) هو محمد (ص) الذي هو خاتم الأنبياء والمرسلين ورسول دين ربّ العالمين الخالد الاسلام الحنيف الذي لا يرتضي الله يوم القيامة من الناس غيره ديناً، والحمد لله ربّ العالمين.

آل بيت رسول الله في رؤيا يوحنّا

يتحدث يوحنا في الإصحاح الثاني عشر من رؤياه عن أمور غيبية سوف تحدث في المستقبل بالنسبة لزمانه[1] حيث رسم بصورة كنائية ورمزية على صفحة تاريخ البشرية المستقبلي ما سيحدث من صراعات فكرية وعقائدية وعسكرية بين مُعَسْكَرَي الحق والباطل حتى يتم الانتصار النهائي لمعسكر الحق علىٰ معسكر الباطل الذي سوف يُمحق والى الأبد بعون الله تعالى فقد قال يوحنّا في رؤياه الثانية عشرة من سفر الرؤيا :

١ ــ وظهرت آية عظيمة في السماء امرأة متسربلة بالشمس والقمر تحت رجليها ، وعلى رأسها إكليل من اثني عشر كوكباً .

٢ ــ وهي حبلىٰ تصرخ متمخضة ومتوجّعة لتلد.

---

١ ــ سنرى من خلال هذا البحث أن بعض الأمور التي تحدّث عنها يوحنا في رؤياه هذه قد وقع فعلاً وما بقي منها فإننا نعيش حدوث مقدماته.

٣ ــ وظهرت آية أخرىٰ في السماء. هوذا تنّينٌ عظيم أحمر له سبعة رؤوس وعشرة قرون وعلى رؤوسه سبعة تيجان.

٤ ــ وذنبه يجرُّ ثلث نجوم السماء فطرحها الى الأرض. والتنّين وقف أمام المرأة العتيدة أن تلد حتى يبتلع ولدها متى ولدت.

٥ ــ فولدت ابناً ذكراً عتيداً أنْ يرعىٰ جميع الأمم بعصاً من حديد. واختطف ولدها الى الله والىٰ عرشه.

٦ ــ والمرأة هربت الى البرّيّة حيث لها موضع معدٌّ من الله لكي يعولوها هناك.

٧ ــ وحدثت حربٌ في السماء ميخائيل وملائكته حاربوا التنين، وحارب التنين وملائكته[٢].

٨ ــ ولم يقووا فلم يوجد مكانهم بعد ذلك في السماء.

٩ ــ فطرح التنين العظيم، الحيّة القديمة، المدعو إبليس والشيطان الذي يُضلُّ العالم كله، طُرح إلى الأرض، وطُرحت معه ملائكته.

١٠ ــ وسمعت صوتاً عظيماً قائلاً في السماء، «اليوم يوم الخلاص، القوة والملك لله ربّنا وسلطان مسيحه...».

الى أن يقول:

١١ ــ من أجل هذا افرحي أيتها السموات والساكنون فيها: «ويلٌ لساكني الأرض والبحر لأنَّ إبليس نزل إليكم وبه غضب عظيم عالماً أنَّ له زماناً قليلاً».

ثم يحكي يوحنّا قصة اضطهاد التنين وجنوده لتلك الإمرأة العظيمة

---

٢ ــ أي جنوده.

ونسلها فيقول :

١٢ ــ ولمّا رأى التنين أنّه طُرح إلى الأرض اضطهد المرأة التي ولدت الإبن الذكر.

١٣ ــ فأُعطيت المرأة جناحَي النسر العظيم لكي تطير إلى البرّية، الى موضعها حيث تُعال زماناً وزمانين ونصف زمان من وجه الحيّة.

١٤ ــ فألقت الحيّة من فمها وراء المرأة ماءً كنهر لتجعلها تُحمل بالنهر.

١٥ ــ فأعانت الأرض المرأة، وفتحت الأرض فمها وابتلعت النهر الذي ألقاه التنين من فمه.

١٦ ــ فغضب التنين على المرأة وذهب ليصنع حرباً مع باقي نسلها الذين يحفظون وصايا الله وعندهم شهادة يسوع (المسيح)[٣].

لم يتمكن علماء الكنيسة من إعطاء تفسير واضح المعاني لما ورد في هذه الرؤيا فادّعوا أنّ المقصود بالمرأة فيها هي الكنيسة المسيحية، ولكن دون أنْ يتمكنوا من حلّ رموزها بشكل يؤدي إلى الإطمئنان في النفس. فما ذكروه من تفسيرات لم يخرج عن طور الإبهام والغموض بحيث يظل القارىء في حيرة دون أن يصل إلى نتيجة مقنعة صحيحة، وخصوصاً بعدما ابتعدت الكنيسة عن تعاليم السيد المسيح وعقيدة التوحيد لتقع في الشرك الصريح عن طريق اتّباعها لعقيدة التثليث وعبادة أتباعها للمخلوقات (كعبادتهم لعيسىٰ وإضفائهم صفة الألوهية عليه) والمنحوتات كما يُرىٰ اليوم في كنائسهم. مع أنّ عيسى المسيح (ع) جاء كبقية

---

٣ ــ رؤيا يوحنّا ١٢ : ١ ـ ١٧.

الأنبياء والرسل بعقيدة التوحيد الخالص[٤]. ثم أي كنيسة يقصدون؟ أهي الكنيسة الكاثوليكية أم البروتستانتية أم الأرثوذكسية أم غيرها أيضاً من الكنائس المتناقضة فيما بينها بالنسبة لأساس العقيدة عندهم؟ والحقيقة أنّه لا يمكن أنْ يكون المقصود بالمرأة المذكورة في هذه الرؤيا أياً من هذه الكنائس ولا كلّها مجتمعة، خصوصاً بعد خروجها عن الشريعة وإلغائها لكثير من أحكامها على الرغم من تحذير السيد المسيح لأتباعه من أن يتهاونوا في اتّباع أحكام الشريعة التي كانت قبله، أي شريعة موسى عليه السلام، فقد قال لهم محذّراً ومؤكّداً على ضرورة اتّباعهم لشريعة موسى بكل تفاصيلها: «لا تظنّوا أنّي جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء. ما جئت لأنقض بل لأكمّل. فإني الحقّ أقول لكم إلى أنْ تزول السماء والأرض لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل[٥]. فمن نقض إحدىٰ هذه الوصايا الصغرىٰ وعلّم الناس هكذا يُدعى أصغر في ملكوت السموات»[٦].

كما إنّ السيد المسيح عليه السلام كان قد أخبر أتباعه بأنّه ستأتي من بعدهم أمّة تحمل مشعل التوحيد لتكمل الطريق وتقوم بإنجازات باهرة في الدعوة الى الله. فقد جاء في الإصحاح ٢١ من انجيل متّى أنّ

---

٤ ــ لمعرفة ما جاء في عقيدة التوحيد على لسان عيسى المسيح (ع) في الأناجيل الأربعة راجع: (يوحنا ٧: ١٤ - ١٨، ويوحنا ١٢: ٤٩ - ٥٠، ومرقس ١٢: ٢٨ - ٣٤، ومتى ٢٢: ٣٥ - ٤٠، وغيرها من النصوص الأخرى).

٥ ــ أي عليهم أنْ يتمسكوا بشريعة موسى (ع) حتى يأتي رسول الله محمد (ص) بالشريعة الكاملة الى الناس جميعاً، وهذا هو المقصود بعبارة «حتى يكون الكل».

٦ ــ انجيل متى ٥: ١٧ ــ ١٩.

السيد المسيح (ع) قال ذات يوم لأصحابه : «لذلك أقول لكم إنَّ ملكوت الله يُنزع منكم ويُعطى لأُمَّة تعمل أثماره»[٧].

وهكذا يتضح لنا أنَّ المرأة العتيدة الوارد ذكرها في رؤيا يوحنا هذه لا يمكن لها أنْ ترمز بشكل من الأشكال الى الكنيسة المسيحية خصوصاً بعد أن أخبر السيد المسيح بأنَّ ملكوت الله يُنزع من أتباعه ليُعطىٰ الى أُمّة غيرهم تأتي من بعدهم وتكون أشدّ منهم قوة في الايمان بالله وبالتمسك بشريعته والدعوة الى توحيده وطاعته. ومن المعلوم أنّه لم تأت أُمّة موحدة بعد عيسىٰ المسيح (ع) غير أُمة محمد خاتم الأنبياء والمرسلين حيث ختم الله برسالته الرسالات السماوية وجعل منها رسالة عالمية لجميع بني البشر الى يوم القيامة. هذه الرسالة الخاتمة التي بُعث بها محمد بن عبدالله هي رسالة الاسلام التي قام بالتبشير بها جميع الأنبياء والرسل كما أثبتنا ذلك في الفصول السابقة من هذا الكتاب.

ثم لو كانت المرأة الوارد ذكرها في هذه الرؤيا تعني الكنيسة كما يدّعون، فمن هو ذلك الطفل الذي ولدته أو ستلده والذي سوف يسوق الأمم بعصاً من حديد؟ لا شك أنهم سيقولون أنه عيسى المسيح!

ولكننا نوجّه إليهم السؤال التالي: هل وُجدت الكنيسة قبل ميلاد السيد المسيح حتى تلده! مع إن المعروف هو أنَّ المسيح (ع) لم يسمع في حياته بشيء اسمه كنيسة وإنما كان يأمر تلاميذه بالذهاب إلىٰ الهيكل. ثم أي كنيسة تلك التي ولدته؟ أهي الكنيسة الكاثوليكية أم

---

٧ ــ انجيل متى ٢١ : ٤٣ . انظر البشارة الثامنة من هذا الكتاب.

البروتستانتية أم الأرثوذكسية ، أم أيضاً جماعة شهود يهوه الذين يعتقدون أنَّ جميع هذه الكنائس ستكون في خدمة المسيح الدجّال ؟

أمّا ادّعاء البعض منهم بأنَّ مريم والدة عيسى (عليهما السلام) هي المرأة العظيمة المعنية في هذه المكاشفة والتي سيكون لها ولنسلها دور عظيم في تاريخ هداية البشرية ، فإنه ادّعاء باطل وأوهىٰ من سابقه . فمريم (عليها السلام) لم يكن لها نسل معروف على مستوىٰ الدعوة الى الله سوىٰ ابنها عيسى (ع) الذي جاء في فترة قصيرة محددة لم تتعدَّ السنين الثلاث في تاريخ الدعوة الى الله .

ولم يُعرف لمريم نسل غير عيسىٰ قام بالدعوة الى الله ولم يكن لها نسل قام بالجهاد في سبيل الله ومقارعة الطواغيت لكفّ ظلمهم عن الناس . ثم إنَّ يوحنّا صاحب الرؤيا قد دوّن رؤياه هذه بعد سنوات عديدة من وفاة السيدة مريم وذهاب عيسىٰ (ع) من هذه الحياة الدنيا . إذاً فكيف يمكن لمريم (ع) أن تكون هي المعنيّة في هذه الرؤيا وقد توفيت قبل تدوينها ؟ ثم إن مريم (ع) لم تُضطهد بشكل خاص من قبل طواغيت عصرها ، بل على العكس فإنها وكما تنقل أناجيلهم قد امتُهنت وحُقّرت من قبل ابنها عيسى نفسه (حاشاه من ذلك) حيث طردها ذات يوم ورفض أن يستقبلها ، ولم تذكر لنا الأناجيل بأنَّ السيد المسيح قد أمر بتعظيم أمّه أو أشار إلى أي دور لها في نشر رسالته ودعوته ، فقد ذكر متّى في إنجيله : «... وفيما هو (المسيح) يكلم الجموع إذا أمّه وأخوته قد وقفوا خارجاً طالبين أن يكلّموه . فقال له واحد هوذا أمّك وأخوتك واقفون خارجاً طالبين أنْ يكلموك . فأجاب وقال للقائل له : مَنْ هي أمّي ومَنْ هم أخوتي . ثم مدّ يده نحو تلاميذه وقال ها أمّي

وأخوتي»[٨].

وهكذا ثبت لنا أنَّ المرأة المعنية في هذه الرؤيا لن تكن مريم (ع) نظراً للدور العظيم الذي ستقوم به هذه المرأة ونسلها في تاريخ هداية البشرية ومقاومة الظلم والطغيان.

اما ادّعاؤهم بأنَّ الكواكب الاثني عشر ـ التي تشكل إكليلاً يُزيِّن به رأس تلك المرأة العظيمة هم حواريو عيسى الإثنا عشر فهو ادّعاء أيضاً مردود بحكم ما ورد بحقهم على لسان عيسى نفسه من تقريع وتشكيك في إخلاصهم لرسالته. فهو تارة يؤنبهم مُخبراً إيّاهم بأنهم سيشكُّون به وبرسالته وتارة أُخرى يؤنبهم لأنهم سوف ينكرونه ويخذلونه في ساعة المحنة. ففي آخر ليلة من وجوده معهم وذلك قبل إلقاء القبض عليه حذَّرهم مُعاتباً: «... حينئذ قال لهم يسوع كلكم تشكُّون فيَّ في هذه الليلة...»[٩]. فلو كان إيمانهم به و برسالته قويّاً بعد طول مدّة من الإتّباع فكيف يمكن لهم الشكُّ به في تلك الساعة العصيبة وهو محاصر من قبل أعدائه؟

كما إنَّه على الرغم من معاينتهم لكثير من المعجزات التي أجراها الله على يديه نجدهم يترددون في إيمانهم به ويشكُّون في صدق حديثه معهم مِمّا حدا به أن يصرخ بهم متّهماً إياهم بقلّة الإيمان، فقد روى متّى في إنجيله: «... وقال لهم (للحواريين) يسوع انظروا وتحرّزوا من خمير الفريسيّين والصدوقيّين. ففكروا في أنفسهم قائلين إننا لم نأخذ

---

٨ ــ انجيل متى ١٢: ٤٦ - ٤٩.

٩ ــ انجيل متى ٢٦: ٣١.

خبزاً. فعلم يسوع وقال (لهم) لماذا تفكرون في أنفسكم يا قليلي الإيمان إنكم لم تأخذوا خبزاً. أحتّى الآن لا تفهمون...»[١٠]

فمن يكـــن كما كان يهوذا الاسخريوطي - احد التلاميذ الاثني عشر - «لصاً وكان امين الصندوق فيختلس ما يودع فيه»[١١]، صفاتهم عدم الوثوق برسولهم وضعف الإيمان به وعدم درك ما يقوله لهم فكيف يمكن لهم أن يكونوا كواكباً ونجوماً تقتدي بهم البشرية؟

كما إن رسالة عيسىٰ لم تكن عالمية كما بيّنا ذلك مراراً في فصول هذا الكتاب السابقة، بل كانت محصورة في إصلاح بني اسرائيل وردهم عن انحرافهم، والتبشير بقدوم صاحب الرسالة الإلٰهية العالمية محمد رسول الله (ص). إذاً فإنَّ مهمة حواريِّ عيسى (عليه السلام) وتلاميذه لن تكون أوسع وأعظم من مهمته التي قام بها.

ولمزيد من الإيضاح نذكر هنا ما قالته الأناجيل عن اثنين من الحواريين الإثني عشر ليتبين لنا مدىٰ تخاذل البعض منهم عن عيسى المسيح (ع) في ساعة المحنة وتآمر البعض الآخر عليه. فهذا يهوذا الإسخريوطي أحد الحواريين الإثني عشر يتآمر مع رؤساء كهنة اليهود ليدلّهم على مكان السيِّد المسيح (ع) ويسلّمه إليهم. فقد ذكر متّى في انجيله: «... حينئذ ذهب واحد من الاثني عشر الذي يدعى يهوذا الإسخريوطي الى رؤساء الكهنة. وقال ماذا تريدون أن تعطوني وأنا

---

١٠ ــ انجيل متى ١٦ : ٦ - ٩.

١١ ــ انجيل يوحنا ١٢ : ١ - ٦. والصندوق المذكور كان لجمع اموال لمعونة الفقراء. وقد ورد القول المذكور لمناسبة قارورة العطر التي سكبتها احدىٰ السيدات علىٰ قدمي السيد المسيح (ع) تكريماً له وقد اعترض يهوذا بأنه كان من الافضل ان يُباع العطر ويُعطىٰ ثمنه للفقراء.

أسلّمه إليكم. فجعلوا له ثلاثين من الفضّة. ومن ذلك الوقت كان يطلب فرصة ليسلّمه»[١٢]. وفي مورد آخر يروي متّى في انجيله: «وفيما هو (أي المسيح) يتكلم إذا يهوذا - اي الاســـخريوطي - قد جاء ومعه جمع كثير بسيوف وعصيٍّ من عند رؤساء الكهنة وشيوخ الشعب. والذي أسلمه أعطاهم علامة قائلاً الذي أُقبّله هُوَ هُوَ. أمسِكوه. فللوقت تقدّم الى يسوع وقال السلام يا سيِّدي. وقبّله. فقال له يسوع يا صاحب لماذا جئت؟ حينئذ تقدّموا وألقوا الأيادي على يسوع وأمسكوه»[١٣].

وهكذا ظهر لنا أنَّ أحد حواري المسيح الاثني عشر قد خانه وتآمر عليه وسلّمه إلىٰ أعدائه لقاء حفنة من الدراهم. أمّا بقية الحواريين فقد أطلقوا لأرجلهم العنان هاربين بعد أنْ تركوا سيِّدهم فريسة سهلة بيد أعدائه كما حكاه متّى في انجيله: «... حينئذ تركه التلاميذ كلهم وهربوا»[١٤]. فهل يُعقل أنْ يُكنّى عمّن كانت هذه صفاتهم وسلوكهم تجاه قائدهم ومعلمهم بأنهم المقصودون في هذه الرؤيا بالكواكب الاثني عشر التي تُزيِّن رأس المرأة العتيدة وخصوصاً إذا ما علمنا أن يهوذا الاسخريوطي هو واحد منهم ؟.

وأمّا المثال الثاني فهو الحواري الكبير بطرس (القديس بطرس Saint Pierre) زعيم الحواريِّين الاثني عشر، فقد وصفه عيسى (ع) كبقية زملائه بقلّة الإيمان كما أسلفنا سابقاً. ونعته مرّة أخرى بأنّه شيطانٌ،

---

١٢ ــ انجيل متى ٢٦ : ١٤ - ١٦.

١٣ ــ انجيل متى ٢٦ : ٤٧ - ٥٠ ، لوقا ٢٢ : ٤٧ - ٤٨.

١٤ ــ انجيل متى ٢٦ : ٥٦.

حسب ما جاء في انجيل مرقس: «وقال (أي عيسى) القول علانيةً. فأخذه بطرس إليه وابتدأ ينتهره. فالتفت وأبصر تلاميذه فانتهر بطرس قائلاً اذهب عني يا شيطان. لأنك لا تهتم بما لله لكن بما للناس»[١٥]. فلا ندري أنعجب لوقاحة التلميذ مع سيده وانتهاره إيّاه أم لسوء أدب السيِّد مع تلميذه ونعته إيّاه بالشيطان أم أيضاً لنفاق التلميذ وخروجه عن دائرة الإيمان وذلك أنه لم يكن يهتم بما لله بل بما للناس (ولو كُنّا نجلُّ السيد المسيح عليه السلام وتلميذه بطرس (أي سمعان كبير الحواريِّين) عن كل هذه الافتراءات الواردة في الأناجيل الأربعة بحقهما).

ونقرأ أيضاً في أناجيل القوم عن خيانة الحواري بطرس لسيِّده وإنكاره إيّاه ثلاث مرات في الليلة التي قُبض فيها عليه. فقد ذكر متى في انجيله: «حينئذ قال لهم (للحواريين) يسوع كلكم تشكون فيَّ هذه الليلة لأنه مكتوب أني أضرب الراعي فتتبدّد خراف الرعيَّة... فأجاب بطرس وقال له وإن شكَّ فيك الجميع فأنا لا أشكُّ أبداً. قال له يسوع الحقَّ أقول لك إنك في هذه الليلة قبل أن يصيح ديكٌ تنكرني ثلاث مرات».[١٦] وهذا ما حدث فعلاً فقد ذكر متّى في نفس الفصل من انجيله بعد إلقاء القبض على عيسى(ع): «أمّا بطرس فكان جالساً خارجاً في الدار. فجاءت إليه جارية قائلة وأنت كنت مع يسوع الجليلي. فأنكر قدّام الجميع قائلاً لست أدري ما تقولين. ثم إذ خرج الى الدهليز رأته أخرى فقالت للذين هناك وهذا كان مع يسوع الناصري. فأنكر أيضاً

---

١٥ ــ انجيل مرقس ٨: ٣٢-٣٣، وانجيل متى ١٦: ٢٢-٢٣.

١٦ ــ انجيل متى ٢٦: ٣١-٣٤، وانجيل لوقا ٢٢: ٣٤.

بِقَسَم إني لست أعرف الرجل. وبعد قليل جاء القوم وقالوا لبطرس حقّاً أنت أيضاً منهم فإنّ لغتك تظهرك. فابتدأ حينئذ يلعن ويحلف إني لا أعرف الرجل. وللوقت صاح الديك. فتذكر بطرس كلام يسوع الذي قاله له إنك قبل أنْ يصيح الديك تنكرني ثلاث مرات»[١٧].

من كل ما تقدم يتبيّن لنا بوضوح أنّ الكواكب الاثني عشر التي تشكل الإكليل الذي يزيّن رأس المرأة العظيمة لا يمكن لها بحال من الأحوال أنْ ترمز إلى حواري المسيح الاثني عشر وذلك لما رأيناه من شكّهم في أمر المسيح وترددهم وتخاذلهم عنه بحسب ما ترويه أناجيلهم. كما إنّ عصر المسيح وأمّه وحواريّيه كان قبل رؤية هذه الرؤيا، لذا من غير المعقول أن تكون قد جاءت بحقّهم. ولذلك لم يستطع النصارى إعطاء تفسير يؤدي الى الإطمئنان واكتفوا بالقول بأنّ حلّ مغاليقها وفكّ رموزها موكول للمستقبل فمتى ظهرت عُلِمَتْ.

والحقيقة أن رؤيا يوحنّا هذه جاءت لتروي لنا بإسلوب كنائي ملحمة آل بيت رسول الله محمد(ص) الجهادية في دفاعهم عن دين الله الحنيف ضد أصحاب الهوىٰ والضلال، وهذا ما سنبينه فيما يلي بعون الله تعالىٰ.

لقد تم البرهان خلال فصول هذا الكتاب، أنّ أنبياء العهدين القديم والجديد قد بشروا أتباعهم بمحمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وذكروا لهم صفاته والإنجازات العظيمة التي سيحققها علىٰ مستوىٰ الدعوة الى الله. كما لم يغفل أنبياء العهدين ذكر آل بيت رسول الله محمد (صلى الله عليه

---

١٧ ــ انجيل متى ٢٦ : ٦٩ - ٧٥.

وآله وسلم) حيث بشّروا أيضاً أتباعهم بهم وتحدثوا لهم عن عظيم مقامهم عند الله وأنهم سيكونون أئمة هُدىً للناس جميعاً حيث يُعْرَفُ الناجون من الضلال باتباعهم لهم والتمسك بقيادتهم التي تهدي الى صراط الله المستقيم. فآل بيت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قد بلغوا في التقوى درجة لم يبلغها أحد غيرهم وسموا في الكمال حتى فنوا في ذات الله فضحوا بالغالي والنفيس وبكل ما يملكون حتى بأنفسهم في سبيل المحافظة على دين الله الحنيف من التحريف وحفظ الأُمّة من الإنحراف والسير في سبل الضلال والبدع. فكان أن أُريقت دماؤُهم الزكيّة على أيدي الطغاة والظالمين. وتحملوا القتل والتشريد دفاعاً عن دين الله ومنعاً لعباده من الإنحراف عن طاعته وصراطه. وما شهادة الإمام الحسين سبط رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) دفاعاً عن دين الله الحنيف ببعيدة عن ذاكرة البشرية. وما الظلم الذي عُرِّضت له فاطمة الزهراء ابنة رسول الله وأُمّ سبطيه الحسن والحسين بأمر يمكن للباحث المنصف تجاهله. وقد جاء في سنن ابن ماجة أنَّ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال:

«إنَّا أهل بيت اختار الله لنا الآخرة على الدنيا، وإنَّ أهل بيتي سيلقون بعدي بلاءً وتشريداً حتى يأتي قوم من المشرق معهم رايات سود فيسألون الحق فلا يُعْطَونه فيقاتلون فَيُنْصرون فَيُعْطون ما سألوا فلا يقبلون حتى يدفعوها الى رجل من أهل بيتي فيملأها قسطاً كما ملئت جوراً».

وقد أثبتت الأحداث التاريخية صحة ما جاء في حديث رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) هذا: «....وإنَّ أهل بيتي سيلقون بعدي بلاءً وتشريداً...». كما إنَّ ما جاء في هذا الحديث النبوي الشريف يتطابق تمام المطابقة مع ما جاء في رؤيا يوحنا الثانية عشرة التي تتحدث

عما ستلقاه المرأة العتيدة ونسلها من بعدها من عَنَتٍ وظلم على يد الطغاة والظالمين الذين استحبوا الدنيا على الآخرة وعملوا بما أملته عليهم أهواؤهم تاركين ما قاله الله ورسوله وراء ظهورهم.

ومن يقرأ كتاب «مقاتل الطالبيين» لأبي الفرج الأصفهاني، يعرف بما لا يعتريه الشك، أنَّ نبوءة سفر الرؤيا هذه التي قالت بأنَّ نسل هذه المرأة سيضطهد صحيحة.

وقد قال بعض مفسري النصارىٰ لرؤيا يوحنا هذه أنَّ (المرأة المتسربلة بالشمس والواقفة على القمر، وعلى رأسها إكليل من إثني عشر كوكباً... وأنها ولدت إبناً ذكراً عتيداً يرعى جميع الأمم بعصاً من حديد...) هي إمرأة فاضلة وقور، حيث يكون النسل من هذه المرأة[١٨].

إذاً لم يبق أمام الباحث المنصف إلّا أن يقول ويعترف بأنَّ المرأة التي ورد ذكرها في هذه الرؤيا والتي ستعاني من ظلم الظالمين واضطهادهم لها ولنسلها الطاهر ردحاً طويلاً من الزمن حتى يأذن الله لحفيدها بالخروج فيُذِلُّ الطغاة والجبابرة ويسوق الأمم بعصاً من حديد ليُقيم دولة العدل والقسط والتوحيد على الأرض. فهذه المرأة العظيمة عند الله والمجاهدة المضطهدة في الأرض ماهي إلّا الصدِّيقة الطاهرة فاطمة الزهراء (عليها السلام) بنت محمد المصطفىٰ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم). فهي قد تسربلت بشمس رسالة أبيها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الذي هو حقاً شمس الإنسانية الساطعة. أما القمر

---

١٨ ــ عقيدة المسيح الدجّال في الأديان/ سعيد أيوب/ ١٠٠، نقلاً عن كل من: كتاب يوم الدين/ ستيفنس ص ٨٧ و ١٠٩، وتفسير الرؤيا/ يوحنا ص ٧٢، وجين داكسون عن مجلة آخر ساعة العدد الصادر في ١٩٨٤/٩/٢٦.

الذي تستند إليه فهو يرمز الى زوجها علي ابن ابي طالب (ع) الذي يتلقّى النور من شمس النبوة فيعكسه ليضيء به الأرض ويخرجها (في حالة غياب الشمس عنها) من ظلمات الجهل والضلالة الى نور الايمان والمعرفة والاستقامة. أمّا الكواكب الأثنا عشر التي تشكل الاكليل الذي يزيّن رأسها الشريف فهي ترمز الى الأئمة الاثني عشر من آل بيت رسول الله (ص) الذين هم حسب التسلسل: ١) الامام علي ابن ابي طالب ٢) الامام الحسن بن علي ٣) الامام الحسين بن علي ٤) الامام علي بن الحسين زين العابدين ٥) الامام محمد بن علي الباقر ٦) الامام جعفر بن محمد الصادق ٧) الامام موسى بن جعفر الكاظم ٨) الامام علي بن موسى الرضا ٩) الامام محمد بن علي الجواد ١٠) الامام علي بن محمد النقي ١١) الامام الحسن بن علي العسكري ١٢) الامام محمد بن الحسن المهدي المنتظر عليهم جميعاً أفضل الصلاة والسلام.

ففاطمة هي بنت النبوة والرسالة وزوجة الوصاية وأم الإمامة، أي ابنة رسول الله محمد (ص) وزوجة وصيّه[١٩] وابن عمه علي بن أبي طالب، وأمّ الأئمة الأطهار من ذريته الذين أمره الله تعالى بتنصيبهم أئمة وقادة لهداية الناس وإنقاذهم من الضلالة[٢٠].

---

١٩ ــ إشارة الى حديث الدار يوم الإنذار حيث قال رسول الله(ص) مشيراً إلى علي (ع): «هذا أخي، ووصيي، وخليفتي فيكم، فاسمعوا له وأطيعوا...».

راجع: تاريخ الطبري ج ٢ ص ٣١٩- ٣٢١ ط دار المعارف بمصر. الكامل في التاريخ لابن الأثير ج٢ ص ٦٢ - ٦٣ ط دار صادر في بيروت. السيرة الحلبية ج١ ص ٣١١ ط البهية بمصر. شواهد التنزيل للحسكاني ج١ ص ٣٧١ ط بيروت، وتاريخ دمشق لابن عساكر ج١ ص ٨٥، وغيرها من المصادر المعتبرة.

٢٠ ــ راجع ما ورد في البشارتين الأولى والرابعة من هذا الكتاب، حيث ذكرنا جلة من

وفاطمة الزهراء العظيمة عند الله تعالى هي التي قال أبوها رسول الله عنها، وهو الصادق الأمين: «فاطمة بضعة مني. فمن أغضبها فقد أغضبني»[٢١]. وفي رواية ثانية: «فاطمة بضعة مني يؤذيني ما آذاها، و يغضبني ما أغضبها».

وقال أيضاً: «أفضل نساء أهل الجنة: خديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد، وآسية بنت مزاحم (امرأة فرعون) ومريم بنت عمران»[٢٢].

«خير نساء العالمين أربع: مريم بنت عمران وآسية بنت مزاحم وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد»[٢٣].

وروى الحاكم النيشابوري في مستدركه على الصحيحين أن رسول (ص) قا لابنته فاطمة: «ألا ترضين أن تكوني سيدة نساء العالمين وسيدة نساء هذه الأمّة وسيدة نساء المؤمنين»[٢٤].

وعن عائشة أنها قالت: «ما رأيت أحداً أشبه سمتاً ودلاّ وهدياً وحديثاً برسول الله في قيامه وقعوده من فاطمة. كانت إذا دخلت على رسول الله قام إليها فقبلها ورحّب بها وأخذ بيدها وأجلسها في مجلسه»[٢٥].

أما بما يخص قمر هذه الأمة الامام علي ابن أبي طالب زوج الزهراء

الأحاديث والروايات الصحيحة التي تشير الى عددهم وأنهم اثنا عشر إماماً خلفاء رسول الله (ص).

٢١ ــ صحيح البخاري ج ٥ ص ٢١ و ٢٩، خصائص النسائي وغيرها الكثير من المصادر المعتبرة.

٢٢ ــ مسند احمد بن حنبل ج٢ ص ٢٩٣، الاستيعاب في ترجمة خديجة.

٢٣ ــ الاستيعاب في ترجمة خديجة، والاصابة في ترجمة فاطمة الزهراء.

٢٤ ــ كما روىٰ هذا الحديث أحمد بن حنبل في مسنده ج ٦ ص ٢٨٢.

٢٥ ــ صحيح الترمذي ج ٢ ص ٣١٩، فتح الباري للعسقلاني ج ٩ ص ٢٠٠.

عليهما السلام فقد وردت في حقه أحاديث نبوية كثيرة صحيحة تبين عظيم مقامه وسمو مكانته عند الله ورسوله الذي لم يدانيه فيها أحد من الناس. فقد روي عن رسول الله (ص) أنه قال:

«علي مني وأنا منه، وهو وليُّ كل مؤمن من بعدي»[٢٦].

«أنا مدينة العلم وعليٌّ بابها فمن أراد العلم فليأت الباب»[٢٧]. إذاً فعلىٰ مَن أراد أن يغرف من علوم الرسالة والسنة النبوية الشريفة، أن يمر عن طريق علي بن ابي طالب ويقتدي به ليصل الى مبتغاه وإلّا فإنَّ السبل التي سيسلكها بعيداً عن باب مدينة علم الرسول لن تؤدي به إلّا الى الضلال والإنحراف والبعد عن الحق.

وقال له رسول الله (ص) يوماً: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى الا أنه لا نبي بعدي»[٢٨].

وقال (ص) أيضاً وهو آخذ بيده: «من كنت مولاه فعليٌّ مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله...»[٢٩].

---

٢٦ ــ مسند احمد ج ٥/٣٥٦، صحيح الترمذي ج ٥/٢٩٦ حديث ٣٧٩٦ وغيرها من المصادر.

٢٧ ــ تاريخ دمشق لابن عساكر الشافعي ج ٢ ص ٤٦٤، شواهد التنزيل للحسكاني ج١ ص ٣٣٤، أسد الغابة لابن الأثير ج٤ ص ٢٢، تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ١٧٠، فيض القدير للشوكاني ج٣ ص ٤٦ وغيرها من المصادر.

٢٨ ــ صحيح البخاري باب غزوة تبوك ج ٥ ص ١٢٩ ط دار الفكر- صحيح مسلم ج٢ ص ٣٦٠، صحيح الترمذي ج٥ ص ٣٠١، سنن ابن ماجة ج١ ص ٤٢، وغيرها. راجع ملحق كتاب المراجعات ص ١١٧ - ١١٨.

٢٩ ــ راجع الملحق من كتاب المراجعات من تحقيق حسين الراضي ص ١٨٢- ١٨٥ تجد لهذا الحديث عشرات المصادر المعتبرة.

فهل بلغ أحد من الناس حقاً هذا المقام الرفيع عند الله وعند رسوله غير علي بن أبي طالب؟ وحقاً لقد كان الامام علي (ع) قمر هذه الأمة الذي يُستنار بنوره في الظلمات ويُهتدىٰ بهديه عندما يختفي الحق وراء ستار من ضباب الفتن واتّباع الأهواء. فعلي لم يحتج الى سؤال أحدٍ بعد رسول الله (ص) بينما احتاج الجميع الى سؤاله والإستنارة بآرائه وأفكاره.

والظاهر مما ورد في رؤيا يوحنّا هذه أنَّ الصراع الدائر بين قوى الحق الممتثلة لأمر الله تعالى بقيادة آل بيت رسول الله (ص) من جهة وقوى الباطل المعاندة للحق والمؤثرة إتّباع الهوى على الهدى من جهة أخرى، لـن يتـوقف على مرِّ الزمن قبل أن يبعث الله وليَّه وحامل رايته ابن هذه المرأة العظيمة ليقود عباد الله المؤمنين في معركتهم الفاصلة ضد قوى الشرِّ في العالم التي ستُهزم وتُمحق لتقوم على أنقاضها دولة الحق والعدل.

وكما ذكرنا سابقاً فإن صاحب هذه الرؤيا القدّيس يوحنّا قد استعمل في صياغتها الكثير من الكناية والتعابير المجازية. فهو قد كنّى عن رسول الله بالشمس وعن الامام علي زوج فاطمة الزهراء بالقمر، وعن الأئمة الاثني عشر بالكواكب حيث سيكون آخرهم القائد المنتصر في المعركة الفاصلة بين أهل الحق وأهل الباطل. كما كنّىٰ عن قوى الباطل المناهضة للحق بالتنين العظيم والحيّة القديمة وقال إنه الشيطان[٣٠]

---

٣٠ ــ الشيطان اسم مشتق من الأصل شَطَنَ أي خالف وبَعُدَ، وشَطَنَ الرجل: بَعُدَ عن الحق، والشاطن هو البعيد عن الحق. والشيطان هو روح شريرة سُمِّيَ بذلك لبُعده عن الخير والحق ويُطلق على كلّ عات متمرد من أنس وجنٍّ ودابّة ومنه «شياطين العرب» أي

بذاته.

فليس المقصود بالشيطان هنا (أي التنين العظيم) شيطان جنٍّ بل شياطين الانس الذين تمرّدوا على الحق ورفضوا الانصياع له مصرّين بذلك على اتّباع ما تمليه عليهم أهواؤهم ورغباتهم، ولذا عملوا على كتمان الحقائق وتشويهها، وابتدعوا أفكاراً جديدة للتغطية على الحقائق الإلٰهية بغية تضليل الناس وإبعادهم عن صراط الله المستقيم.

ومعلوم أنَّ القوى الشيطانية والطاغوتية في العالم وأصحاب الأهواء والأطماع الرخيصة متى ما شعروا بضعف حجتهم وأفكارهم الهزيلة عن الوقوف أمام الحقائق الإلٰهية الدامغة فإنهم سرعان ما يلجأون الى إعلان الحرب عليها وطمسها وحرفها عن مواضعها ومن ثم القيام باضطهاد أصحابها والتخلص منهم عن طريق الظلم والقتل والتشريد.

وهذا ما حدث بالفعل لنسل فاطمة الزهراء(ع) الذين قال فيهم رسول الله(ص) بأن التمسك بهم (من بعده) ضمان وأمان للأمة الاسلامية من الاختلاف والضلال[٣١] وإنهم أئمة الهدى الحقيقيون من بعده الذين من تمسك بهديهم نجا ومن خالفهم غرق وهوى.

فما إن جاءت سنة إحدى وستين للهجرة (أي ٥٠ سنة بعد وفاة رسول الله (ص)) حتى جمع تنّين ذلك العصر وطاغوته، يزيد بن معاوية ابن أبي سفيان، أمره وعبّأ جنده لإطفاء نور الله في أرضه وذلك عن

متمردوها. انظر قاموس المنجد مادة شَطَنَ.

٣١ ــ انظر حديث الثقلين وحديث سفينة النجاة وغيرهما من الأحاديث النبوية الصحيحة التي أوردناها في هذا الفصل وفي الفصلين الأول والرابع من هذا الكتاب.

طريق اجتثاث ذرّية رسول الله (ص) من على الأرض لأنهم أولياء الله في أرضه وحملة راية الحق التي تُرعب الطواغيت وتَنقُضُّ مضاجعهم. فقام الطاغوت يزيد، وكان على رأس السلطة في البلاد الاسلامية في عصره، بقتل سبط رسول الله وسيد شباب أهل الجنة الامام الحسين بن علي وفاطمة (ع) مع كوكبة من آل بيت رسول الله وصحبه الكرام. وقد أبدى الامام الحسين (ع) وآل بيته وأصحابه (على الرغم من قلة العدد والعُدّة) في هذه المعركة ضد الطاغوت وجنده دفاعاً عن الاسلام الحنيف ضروباً من الشجاعة والتضحية والفداء ما لم يُعرف لها مثيل في تاريخ البشرية قاطبة. كما أبدى الطاغوت وجنوده صنوفاً من الوحشية والقسوة والجبروت ما يندى لها جبين الانسانية. وكان عين حال الفئتين المتحاربتين ما جاء في الآية القرآنية الكريمة: «الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله، والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت...»[٣٢].

وسقط أبناء فاطمة الزهراء والفئة القليلة من أنصارهم في هذه المعركة غير متكافئة عسكرياً الواحد تلو الآخر شهداء في سبيل الله.

وظل الامام الحسين (ع) يقاتل وحيداً ضد جيش كامل من جنود الطاغوت حتى أُصيب وسقط مضرجاً بدمائه الطاهرة النازفة من الجراحات التي أصابته في هذه المعركة. ولكن جند الطاغوت لم يكتفوا بذلك فذهبوا في غيّهم وطغيانهم الى أبعد ما يمكن لخيال المرء أن يتصوره من وحشية وعنف وقسوة حيث أقدموا على ذبحه مجروحاً عطشاناً على شاطىء الفرات في أرض يُقال لها «كربلاء» واحتزوا الرأس الشريف

---

٣٢ ــ سورة النساء/ آية ٧٦.

ليقدموه على طبق من ذهب لطاغوت عصرهم يزيد بن معاوية. وما قَتْلُ الحسين (ع) بهذه الطريقة الشنيعة الا نموذجاً لما عاناه ويعانيه نسل فاطمة من طواغيت عصورهم.

وقد كان نبي الله إرميا (ع) وهو أحد كبار أنبياء بني اسرائيل الذي عاش نحو (٦٥٠- ٥٨٥ ق. م)، والمعروف بالنبي البَكّاء (لكثرة بكائه) وصاحب كتاب المراثي المعروف باسمه في العهد القديم، كان قد تنبأ بملحمة آل بيت رسول الله محمد (ص) في كربلاء وقَتْلِ سبطه الامام الحسين ذبحاً على شاطىء الفرات، مسمياً إياه بـ«ذبيحة الله عند شاطىء الفرات». كما تنبأ أيضاً بقيام الامام المهدي المنتظر (ع) انتقاماً لهذه المجزرة الرهيبة. فقد ورد في الاصحاح السادس والأربعين من سفر إرميا حول مقتل الحسين (ع) في واقعة كربلاء وقيام الامام المهدي المنتظر (ع) انتقاماً له ما نصه:

«أعدُّوا المِجَنّ والترسَ وتقدَّموا للحرب. أسرجوا الخيل واصعدوا أيها الفرسان وانتصبوا بالخوذ. اصقلوا الرماح. البسوا الدروع. لماذا أراهم مرتعبين ومدبرين الى الوراء، وقد تحطمت أبطالهم وفرّوا هاربين ولم يلتفتوا. الخوف حواليهم يقول الربُّ. الخفيف لا ينوص والبطل لا ينجو. في الشمال بجانب نهر الفرات عثروا وسقطوا. مَنْ هذا الصاعد كالنيل كأنهار تتلاطم أمواجها. (...) اصعدي أيتها الخيل وهيجي أيتها المركبات ولتخرج الأبطال. (...) فهذا اليوم للسيد ربِّ الجنود* يوم

* دَرَج اليهود في كتبهم المقدسة عندهم على استخدام عبارة «السيِّد ربِّ الجنود» في أثناء الحروب للتعبير بها عن الله تعالى. انظر سفر اشعياء ٢٢: ١٥ و ٢٢: ٥، ١٢ و ١٤ و ٢٤: ٢٣، و ٢٨: ٢٢، و ٢٩: ٦.

نقمة للإنتقام من مبغضيه فيأكل السيف ويشبع و يرتوي من دمهم. لأنَّ للسيِّد الربِّ ذبيحة في أرض الشمال عند نهر الفرات»[٣٣].

إنه وصف مثير لمعركة طاحنة يتنبأ بوقوعها نبي الله إرميا (ع) حيث سينتقم فيها الله تعالى من أعدائه انتقاماً شديداً مهولاً. وإذا ما تساءلنا عن السبب الذي سيؤدي لهذا الانتقام الالٰهي الشديد؟ أجابنا نبي الله إرميا قائلاً: «لأن للسيِّد ربِّ الجنود (أي الله) ذبيحة في أرض الشمال عند نهر الفرات»!!

لم يتفق علماء أهل الكتاب ومفسروا العهد القديم حول معنى هذه النبوءة، فمنهم من قَال إنها نبوءة بغزو مصر من قبل نبوخذنصر ملك بابل. ولكن أكثر علماء أهل الكتاب قالوا بأن نبوءة إرميا هذه قد قيلت بعد إجتياح نبوخذنصر لمصر[٣٤]، وبذلك بطل الادِّعاء الاول.

كما اعتقد البعض الآخر أن هذه النبوءة جاءت خاصـــة بخروج فرعون مصر لتخليص مدينة أورشليم (القدس) من أيدي البابليين. وبذلك يكون حسب زعمهم أنَّ الله قد انتقم من البابليين على أيدي المصريين. ولكن الواقع التاريخي جرى على عكس تفسيرهم هذا، فالنصر في المعركة التي دارت بين المصريين والبابليين كان حليف البابليين وليس المصريين.

---

٣٣ ــ ارميا، الاصحاح ٤٦ : ٣ - ١٠.

٣٤ ــ انظر ترجمة «الكتاب المقدس» لأهل الكتاب الى اللغة الفرنسية من قبل الكاهن LE CHANOINE A. CRAMPON.

وبهذا ظهر بطلان ما ذهبوا إليه حول تفسير هذه النبوءة. فلو كان كما قالوا لكان المنتقم منهم هم بني اسرائيل أنفسهم حيث بعث الله عليهم نبوخذنصر فدمر مدنهم وهدم هيكلهم وأذلّهم وسباهم الى عاصمته بابل في العراق وذلك بسبب عصيانهم لله تعالى وتمردهم على أنبيائه ورسله.

ولكننا نقول أنَّ نبوءة نبي الله إرميا (ع) هذه تتضمن نقطتين هامتين هما:

١ ــ أنَّ هناك وليّاً لله يحظى بمكانة سامية ومقام رفيع عند الله قد تم قتله ذبحاً من قبل أعداء الله على شاطىء نهر الفرات في العراق بحيث سمّاه نبي الله إرميا بـ «ذبيحة الرب عند نهر الفرات».

٢ ــ إنَّ الله سينتقم انتقاماً شديداً لذبيحته على يد وليٍّ ثانٍ من أوليائه، مؤيَّد من قبله بحيث سوف ينطلق للإنتقام من أعداء الله كنهر هادر.

لذا كان علينا أن نتعرف هنا إلىٰ تلك الشخصيتين العظيمتين، صاحبتي المكانة الرفيعة عند الله: تلك التي تم ذبحها من قبل أعداء الله على شاطىء الفرات ظلماً وعدواناً، والثانية تلك التي سينتقم بها الله من أعدائه.

والواقع انه لم يُذكر في الكتب المقدسة عند اليهود والنصارى، ولا في أي من كتب التاريخ التي عُنيت بتاريخ بلاد الرافدين أنَّ هناك نبياً من أنبياء الله أو وليّاً من أوليائه قد تم قتله ذبحاً على شاطىء نهر الفرات غير سبط رسول الله (ص) وسيِّد شباب أهل الجنة الامام الحسين بن علي وفاطمة (ع).

ونظراً لعظمة الامام الحسين ومقامه الرفيع عند الله ورسوله، ونظراً لعظمة فاجعة كربلاء التي قلَّ نظيرها في تاريخ البشرية فقد رثاه نبي الله إرميا وبكى لمصابه وسمّاه قبل حوالي اثني عشر قرناً من استشهاده على أيدي أعداء الله بـ «ذبيحة الرب عند نهر الفرات».

وقد قام الكاتب المسيحي أنطوان بارا بعمل مقارنة في كتابه «الحسين في الفكر المسيحي» بين ما قاساه كل من نبي الله عيسى والامام الحسين عليهما السلام في سبيل الله فقال:

«جاء عيسى (ع) الى اليهودية مبشراً بالعهد الجديد بعد أنْ فسدت الضمائر، وحُرِّفت السنّة». ثم قال: «وقد لخّص (ع) بعثه الى أمة لعبت بوصاياها وحرّفت شرائعها حسب أهوائها واضطهدت كل الرسل الذين جاءوا لهدايتها، فقال: «فبمن أُشَبِّه هذا الجيل.. ومن يشبهون؟ يشبهون أولاداً قاعدين في الساحة يصيح بعضهم ببعض»:

زمَّرنا لكم فلم ترقصوا، ندبنا لكم فلم تبكوا...»[٣٥].

ثم يتابع انطوان بارا قائلاً:

«وعيسى (ع) اعتقله اليهود وعذبوه وأهانوه وبصقوا عليه وضفروا رأسه باكليل شوك وجلدوه وتهكموا عليه وسخّروه بحمل صليبه على طريق الجُلجلة في فلسطين، وأخيراً قتلوه[٣٦] وطعنوا جنبه بحربة قبل أن يلفظ أنفاسه وكانوا سيكسرون رجليه لكنهم وجدوه ميتاً فلم يفعلوا. لتتم الآية «لن يُكسر له عظم»[٣٧]».

---

٣٥ ــ انجيل لوقا ٧: ٣١-٣٣.

٣٦ ــ بحسب زعمهم.

٣٧ ــ انجيل يوحنا ١٩: ٣٦.

«والحسين (ع) جاء في زمن كانت الديانة التي بشّر بها جدّهُ الكريم، وليدة تحبو، بعد أن حقّقت فتوحات عظيمة، وأخضعت بقوة تعاليمها وأخلاقياتها الاجتماعية العظيمة، الشرق والغرب. وعندما شبَّ عن الطوق لمس ما يعتري أمة جده من إنحلال وتكالب على الأطماع الدنيوية بما يناقض بعثها، فكان عليه أنْ يتصدى لهذا الأمر الجلل، فكانت مهمته أعمق غوراً، ورسالته أكثر تعقيداً من رسالة عيسى (ع)...»[٣٨].

ثم يقول:

«والحسين (ع) لم يَسْلَمْ عظمه كما سلم عظم عيسىٰ، بل إنَّ ما حاقه فوق ثرى كربلاء المقدس، كان أعظم من إحتمال البشر، بل كان من نوع يُقرِّب سيد الشهداء الى قائمة الرسل والنبيِّين.

«فأي رسول زُرع في جسده أكثر من مائة نبلة.. وأكثر من أربعين طعنة.. وأي نبي قتله العطش مثل ما فُعِلَ بالحسين (ع)..؟ وها هو أمير الشهداء وسيدهم يُرمىٰ بسهم في جبهته، ويُضرب بحجر فيها، ويُطعن على قلبه بسهم ذي ثلاث شعب، ويُرمى في حلقة، ويُضرب على عاتقه، ويُطعن في ترقوته وبصدره وبنحره وبجنبه، ويُسلب وتُقطع اصبعه من أجل خاتم، وتقطع يده اليمنى ثم اليسرى من أجل تكة سروال، ويُحتزُّ رأسه الشريف، ويوطأ بعشر من الخيل صدراً وظهراً، ثم يُحمل رأسه على سن رمح الى دمشق، حيث يوضع بمهانة أمام الفاسق يزيد لينكث ثناياه بالقضيب، ويُعَلَّق في سوق الصيارفة ويُشرب الخمر حوله، ويُقال الكفر

---

٣٨ ــ انطوان بارا/ الحسين في الفكر المسيحي ص ١١٦.

أمام كرامته..

«فهل يبقى للمقارن المتمعّن في هذه الميتة الأليمة تردُّد في وضع شهادة الحسين(ع) في المقام الأول بين كل الشهادات التي ذكرها التاريخ..؟

«وإذا كانت قيمة الشهادة منوطة بما يتحمله الشهيد من أذىً، فإنه لا مراء في أنَّ الشهادة التي تمّت في صحراء كربلاء ذات قيمة عُليا، لا تبلغها أية قيمة أخرى لأ ية شهادة، لا سابقة ولا لاحقة»[٣٩].

ثم يُعطي الكاتب المسيحي انطوان بارا حكمه في هذه المقارنة بين معاناة كل من عيسى المسيح والامام الحسين في سبيل الله قائلاً:

«وهي (أي شهادة الامام الحسين) شهادة أكبر في مقياس المعاناة من شهادة عيسى(ع) ولئن تعادلت معها في مقياس النتيجة، فإنَّ لها وقعاً أشد على القلوب، وإذا تذكرتها العقول فإنَّ لذكراها رنَّةَ حزن وأسى تحفر في الحنايا والصدور أخاديد عميقة وأثلاماً لا تندمل»[٤٠].

إذاً حق لنبي الله إرميا أن يتنبأ بفاجعة كربلاء الأليمة وأن يبكي على الامام الحسين(ع) ويرثيه كما بكاه جدّهُ رسول الله(ص) وتنبأ بشهادته وقتل أُمّيّه له.

وأما الشخصية العظيمة الثانية التي أعدّها الله تعالى للانتقام لذبيحته من أعدائه فلا شك أنها الامام المهدي المنتظر حفيد رسول الله محمد(ص). وسيكون هذا الانتقام شديداً وعامّاً يطال جميع أعداء الله

---

٣٩ ــ الحسين في الفكر المسيحي ص ١١٧.

٤٠ ــ المصدر السابق ص ١١٧-١١٨.

ومبغضيه ولذا قال إرميا (ع) في نبوءته : «فهذا اليوم للسيّد ربّ الجنود يوم نقمته للإنتقام من مبغضيه». ويبدو أنّ معركة شديدة ضروساً سوف يخوضها الامام المهدي (ع) ضد أعداء الله بالقرب من شواطىء الفرات الممتدة من أواسط تركيا الى جنوب العراق.

وإذا ما عدنا الى رؤيا يوحنّا عنوان بحثنا هذا فإننا نجد أنّ الصراع بين أولياء الله وأولياء الشيطان لم يتوقف باستشهاد الامام الحسين (ع) بل استمر وسوف يستمر بين الفئة المؤمنة بالله بقيادة رجال أقوياء في دينهم وإيمانهم من نسل فاطمة الزهراء (ع) وبين قوى البغي والاستكبار العالمي بقيادة طواغيت الأرض ومستكبريها.

وقد تعرض أبناء رسول الله (ص) من نسل ابنته فاطمة الزهراء على امتداد التاريخ الاسلامي الى اضطهاد السلطات الحاكمة في البلاد الاسلامية. أما اليوم فقد تضافرت على اضطهادهم جميع قوى الاستكبار العالمي التي تحاول إحكام قبضتها على جميع شعوب العالم لتُضيّق الخناق على القوى الاسلامية المؤمنة وخاصـــة الشيعية منها أنصار آل بيت رسول الله (ص). فقد صرّح رئيس المخابرات الفرنسية السابق الكسندر دي مارانش قائلاً : (إنّ أكبر الأخطار التي تواجه الشرق الأوسط هي قيام امبراطورية شيعية من حدود الهند الى شواطىء البحر المتوسط، وإن اسرائيل عند قيام هذه الامبراطورية سوف تدفع ثمناً غالياً)[41].

كما أجاب الصهيوني الكبير هنري كيسنجر وزير خارجية أمريكا

---

٤١ ــ عقيدة المسيح الدجال في الأديان ص ٢٠٥، نقلاً عن جريدة الأهرام ١٠/١٤/ ١٩٨٦.

السابق عندما سئل عن الحرب بين العراق وايران: (إن المصلحة الأميركية القصوى، تكمن فيما تتكبده إيران والعراق من خسائر)[٤٢]. ومعلوم أنَّ إيران والعراق تشكلان أكبر وأقوى قاعدة لأتباع آل بيت رسول الله (ص) وهذا ما يفسر قلق وخوف القوى الطاغوتية والاستكبارية في العالم وخصوصاً في الغرب من القوة المؤمنة الصاعدة في هذه المنطقة.

ولعلم أقطاب الاستكبار العالمي اليقين وخصوصاً في الغرب، أنَّ المعركة الفاصلة في هذا العالم ستكون بينهم بقيادة المسيح الدجّال وبين القوة المسلمة المؤمنة بالله بقيادة الامام المهدي المنتظر(ع)، فقد قاموا ومنذ عصرنا الحاضر هذا بالإعداد لهذه المعركة الفاصلة وعلى كافة المستويات المختلفة. فهم بالإضافة الى سعيهم الجاد للسيطرة على القوى المادية والتكنولوجية فقد عمدوا أيضاً الى السيطرة على البرامج الثقافية والتعليمية والتربوية في العالم وذلك بهدف تضليل شعوب العالم وخاصة المسلمة منها وإبعادها عن الإيمان بالله والتمسك بصراطه المستقيم. فقد قال أحد حاخامات اليهود لأتباعه: (وحتى تستيقنوا من قدرتنا على السيطرة على العالم انظروا الى اختراعات الرجل الأبيض كيف حولناها الى سلاح ضده، فالراديو والمطبعة أصبحا اليوم المعبر والمتحدث عن رغبتنا... فاعملوا. اعملوا حتى يأتي اليوم الذي تكشف فيه إسرائيل عن مهمتها الحقيقية وهي النور الذي يضيء العالم...)[٤٣].

وقال يهودي صهيوني آخر: (... يجب أن نخلق الجيل الذي لا

---

٤٢ ــ المصدر السابق، نقلاً عن الاهرام ٢/١٨/ ١٩٨٦.

٤٣ ــ احجار على رقعة شطرنج ٢٢٧.

يخجل من كشف عورته...)[٤٤].

وواضح من هذه الأقوال أنَّ اليهود الصهاينة يوطئون لظهور مسيحهم الدجّال ويهيئون العقل الانساني للقبول به كزعيم للعالم وذلك عن طريق حرف الانسان عن الايمان بخالقه وعن إتّباع سبيل أنبياء الله ورسله. وفي هذا المعنى يقول السيد قطب: (لقد كان وراء النزعة المادية الإلحادية يهودي ووراء النزعة الحيوانية يهودي ووراء هدم الاسرة وتفكك الروابط يهودي. ووراء نزعة أدب الانحلال والضياع يهودي. وهؤلاء بالترتيب هم ماركس. فرويد، دركايم. جان بول سارتر)[٤٥].

ويقول أيضاً (... فأهل الكتاب لا يحرصون على شيء حرصهم على إضلال هذه الأمة عن عقيدتها (الإسلامية) فهذه العقيدة هي صخرة النجاة وخط الدفاع.. وأهل الكتاب يعرفون هذا قديماً ويعرفونه حديثاً. ويبذلون في سبيل تحويل هذه الأمة عن عقيدتها كل ما في وسعهم من مكر وحيلة...)[٤٦].

والحـــري بالمسلمين في مقابل ذلك أن يعملوا جاهدين ويوطئوا لقدوم وليِّ الله في أرضه الامام المهدي المنتظر(ع) ليخوضوا تحت قيادته المباركة معركة الشرف والايمان ضد أعداء الله السائرين تحت راية المسيح الدجّال. فلقد تواترت الأحاديث النبوية الشريفة في كتب جميع المذاهب الاسلامية حول قدوم الامام المهدي(ع) في آخر الزمان. (قال الشوكاني في التوضيح: إن الأحاديث الواردة في المهدي متواترة. وقال الكتاني في

---

٤٤ ـ الزغبي/ الماسونية في العراء/ ٨٩.

٤٥ ـ معركتنا ضد اليهود/ السيد قطب ص ٣٤.

٤٦ ـ في ظلال القرآن ج ٤٣٨/١.

نظم المتناثر: والحاصل أنَّ الأحاديث الواردة في المهدي متواترة. وقال الشافعي كما في نظم المتناثر أيضاً: تواترت الأخبار أنَّ المهدي من هذه الأمة وأنَّ عيسى يُصلي خلفه، وجمع السيوطي أحاديث المهدي في الحاوي للفتاوي وقال: هذا جزء جمعتُ فيه الأحاديث والأخبار الواردة في المهدي. وقال ابن القيم: المهدي رجل من أهل بيت النبي من أولاد الحسن[47] يخرج آخر الزمان وقد امتلأت الأرض جوراً وظلماً فيملأها قسطاً وعدلاً. (نظم المتناثر ص ٦٤، ٢٨٢) (المنار لابن القيم ص ٢٣)[48].

كما أورد أبو داود في صحيحه عن أمِّ سلمة (رض) أنها قالت: سمعت رسول الله (ص) يقول: «المهدي من عترتي من ولد فاطمة»[49].

وروي في ذخائر العقبى عن حذيفة أن النبي (ص) قال: «لو لم يبق من الدنيا إلّا يوم واحد لطوّل ذلك اليوم حتى يبعث الله رجلاً من ولدي اسمه كإسمي فقال سلمان من أي ولدك يا رسول الله؟ قال من ولد هذا وضرب بيده على الحسين عليه السلام»

وقال (ص) لفاطمة (ع) في مرضه الأخير بعد أن ضرب على منكب الحسين (ع): «مِنْ هذا مهديُّ هذه الأمة.. لا تذهب الدنيا حتى يقوم رجل من وُلد الحسين يملأها عدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً...»[50].

---

٤٧ ــ المقصود هنا أن المهدي هو ابن الحسن العسكري من أولاد الحسين وليس كما اعتقد ابن القيم من أنه سيكون من أولاد الامام الحسن بن علي بن ابي طالب (ع).

٤٨ ــ عقيدة المسيح الدجال في الاديان، هامش ص ٩٨-٩٩.

٤٩ ــ منتخب الاثر ١٩٩، الاختصاص ٢٠٨ و ينابيع المودة للقندوزي الحنفي ج ٩٣/٣ بلفظ آخر، أبو داود ج٤/ ١١٧، ابن ماجة ج ١٢٦٨/٢، الحاكم ج ٥٥٧/٤.

٥٠ ــ منتخب الاثر ١٩٩، الاختصاص ٢٠٨، ينابيع المودة للقندوزي الحنفي ج ٩٣/٣ بلفظ آخر.

وقال أيضاً (ص): «القائم المهدي من وُلدي، اسمه اسمي وكنيته كنيتي. أشبه الناس بي خُلُقاً وخَلْقاً»[٥١].

وقد قال الكوثري: «تواترت أحاديث المهدي والمسيح الدجّال والمسيح. فليس بالموضوع ريبة عند أهل العلم بالحديث».

كما دافع الكاتب سعيد أيوب في كتابه «عقيدة المسيح الدجّال في الأديان ص ٣٦١» عن صحة الأحاديث الواردة في الامام المهدي المنتظر (ع) فقال: «قد يقول قائل إنَّ الأحاديث التي وردت فيه ضعيفة فنقول وكيف ذلك؟ ألم يتبيَّن الامام أحمد بن حنبل هذا الضعف؟ وكيف غاب هذا عن بصيرة ابن تيميَّة وتلميذه ابن القيّم؟ وكيف غاب هذا عن الامام الشافعي والشوكاني الذي قطع بأنَّ أحاديث المهدي متواترة[٥٢] كيف؟».

وكان ملوك بني أميَّة وبني العبّاس يعرفون ذلك فقد سمعوا بهذه الأحاديث وتيقَّنوا من صحتها ولذا كانوا يضطهدون ذريَّة رسول الله (ص) ويحاولون أن يعرفوا من هو الامام المنصوص عليه، من أحفاد الرسول حتى يضعوه تحت المراقبة والإقامة الجبرية أو يودعوه في سجونهم وبالتالي ليصفوه جسدياً وهكذا فقد استشهد أحد عشر إماماً من الأئمة

---

٥١ ــ البحار ج ٧٢/٥١، ينابيع المودة ج ١٦٣/٣ و ٢٦٨. كما رواه كل من ابن عساكر وكنز العمال بألفاظ متقاربة.

٥٢ ــ لقدأقرَّ ابن تيميّة في كتابه منهاج السنة بمجيء المهدي المنتظر(ع) آخر الزمان وقال ابن القيم إنَّ المهدي حق وذلك في كتابه المنار في الحديث الصحيح والضعيف ص ٢٣. كما قال ابن كثير في تفسيره إن المهدي هو الامام الثاني عشر (ج ٣٠١/٣)، وبهذا قال الامام الشافعي والشوكاني في نظم المتناثر ص ٦٤، ٢٨٢ من الحديث المتواتر.

الاثني عشر إمّا قتلاً بالسيف أو عن طريق دس السمّ لهم.

وكان ملوك بني العباس ينتظرون ولادة الامام الثاني عشر للقضاء عليه، ولذا أخفى والده الامام الحسن العسكري ولادته عن الناس خوفاً عليه ولم يُعلم به إلّا الصفوة من أصحابه. وهذا ما يفسر لنا ما ورد في رؤيا يوحنا حيث قال:

«والتنين وقف أمام المرأة العتيدة أنْ تَلِدَ حتى يبتلع ولدها متى وَلدت»[٥٣].

وشاء الله سبحانه أنْ يُغيِّب وليَّه في أرضه (الامام المهدي) عن أنظار الناس الى وقت معلوم وساعة معلومة علمها عنده وحده (لا يجليها لوقتها الا هو). وهذا ما عبَّرت عنه الرؤيا حيث جاء فيها:

«فولدت ابناً ذكراً عتيداً أنْ يرعى جميع الأمم بعصاً من حديد. واختطف ولدها الى الله والى عرشه»[٥٤].

وهكذا فإن غيبة الامام المهدي (ع) قدرٌ من الله تعالى فمهما طالت غيبته فهو في حماية الله وتحت ظل عرشه حتى يأذن له بالخروج وحمل راية الحق في مقابل تجمع الكفر العالمي تحت راية المسيح الدجّال الذي نشهد تحركه في أيامنا هذه.

وليس بعزيز على الله تعالى أنْ يُبقي وليَّه في أرضه حيّاً مخفياً عن أنظار الناس مدة طويلة من الزمن لا يعلمها إلّا هو حتى يحين الوقت المعلوم فيبعثه ليمحق به الكفر والضلال ويقيم به دولة الحق والعدل

---

٥٣ ــ رؤيا ١٢/٤.

٥٤ ــ الرؤيا ١٢/٥.

فـ «إن المسيح الدجال شَرٌّ مخبوء، ومن عدل الله تعالى أن يضع أمام الشَرِّ المخبوء خيراً مخبوءاً»[٥٥].

والشر المخبوء سيعمل جاهداً على إرساء قواعد الظلم التي تستقر عليها ألوهية العبيد. ومن يدعي الألوهية لا يدعيها إلّا على أقوام طحنها الظلم، وطحنتها الأهواء، والخير المخبوء سيعمل على تصفية كل مؤسسات الباطل وأجهزته التي هي مؤسسات وأجهزة الظلم والجور، ليضع أعلامه ويبسط أجهزته وبذلك تُملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعدما ملئت ظلماً وجوراً.

إنَّ المهدي حقٌ. لأن الدعوة الى الله قبل الانقلاب الكوني الأخير ستكون على أرض بها المسيح الدجال. وخروج المسيح الدجال يعني إغلاق باب التوبة فلا ينفع نفساً إيمانها إنْ لم تكن آمنت من قبل. والله أدرى بعبيده قبل أنْ يُغلق باب التوبة، والله أدرى بمن يرشدهم ويدعوهم اليه، في أرض بها من يدّعي ظلماً وكفراً وتجبراً أنه إله يُعبد من دون الله! إنَّ التصدر للدعوة قبل إغلاق باب التوبة لابد له من مهدي. ولنتدبر قوله تعالى:

ويقولون متى هذا الفتح إن كنتم صادقين؟ قل يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا إيمانهم ولا هم يُنظرون، فأعرض عنهم وانتظر إنهم منتظرون»[٥٦].

فهذه الآيات تحدثت عن يوم فتح! فيه لا ينفع الذين كفروا

---

٥٥ ــ عقيدة المسيح الدجال في الأديان، ص ٣٦٣.

٥٦ ــ سورة السجدة ٢٨ـ ٣٠.

إيمانهم! وطالب تعالى رسوله بأن ينتظر وأخبره بأنَّ أهل الكفر منتظرون! هكذا ذكرت الآيات الكريمة العلاقات! فما هو يوم الفتح هذا؟ إن العاقل لا يقول بأنه كان في الماضي، لأنه لو قال بهذا لكان الذين دخلوا في الاسلام من بعده، لم ينفعهم الايمان وبالتالي لم يقبل منهم الاسلام!

وقال ابن كثير في تفسيره لآية الفتح: «من زعم أن المراد من هذا الفتح فتح مكة فقد أبعد النجعة وأخطأ فأفحش.. وإنما المراد الفتح الذي هو القضاء والفصل..». فمتى يكون يوم الفتح؟ ولتحديد هذا اليوم لا بُدَّ أنْ نبحث في العلامات التي تُغْلَق فيها أبواب التوبة، وهي التي قال فيها تعالى: «يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا»[٥٧].

وهذه الآيات قال عنها النبي صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم «ثلاث إذا خرجن لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً. طلوع الشمس من مغربها، المسيح الدجّال، دابة الأرض»[٥٨].

أما عن طلوع الشمس وخروج الدابة فلم ترد أحاديث تبين أنَّ للمسلمين معارك عالمية عندهما. إنما المعارك والفتح سيكونان في علامة المسيح الدجال...»[٥٩].

ويظهر من المصادر الاسلامية ومما ورد في كتب اليهود والنصارى من تفسير لهذه الرؤيا أنَّ المسيح الدجّال سيكون آخر عدوٍّ لله يقضي عليه

---

٥٧ ــ سورة الأنعام ١٥٨.

٥٨ ــ رواه الترمذي.

٥٩ ــ عقيدة المسيح الدجال في الأديان، ص ٣٦٢-٣٦٣.

الامام المهدي المنتظر (ع). وسيملك المسيح الدجّال قوة اقتصادية وعلمية واعلامية وعسكرية جبّارة بحيث يستطيع عن طريقها إضلال الناس وايهامهم بأنه قوة لا تقهر وأنه السلطة العليا في هذا العالم ولا قوة فوق قوته ولذا عليهم إتّباعه وطاعته والامتثال لأمره.

وقد جاء في مصادر أهل الكتاب أنّه (أي المسيح الدجّال) سيكون دكتاتوراً عالمياً وسيكون هو الرئيس العالمي لليهود والمسيحيين المرتدّين[٦٠]. كما قالوا بأنه سيُنَصِّب نفسه إلهاً ويطلب من الناس أن يعبدوه وسيبدي المسيحيون ولاء مطلقاً له[٦١]. كما إنه سينتحل لنفسه أمام اليهود صفة (مسيحهم) الموعود به على ألسنة أنبيائهم والذي ينتظرون قدومه منذ زمن بعيد، وسيقبلون إدّعاءاته قائلين: هذا هو حقاً المسيح الذي طالما انتظرناه. والذي يتكلم كتابنا المقدس عنه[٦٢].

وقد روى أنّ النبي (ص) قال في توقيت خروج المسيح الدجّال:

«بين الملحمة وفتح المدينة ست سنين ويخرج المسيح الدجّال في السابعة»[٦٣].

واتفق أهل الكتاب على توقيت ظهوره بعد فتح المدينة الواقعة على البحر فقد قال ويسلي: (بعد سقوط المدينة سرعان ما يظهر (أي المسيح الدجّال) وسرعان ما يسقط ويهلك»[٦٤].

---

٦٠ ــ عقيدة المسيح الدجال ص ٢٨٣، نقلاً عن مشتهى كل الأمم/ صايغ ٥٧.

٦١ ــ المصدر السابق ص ٢٨٣، نقلاً عن تفسير سفر دانيال/ ايرنسايد ١٣١.

٦٢ ــ المصدر السابق ٢٨٣، عن تفسير دانيال/ ايرنسايد ١٣٤.

٦٣ ــ أبو داوود ج ١١١/٤. المدينة هنا هي غير «المدينة المنورة» كما سنبيّنه في الصفحات التالية.

٦٤ ــ عقيدة الدجّال ٢٨٢، عن تفسير الرؤيا/ ويسلي ١١٣.

وقد روي أن رسول الله (ص) قال عن هذه المدينة، التي ستكون عنوان الفتح المظفر في زمن الامام المهدي (ع)، أنَّ جانباً منها في البر وجانباً في البحر، أي أنها تقع على شاطىء البحر. ثم قال، بأن جنود المهدي (ع) يفتتحوها بنداء «لا اله الا الله والله اكبر» فاذا قالو: «لا اله الا الله والله اكبر». فيسقط أحد جانبيها الذي فيها ثم يقولون الثانية، لا اله الا الله والله اكبر. فيسقط جانبها الآخر. ثم يقولون الثالثة، لا اله الا الله والله اكبر، فيُفرج لهم. فيغنموا... فبينما هم يقتسمون المغانم إذا جاءهم الصريخ أنَّ المسيح الدجال قد خرج. فيتركون كل شيء ويرجعون»[٦٥].

فأي مدينة هذه التي تنبأت بفتحها على يد القوى المؤمنة كل من الأحاديث النبوية الشريفة ونصوص أهل الكتاب؟ يقول مفسرو أهل الكتاب: (الكنيسة المرتدة يتخذ لها الوحي رموزاً.. يسميها المدينة العظيمة!! وبابل!! والمرأة!! والزانية العظيمة! وأم الزواني! الى غير ذلك من الأسماء)[٦٦].

إذاً فالمدينة العظيمة هي حاضنة المسيحية المرتدة. فما هو الاسم الذي تُعرف به هذه المدينة؟

يقول القس صايغ: (.. الأب جورج فاخوري الكاثوليكي في ترجمته للعهد الجديد (يؤكد) أن المدينة العظيمة وبابل.. الخ. هو الاسم الرمزي لروما..)[٦٧].

---

٦٥ ــ رواه مسلم ج ١٨/ ٤٣.

٦٦ ــ عقيدة الدجّال ص ٢٣٩، نقلاً عن مشتهى الأمم/ صايغ ٧٨.

٦٧ ــ المصدر السابق ص ٧٩.

ويقول الاستاذ حنا (المدينة هي روما[٦٨] إنَّ تاريخها أسود وملطخ بالدماء. إنها عظيمة في مجدها العالمي وفي وثنيتها وفي شرها وفجورها. ما أسوأ هذه العظمة..)[٦٩].

ويقول جون ويسلي: (إنها بلا شك روما..)[٧٠].

ولكن لماذا مدينة روما بالذات وماهي الخصوصية التي تميِّزها عن غيرها في زماننا هذا؟

يجيبنا ايرنسايد قائلاً: (إذا كان السؤال هو: هل تعتقد أن بابل العظيمة[٧١] موجودة الآن؟ فأقول نعم بكل تأكيد. فإنَّ وصف بابل العظيمة ينطبق تماماً على الكنيسة البابوية[٧٢] وعليه فإذا كانت روما هي الزانية[٧٣] فإنَّ كنائس الدولة هي بناتها! وفي الحق! كما الأُم كذلك

---

٦٨ ــ عقيدة الدجّال في الأديان ص ٢٣٩، نقلاً عن تفسير الرؤيا/ حنا ٣٦١.

٦٩ ــ المصدر السابق ٢٣٩. نقلاً عن تفسير الرؤيا/ حنا ٣٧٠-٣٧١.

٧٠ ــ المصدر السابق ص ٢٣٩، نقلاً عن تفسير الرؤيا/ ويسلي ١٠٨.

٧١ ــ «بابل العظيمة»: هذا الاسم ورد في الاصحاح الثامن عشر من رؤيا يوحنا، حيث قال: «ثم بعد هذا رأيت ملاكاً آخر نازلاً من السماء له سلطان عظيم واستنارت الأرض من بهائه. وصرخ بشدة بصوت عظيم قائلاً: سقطت سقطت بابل العظيمة وصارت مسكناً للشياطين ومحرساً لكل روح نجس ومحرساً لكل طائر نجس وممقوت» (رؤيا ١٨/ ١-٢).

وليس المقصود من هذه النبوءة مدينة بابل نفسها الواقعة في العراق والتي أفل نجمها قبل أن تقال هذه النبوءة بمئات السنين. إنما رُمز بهذا الاسم الى مدينة ثانية لها ارتباط بالمسيحية، واقعة على البحر كما جاء في نفس الرؤيا (١٨/ ١٢-١٣) والمشهور أنها مدينة روما. والله أعلم.

٧٢ ــ عقيدة الدجّال ص ٢٤٠، نقلاً عن تفسير دانيال/ ايرنسايد ٦٢.

٧٣ ــ راجع الاصحاح السابع عشر من رؤيا يوحنا فستجد أنه أطلق على هذه المدينة عبارة: الزانية العظيمة.

بناتها[٧٤]...).

ويقول جون ويسلي: (.. وما دامت روما البابوية قد مارست سلطان المظالم.. وسارت في ركاب القوى السياسية. فقد ورثت ملامح روما الوثنية..)[٧٥].

ولكن هل المقصود بروما هو المذهب الذي تعتنقه دون سائر المذاهب المسيحية؟

يقول جون ويسلي: (.. نقول إنَّ هذا المفهوم لا يختص بالكنيسة الرومانية وحدها. بل بالمسيحية في إطارها الشامل إذ زاغت عن الحق)[٧٦].

ويقول الاستاذ فكري: (ما حدث مع أورشاليم قديماً حيث تحولت عن الرب وانغمست في المدينة.. فكما قيل لأورشاليم ويلٌ وويلٌ لمدينة الدماء. سيُقال عن المسيحية المرتدة والزانية العظيمة ويلٌ ويلٌ)[٧٧].

ولابد للعاقل المنصف من أن يأخذ إعتراف هؤلاء الكتاب والمفسرين من النصارى بارتداد الكنيسة عن تعاليم السيد المسيح (ع) بعين الجدّية والقبول.

وإذا ما رجعنا الى نص الرؤيا الثانية عشرة التي تمثل عنوان بحثنا هذا فإننا نقرأ فيها:

---

٧٤ ــ عقيدة الدجال ص ٢٤٠، عن تفسير دانيال/ايرنسايد ٦٢.

٧٥ ــ الرؤيا/ ويسلي ١٠٨.

٧٦ ــ الرؤيا/ ويسلي ١٠٦.

٧٧ ــ حزقيال/ فكري ١٧٧.

المصادر (٧٥)و (٧٦) و (٧٧) أخذناها عن «عقيدة المسيح الدجّال» ص ٢٤٠.

وسمعت صوتاً عظيماً قائلاً في السماء: «اليوم هو يوم الخلاص، القوة والملك لله ربّنا وسلطانه لمسيحه[٧٨]...».

لقد عبّر نبي الله إرميا (ع) عن هذا اليوم كما مرَّ معنا سابقاً حيث قال: «فهذا اليوم للسيد رب الجنود يوم نقمته للانتقام من مبغضيه»[٧٩].

ويوم الخلاص هذا أو يوم النقمة والانتقام من أعداء الله ومبغضيه على يد وليِّ الله في أرضه الامام المهدي المنتظر هو ما يُعرف في المصادر الاسلامية بـ «الملحمة الكبرى» وفي الانجيل الذي بين أيدي الناس اليوم باسم «معصرة غضب الله العظمى يوم الله القادر على كل شيء[٨٠]، ويعرف عند اليهود في العهد القديم باسم «الخربة الأبدية»[٨١]. وهي المعركة الفاصلة الكبرىٰ بين قوىٰ الخير والايمان بقيادة الامام المهدي المنتظر(ع) من جهة وقوىٰ الكفر والضلال في العالم من جهة أخرى. وسيكون النصر الساحق والمؤزر من نصيب الامام المهدي(ع) في هذه المعركة التي لم ولن يُعرف لها مثيل في تاريخ البشرية في الشدة والعنف. فقد رُوي عن رسول الله (ص) القول: «لا يُرى مثلها..» أو

---

٧٨ ــ إن كلمة «مسيح» لا تطلق عند أهل الكتاب على الأنبياء فقط بل قد تطلق على ملك أو كاهن (انظر سفر اللاويين ٤: ٣). وهذا اللقب قد يطلقونه على ملك أجنبي كما أطلقوه على الملك الفارسي كورش: «هكذا يقول الرب لمسيحه لكورش الذي أمسكت بيمينه لأدوس أمامه أمما...» (اشعياء ٤٥: ١).

إذاً كلمة «مسيحه» في هذه الرؤيا لا تعني عيسى المسيح(ع) بل من الأكيد أنها تعني المهدي المنتظر(ع) كما بيناه سابقاً وسنبيّنه فيما يأتي.

٧٩ ــ ارميا ٤٦/١٠.

٨٠ ــ الرؤيا ١٤/١٩ والرؤيا ١٩/١٥.

٨١ ــ ارميا ٢٥/٩.

«لم يُر مثلها»[٨٢].

وقال عيسى (ع): «.. لم يحدث مثلها منذ بدء العالم الى الآن ولن يحدث»[٨٣].

وبما يخص تلك الصيحة العظيمة التي تسمع في السماء إعلاماً بخروج الامام المهدي (ع)، فقد روى الصدوق عن الامام محمد الباقر (ع) أنه قال:

«ومن علامات خروجه (أي الامام المهدي) عليه السلام خمس علامات، وعدّ منها: .. وصيحة من السماء في شهر رمضان»[٨٤].

وعن الامام الصادق (ع) أنه قال: «الصيحة لا تكون إلّا في شهر رمضان شهر الله ـ وهي صيحة ـ جبرئيل الى هذا الخلق...»[٨٥].

وقبل حدوث هذه المعركة الفاصلة التي لا مثيل لها في التاريخ ستحدث معارك بين الامام المهدي (ع) وطغاة المنطقة وخصوصاً ذلك المعروف بالسفياني الذي سيرسل قوة عسكرية قوية للقضاء على حركة الامام المهدي التي بدأها في مكة المكرمة، ولكن يُقضى على جيش السفياني هذا وتُخسف به الأرض قبل تحقيق هدفه بالوصول الى مكة، وهذا هو تفسير ما ورد في رؤيا يوحنا حيث قال:

«فألقت الحيَّة من فمها وراء المرأة ماءً كنهر لتجعلها تُحمل بالنهر. فأعانت الأرض المرأة، وفتحت فمها وابتلعت النهر الذي ألقاه

---

٨٢ ــ رواه مسلم ج١٨/٢٥.

٨٣ ــ انجيل متى ٢٤/ ٢١.

٨٤ ــ تاريخ ما بعد الظهور، محمد الصدر ص ١٦٩.

٨٥ ــ المصدر السابق، ص١٦٩.

التنين من فمه»[٨٦].

فالحيَّة هي التنين رمز للطاغوت الذي سيحاول القضاء على حركة الامام المهدي (ع) في بدايتها. وهذا الطاغوت هو طاغوت محلي مدعوم من الغرب الصليبي والصهيونية العالمية وذلك لوقف حركة الامام المهدي المنتظر(ع) والقضاء عليها. وسيُعرف هذا الطاغوت المحلي باسم «السفياني» كما ورد في الكثير من الروايات.

وقد تم التعبير عن الجيش الذي سيرسله السفياني الى مكة للقضاء على قيام الامام المهدي (ع) بالنهر نظراً لقوته وسرعة حركته، ولكن ما إن يصل الى أرض الحجاز بين المدينة ومكة حتى تخسف به الأرض وتبتلعه كما جاء في الكثير من روايات أهل البيت المعتبرة[٨٧] وأيضاً ما ورد في كتب أهل السنة[٨٨].

ويبدو أنه بعد أن يتم القضاء على السفياني ستغضب مراكز القوى الاستكبارية الصليبية والصهيونية في العالم ويجمعون قواهم للقضاء على القوة المؤمنة الصاعدة بقيادة الامام المهدي المنتظر(ع)، وهذا ما عبَّر عنه صاحب الرؤيا قائلاً:

«فغضب التنين على المرأة وذهب ليصنع حرباً مع باقي نسلها الذين يحفظون وصايا الله وعندهم شهادة يسوع المسيح»[٨٩].

---

٨٦ ــ رؤيا ١٢/ ١٥-١٦.

٨٧ ــ راجع مستدرك الحاكم ج ٤/٢٩ والبحار ج ٥٢/١٨٦ وغيبة النعماني ١٦٣، والمحجة للبحراني ١٧٧.

٨٨ ــ انظر كتاب «القول المختصر في علامات المهدي المنتظر» لأبي العباس أحمد بن محمد ابن حجر المكي الهيثمي ص ٤٩.

٨٩ ــ رؤيا ١٢/١٧.

والمرأة هنا كما بيَّنا سابقاً هي فاطمة الزهراء بنت رسول الله محمد ـ عليهما أفضل الصلاة والسلام ـ ، والأئمة الأطهار من نسلها هم الذين يحفظون وصايا الله وهم المكلفون منه تعالى بهداية الناس وحفظ دينه الحنيف من تحريف المحرفين وتأويل المتأولين ، ولذا فالمُتمسك بولايتهم ومنهجهم ناجٍ والمُتخلف عنهم هالك . فهم أئمة الفرقة الناجية وأدرى الناس بكتاب الله وسنة رسوله .

كما إنَّ عبارة «نسلها (أي نسل فاطمة) الذين يحفظون وصايا الله» تفسر لنا حديث الثقلين الذي مرَّ ذكره معنا في هذا الفصل والذي يدعو المسلمين فيه الى التمسك بكتاب الله وآل بيت رسول الله حيث سماهم «الثقلين» في قوله «إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي آل بيتي وإنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض...» .

أمّا معنى العبارة الأخيرة الواردة في الرؤيا والتي تقول : «وعندهم شهادة يسوع المسيح» فهذا مما لاشك فيه ، فإنَّ عيسى المسيح (ع) قد بشَّر بالإمام المهدي المنتظر(ع) كما سيمر معنا في الصفحات القادمة ، وأيضاً ما ورد في الكثير من الروايات حول نزول عيسى بن مريم (ع) آخر الزمان[٩٠] حيث سيُصلي خلف الامام المهدي (ع) ويشهد له بأنه وليُّ الله في أرضه وسيكون الساعد الأيمن له في حروبه مع القوى الصليبية في العالم . ويُقال بأنه سيكسر الصليب بيديه الشريفتين .

---

٩٠ ــ روى العلامة المجلسي في البحار ج ٥٢ ص ٣٨٣ والبخاري في صحيحه في باب : «نزول عيسى عليه السلام ج٢ ص ٢٥٦ ، أن رسول الله (ص) قال : «كيف بكم (أو أنتم) إذا نزل عيسى بن مريم فيكم ، وإمامكم منكم» .

ولذا فإن مهمة عيسى المسيح (ع) عند نزوله ستكون الشهادة للامام المهدي المنتظر(ع) بأنه وليُّ الله في أرضه وحجته على خلقه، وسيعمل جاهداً من أجل إقناع العالم الغربي الصليبي بوجوب اتباعه والايمان بما يدعوهم إليه، فإنْ أبوا إلّا العناد والخلاف فإنه سيقف الى جانب الامام المهدي (ع) في حربه ضدهم.

ولإتمام الفائدة لابُدَّ لنا من أن نذكر هنا ما ورد في الرؤيا التاسعة عشر من سفر الرؤيا، حيث تحدث فيها صاحب الرؤيا عن عظمة ذلك القائد المنتصر المُلقب بالأمين الصادق والمعيَّن من الله تعالى والمؤيَّد من قبله للقضاء على أعدائه في معركة لم يشهد لها التاريخ مثيلاً والتي سبق الحديث عنها في الصفحات السابقة. فقد جاء على لسان القدّيس يوحنا في رؤياه التاسعة عشرة ما نصه:

«ثم رأيت السماء مفتوحة وإذا فرس أبيض والجالس عليه يُدعى أميناً وصادقاً وبالعدل يحكم ويحارب. وعيناه كلهيب نار وعلىٰ رأسه تيجان كثيرة، وله اسم مكتوب ليس أحد يعرفه إلّا هو. وهو متسربلٌ بثوب مغموس بدم، ويُدعىٰ اسمه كلمة الله. والأجناد الذين في السماء كانوا يتبعونه على خيل بيض، لا بسين بزّاً أبيض ونقيّاً. ومن فمه يخرج سيف ماض، لكي يضرب به الأمم وهو سيرعاهم بعصاً من حديد وهو يدوس معصرة خمر سخط وغضب الله القادر على كل شيء. وله علىٰ ثوبه وعلى فخذه اسمٌ مكتوب ملك الملوك ورب الأرباب.

ورأيت ملاكاً واحداً واقفاً في الشمس فصرخ بصوت عظيم قائلاً لجميع الطيور الطائرة في وسط السماء هلمَّ اجتمعي الى عشاء الاله العظيم. لكي تأكلي لحوم ملوك ولحوم قوّاد ولحوم أقوياء ولحوم خيل

والجالسين عليها ولحوم الكل حرّاً وعبداً صغيراً وكبيراً.

ورأيت الوحش وملوك الأرض وأجنادهم مجتمعين ليضعوا حرباً مع الجالس على الفرس ومع جنده. فقُبض على الوحش والنبي الكذّاب معه الصانع قدّامه الآيات التي بها أضلّ الذين قبلوا سِمة الوحش والذين سجدوا لصورته وطُرِحَ الإثنان حيَّيْن الى بُحيرة النار المتقدة بالكبريت. والباقون قُتِلوا بسيف الجالس على الفرس الخارج من فمه وجميع الطيور شبعت من لحومهم»[٩١].

يرسم لنا صاحب هذه الرؤيا صورة حيَّة عن معالم معركة حربية ضارية تُشكّل بحد ذاتها ملحمة حرب عالمية لم يسبق لها مثيل في تاريخ البشرية. ولكنها لن تدور هذه المرة فقط فيما بين القوىٰ الاستكبارية العالمية الطامعة في السيطرة على العالم كما حدث ذلك في الحربين العالميتين السابقتين الأولى والثانية. بل ستدور بين قطبين، لا ثالث لهما، مختلفين كل الاختلاف في الأهداف والعقائد.

أما القطب الأول فستمثله قوى الكفر والضلال في العالم مجتمعة تحت زعامة طاغوت جبّار تَمَّ الرمز اليه في هذه الرؤيا بـ«الوحش». وسيكون الى جانبه شخصية مُتلبسة بلباس الدين وهي كاذبة، ولذا تَمَّ التعبير عنها في هذه الرؤيا بـ«النبي الكذّاب».

وأما القطب الآخر في هذه المعركة فسيتشكل من القوى المؤمنة بالله تعالىٰ والمخلصة له، يقودها وليٌّ لله في أرضه الذي هيّأه للقيام بمهمة القضاء على قوى الكفر والضلال في العالم، ونشر راية التوحيد والعدل في

---

٩١ ــ رؤيا ١٩/ ١١-٢١.

الأرض. وقد وردت صفات وليِّ الله وحجته على خلقه الامام المهدي المنتظر في هذه الرؤيا حيث نذكر منها:

١ ــ إنه يُدعىٰ بـ «الأمين الصادق».

٢ ــ وبالعدل يحكم ويحارب.

٣ ــ تقاتل معه الملائكة.

٤ ــ يخرج سيف من فمه يضرب به الأمم وهو سيرعاها بعصاً من حديد.

ولكي نتعرف إلىٰ شخصيَّة قائد الفئة المؤمنة الذي هيّأه الله للقضاء على قوىٰ الكفر العالمي في أكبر معركة سوف تعرفها البشرية، علينا أن ندرس بشيء من التفصيل صفاته التي ذكرناها أعلاه.

١ ــ جاء وصفه في هذه الرؤيا بأنه «الأمين الصادق»:

مرَّ معنا سابقاً أنَّ رسول الله (ص) قال:

«القائم المهدي من وُلدي، اسمه اسمي، وكنيته كنيتي...»[٩٢].

وروى ابن عساكر عن النبي (ص) أنه قال: «المهدي يواطيء اسمه اسمي...».

كما روى هذا الحديث الكثير من رواة المسلمين ومحدثيهم.

ومعلوم أن اسم رسول الله (ص) هو «محمد»، وهو نفس الاسم الذي يحمله حفيده الامام المهدي المنتظر(ع).

كما كان مشركو قريش يطلقون على رسول الله محمد(ص) قبل

---

٩٢ ــ البحار ج ٥١/٧٢، ينابيع المودة ج٣/١٦٣، و ١٦٨.

بعثته اسم «الأمين الصادق» بحيث كان هذا الاسم من أشهر أسمائه التي يوصف بها. فقد قال ابن القيم عن أسماء النبي (ص): «...وأما إن جُعل من كل وصف من أوصافه اسم. تجاوزت أسماؤه المائتين، كالصادق والمصدوق، والرؤوف الرحيم، والأمين والصادق الى أمثال ذلك»[٩٣].

وقال صاحب كتاب «عقيدة المسيح الدجّال في الأديان»: «..والأمين الصادق هي تلخيص موجز لسيرة النبي صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم فهو الأمين قبل البعثة والصادق بعد البعثة فهو لا ينطق عن الهوى، واجتاز الحياة بالأمانة والصدق وهاتان الصفتان استخدمهما برونوفسكي وهيلر عند الإشارة الى النبي صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم، الأول في كتابه ارتقاء الإنسان والثاني في كتابه مجمل تاريخ العالم»[٩٤].

وقالت جين داكسون عن المهدي المنتظر(ع): «إن هذا الرجل ستكون عاصمة عمله القدس وما حولها. وسوف يأتي إليه الشباب والناس من كل مكان ليعملوا تحت إمرته، وسوف يدخل الغرب في دين الشرق، و (الأمين الصادق) سيمتلك قوة دعائية جبّارة، وان الولايات المتحدة الاميركية لن تستطيع أن تفعل له شيئاً، وأن المهدي سيملك من العلم والتكنولوجيا الشيء الكثير بل أكثر من الكثير والمعجزات التي سيصنعها ليست معجزات سماوية ولكنها معجزات علمية متقدمة جداً تذهل الناس وتسرهم في نفس الوقت. وسوف يعمل الشباب في العالم

---

٩٣ ــ زاد المعاد ج ١/٨٨.

٩٤ ــ عقيدة المسيح الدجّال في الأديان/ هامش ص ٩٩.

معه من أجل أن يضعوا العالم في الصورة التي يراها»[٩٥].

اذاً فهذا القائد الربّاني المنتصر الذي تطابق اسمه مع اسم رسول الله محمد(ص) وصفته مع صفته «الصادق الأمين» ماهو إلّا حفيده الامام الثاني عشر من عترته الطاهرة المهدي المنتظر(ع).

٢ ــ بالعدل يحكم ويحارب :

لقد حدّد رسول الله(ص) مهمة الامام المهدي (عج) بقوله : (...يملأ الأرض قسطاً وعدلاً ، كما ملئت ظلماً وجوراً...).

وقال كعب الأحبار وهو أحد علماء اليهود : (اني أجد المهدي مكتوباً في أسفار الأنبياء . ما في عمله ظلم ولا عيب)[٩٦].

وقد أوردنا في البشارة الخامسة من هذا الكتاب قول نبي الله داود وهو يدعو الله تعالى : (اللهم اعط شريعتك للملك وعدلك لابن الملك)[٩٧] و برهنا في حينها أنّ مقصوده من الملك هو نبي الاسلام محمد(ص) ، وأن ابن الملك هو الامام المهدي المنتظر(عج) فراجع ما كتبناه حول ما جاء في المزمور الثاني والسبعين في البشارة الخامسة من هذا الكتاب .

وهكذا وصف يوحنا في رؤياه هذه الامام المهدي المنتظر بأنه (بالعدل يحكم ويحارب)[٩٨].

وبذلك اتفقت الأديان الثلاثة (اليهودية والمسيحية والاسلام) على

---

٩٥ ــ المصدر السابق هامش ص ٢٤٧ . نقلاً عن مجلة آخر ساعة ١٩٨٤/٩/٢٦ .

٩٦ ـ الحاوي للسيوطي ج٢/ ٧٧ .

٩٧ ــ مزامير داوود ١/٧٢ .

٩٨ ــ رؤيا ١١/١٩ .

أن مهمة الامام المهدي المنتظر(عج) هي اقامة العدل والقسط والقضاء على الظلم والجور في العالم.

٣ ــ تُقاتل معه الملائكة:

روي عن رسول الله (ص) أنه قال بشـــأن حفيده الإمام المهدي المنتظر(عج): (...يمده الله بثلاثة آلاف من الملائكة يضربون وجوه من خالفهم وأدبارهم)[٩٩].

وهذا ما أشار إليه صاحب الرؤيا بقوله: (وكان الأجناد الذين في السماء يتبعونه على خيل بيض، لا بسين بزّاً أبيض ونقيّاً)[١٠٠].

٤ ــ يخرج من فمه سيف ماض، لكي يضرب به الامم وهو سيرعاهم بعصاً من حديد:

قال صاحب الرؤيا واصفاً الامام المهدي (ع):

«ومن فمه يخرج سيف ماض، لكي يضرب به الأمم وهو سيرعاهم بعصاً من حديد وهو يدوس معصرة خمر سخط وغضب الله القادر على كل شيء»[١٠١].

يُفهم من هذا النص أن الامام المهدي المنتظر(ع)، وقبل أن يبدأ معركته الفاصلة مع القوى التي ستقف في وجهه، سيقوم بإقامة الحجة

---

٩٩ ـ الحاوي ج٢/ ٧٣.

١٠٠ ــ رؤيا ١٩/١٤.

١٠١ ــ رؤيا ١٩/١٥.

على الناس جميعاً على اختلاف أديانهم وعقائدهم، وسيوضح لهم دين التوحيد الخالص ويدحض عقائدهم الفاسدة خاصـــة تلك التي تدعو إلى عبادة المخلوقات ورفعها الى درجة الربوبية كما هو الحال عند النصارى الذين يؤلهون عيسى المسيح (ع). وهذا هو المعنى الذي يستفاد من قول الرائي «ومن فمه يخرج سيف ماض لكي يضرب به الأمم»، فالسيف هنا هو سيف الحجة القوية والبرهان القاطع، ولذا سمي الامام المهدي (ع): «حُجَّة الله على خلقه».

وبعد أن يلقي حجته على الناس، فمن تبعه منهم وآمن به وصدقه فقد أنقذ نفسه ونجا من الهلاك، وأما أمام المخالفين والمعاندين فإنه سيلجأ (ع) الى استعمال القوة التي منحه الله إياها وهي المعبَّر عنها في هذه الرؤيا وأيضاً في الرؤيا الثانية عشرة كما رأينا بـ «عصاً من حديد» التي سيضرب بها الأمم الضالة ضرباً ويسوقها سوقاً، ويدمر معاقل الكفر والفساد والضلال أينما وُجدت على الأرض.

وستكون أكبر قوة مادية طاغية تواجه الامام المهدي هي المتمثلة بالعالم الغربي الذي سينضوي تحت لواء المسيح الدجّال المعبَّر عنه في هذه الرؤيا بـ «الوحش» نتيجة لانحراف المسيحية عن تعاليم عيسى المسيح (ع). ولذا قال بعض مفسريهم حول وضع النصارى أيام المسيح الدجّال:

(... مما لا شك فيه أنَّ المسيحية المرتدة سيُعاد توحيدها، ولكن هذا الاتحاد سيكون خالياً من تعاليم المسيح)[١٠٢].

---

١٠٢ ــ عقيدة المسيح الدجال ص ٩٤، نقلاً عن تفسير دانيال/ ستيفنس ص ٦٣.

وقال مفسر مسيحي آخر (... والارتداد (أي عند المسيحين) موجود الآن، وكانت بدايته في أيام الرسل (أي تلاميذ المسيح) ولكن بصفة فردية...)[١٠٣].

إنه اعتراف صريح بارتداد المسيحيين عن تعاليم عيسى المسيح (ع) وأن هذا الارتداد قد ابتدأ منذ عصر تلاميذه أي في وقت مبكر من نشأة المسيحية.

وقالوا أيضاً (... وستستعيد البابوية نفوذها وسلطانها وستستمد جميع الكنائس قوتها من المرأة (أي البابوية) وستكون خادمة للوحش (أي للمسيح الدجّال)...)[١٠٤].

والسؤال الذي يطرح نفسه هنا هو: مع أي فريق سوف يقف عيسىٰ المسيح (ع) عندما يجيء باذن الله الى الأرض في آخر الزمان؟ أمع المسيحيين المرتدين وكنيستهم التي ستكون في خدمة المسيح الدجّال أم مع ذلك «القائد المنتصر» الذي عيّنه الله تعالى لمحاربة المسيح الدجّال وأتباعه والقضاء على بُؤر الكفر والضلال في العالم؟ لاشك في أنه سيقف الى جانب ولي الله في أرضه والمعيَّن من الله تعالى لقتال أعدائه ورفع راية التوحيد والعدل في الأرض. وسيحارب الى جانب ولي الله أولئك الذين ارتدوا عن تعاليمه والذين قال فيهم مفسرو هذه الرؤيا:

(... يستطيع ذو البصيرة أن يرى بوضوح بوادر الانتكاس من اليوم[١٠٥]، وأنه من الغرابة بمكان أن تكون نهاية المدنية والاستنارة الذهنية

---

١٠٣ ــ المصدر السابق ٩٥، نقلاً عن تفسير زكريا/ رشاد فكري ص ١٠١.

١٠٤ ــ المصدر السابق ص ٩٤، نقلاً عن تفسير الرؤيا/ حنا ص ٣٧٣.

١٠٥ ــ عقيدة المسيح الدجال ص ٩٥، نقلاً عن تفسير الرؤيا/ حنّا ص ٢٢٨.

في المسيحية المرتدة هي عبادة الانسان والشيطان...)[١٠٦].

ومن الواضح أن المسيحيين قد ارتدوا عن تعاليم عيسى المسيح (ع) وخالفوه في أعظم وصاياه وتعاليمه وأهمها التوحيد الخالص لله تعالى الذي نادىٰ به وأكد عليه، فقد ورد في انجيل مرقس أن أحد الكتبة جاء الى عيسى المسيح (ع) وسأله: (أيَّة وصيَّة هي أوّل الكل. فأجابه يسوع أن أول كل الوصايا هي اسمع يا إسرائيل. الربُّ الٰهنا ربٌّ واحد»[١٠٧].

وعلى الرغم من تأكيده (ع) على التمسك بعقيدة التوحيد الخالص فقد ارتدوا عنها وأخذوا بفكرة الأقانيم الثلاثة التي كانت سائدة عند الكثير من الأمم الوثنية في ذلك العصر. فقالوا إن الله واحد لكنه مُتكون من ثلاثة أقانيم متساوية فيما بينها، وهذه الأقانيم الثلاثة متحدة في واحد، وبهذا فقد أخذوا بمفهوم غير منطقي ولا يقبله العقل السليم وهو ٣=١ و ١=٣.

وقالوا أيضاً إن عيسى المسيح يُشكل الاقنوم الثاني من الأقانيم الثلاثة وهو مساوٍ للأب الذي هو الأقنوم الأول ولروح القدس الذي هو الأقنوم الثالث. وضلالهم هذا جاء على الرغم من قول المسيح (ع) لهم: «ولكنكم الآن تطلبون أن تقتلوني وأنا انسان قد كلمكم بالحق الذي سمعه من الله. هذا لم يعمله ابراهيم. أنتم تعملون أعمال أبيكم. فقالوا له إننا لم نولد من زنىً. لنا أبٌ[١٠٨] واحد وهو الله. فقال لهم يسوع لو

---

١٠٦ ــ عقيدة المسيح الدجال ص ٩٥، نقلاً عن المصدر السابق ص ٣٠٧.

١٠٧ ــ مرقس ١٢: ٢٨-٢٩.

١٠٨ ــ أب أي ربّ، وأباكم أي ربكم.

كان الله أباكم لكنتم تحبونني لأني خرجت من قِبَلِ الله وأتيت، لأني لم آت من نفسي بل ذاك أرسلني. لماذا لا تفهمون كلامي... أنتم من أب هو ابليس وشهوات أبيكم تريدون أن تعملوا»[١٠٩]. أليس هذاالنص بكافٍ لتفنيد كل مزاعم النصارى بألوهية عيسىٰ وعقيدة التثليث؟

ومن وصاياه المهمة لهم أيضاً قوله: «ولا تدعوا لكم أباً علىٰ الأرض لأن أباكم واحد الذي في السموات»[١١٠] فخالفوه في ذلك ودعوا قساوستهم ورهبانهم آباء وخصوا رؤساء الكنيسة بهذا اللقب عندما أطلقوا على كل واحد منهم لقب «البابا الأعظم».

بقي علينا أن نقدم الدليل القاطع بأن تلك الشخصية العظيمة «الأمين الصادق» الذي ستجيء آخر الزمان من قبل الله تعالى لتطهير الأرض من الظلم والجور والعقائد الفاسدة لن تكون عيسى المسيح (ع) وذلك باعترافه نفسه، فقد جاء في انجيل متّى:

(وفيما كان الفريسيون مجتمعين سألهم يسوع قائلاً: ماذا تظنون في المسيح[١١١]. ابن من هو. قالوا له ابن داود. قال لهم فكيف يدعوه داود بالروح ربّاً[١١٢] قائلاً: قال الربُّ لربيِّ (أي لسيدي) اجلس عن يميني حتى أضع أعداءك موطئاً لقدميك. فإن كان داود يدعوه ربّاً فكيف

---

١٠٩ ــ يوحنا ٨: ٤٠ - ٤٤.

١١٠ ـ متّى ٢٣: ٩.

١١١ ــ لقد بيّنا سابقاً أن كلمة «مسيح» يمكن لها أن تطلق عندهم على نبي أو قائد أو ملك أو كاهن أو اي شخص آخر.

١١٢ ــ أي سيّداً.

يكون ابنه . فلم يستطع أحد أن يجيبه بكلمة)[113].

وواضح من هذه المحاورة أن عيسى بن مريم (ع) قد وضع النقاط على الحروف وفنّد مزاعم اليهود القائلة بأن المسيح المنتظر آخر الزمان سيكون من أحفاد داود (ع) أي يهودياً . فقال لهم إن كان المسيح المنتظر من أحفاد داود فكيف يدعوه داود بـ«سيّدي»؟ ولم يستطع أحد أن يجيبه بكلمة .

وبهذا الاستدلال فقد نفى عيسى المسيح (ع) عن نفسه أن يكون هو المسيح المنتظر في آخر الزمان لأنه هو نفسه من أحفاد داود (ع) عن طريق أمه مريم (ع) وهذا بنص الانجيل حيث جاء فيه :

(... فقال لها الملاك : لا تخافي يا مريم لأنك قد وجدت نعمة عند الله . ها أنت ستحبلين وتلدين ابناً وتسمينه يسوع . هذا يكون عظيماً . ويعطيه الربُّ الاله كرسيَّ داود أبيه)[114].

إذاً لن يكون المسيح المنتظر في آخر الزمان يهودياً ولا نصرانياً بل سيكون مسلماً على دين محمد رسول الله (ص) وهو حفيده الامام المهدي المنتظر، حجة الله على خلقه، الذي سيُطهر الأرض من ظلم الظالمين وجور المستبدين واستعباد الناس للناس لينشر في أصقاعها دين التوحيد الخالص والعدل الذي أُرسل به جدّه المصطفى (ص).

وكم هو رائع ما ذكره صاحب هذه الرؤيا عن سموّ خلق الامام المهدي (ع) وهو يعلّم صاحب هذه الرؤيا عقيدة التوحيد الخالص عندما

---

١١٣ ــ انجيل متى ٢٢/ ٤١ - ٤٦.

١١٤ ــ انجيل لوقا ١/ ٣٠ - ٣٢.

خرَّ ليسجد له فمنعه الامام (ع) وهو في قمة انتصاراته وقد فتح الله عليه تلك المدينة العظيمة التي أشرنا إليها سابقاً والتي هي مركز انتشار العقائد الفاسدة والضالة التي أضلت الكثير من الناس في العالم. فقد وصف صاحب الرؤيا لقـاءه (أو زعيم النصارى في ذلك الوقت) بالأمـام المهدي (ع) عندما فتح المدينة العظيمة فقال:

(... فخررت أمام قدميه لأسجد له. فقال: لا تفعل. إني عبد الله مثلك ومثل اخوتك المؤمنين الذين عندهم شهادة يسوع. اسجد لله)[١١٥].

لا تفعل! إني عبد الله مثلك!

ما أروع هذه العبارات وهي تصدر عن قائدٍ دوَّخ العالم بانتصاراته وفتوحاته وكسر رايات الطواغيت والجبابرة في أصقاع المعمورة قاطبة.

نعم إنه درس في العبودية الخالصة لله وحده لا شريك له سيلقيه الامام المهدي المنتظر (ع) لأولئك الذين تعوَّدوا على عبادة الانسان واتخاذ بعضهم بعضاً أرباباً من دون الله. ولم يكتف الامام المهدي (ع) بمنعهم من السجود له ولكنه ذكرهم بشهادة عيسى المسيح (ع) لله بالوحدانية وتعاليمه لهم بألّا يسجدوا إلّا لله وحده فهو القائل في القرآن الكريم: «إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيّاً ...»[١١٦].

وهو القائل في الانجيل: «الربُّ الٰهنا ربٌّ واحد»[١١٧].

فأين هذا الاعتقاد الراسخ عند عيسى المسيح (ع) بوحدانية الله وإعلان العبودية له من عقيدة التثليث التي يؤمن بها النصارىٰ اليوم؟!

---

١١٥ ــ رؤيا ١٩/١٠.

١١٦ ــ سورة مريم/٣٠.

١١٧ ــ مرقس ١٢: ٢٩.

والمقصود بعبارة «مثلك ومثل اخوتك المؤمنين الذين عندهم شهادة يسوع» هو مثل أولئك المؤمنين الأوائل من النصارى الذين آمنوا بعقيدة التوحيد التي سمعوها من عيسى بن مريم (ع) حيث قال لهم: «الربُّ الٰهنا ربٌّ واحد».

كما تنفي عبارة «إني عبد الله مثلك ومثل اخوتك المؤمنين الذين عندهم شهادة يسوع» كون المبشر به هنا عيسى المسيح (ع)، فلو كان هو المتكلم هنا لكان قال: «إني عبد الله مثلك ومثل أخوتك المؤمنين الذين عندهم شهادتي». إذاً إنَّ المُبشر به هنا هو شخص آخر وهو الامام المهدي المنتظر حفيد رسول الله محمد (ص) كما أثبتنا ذلك سابقاً.

خاتمة الكتاب

وهكذا ثبت لنا من خلال فصول هذا الكتاب أن أسفار «الكتاب المقدس» عند اليهود والنصارى بعهديه القديم والجديد قد احتوت على بشارات واضحة الدلالة والمعنى برسول الله محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وبالرسالة الإلٰهية الخاتمة التي حملها للناس جميعاً، وذلك ليقوّم اعوجاجهم وانحرافاتهم العقائدية وليخرجهم من ظلمات الكفر والشرك والضلال الى نور التوحيد والعبودية لله وحده.

كما أشارت بعض هذه البشارات[1] بشكل لا يقل دلالة ووضوحاً عن البشارات التي جاءت برسول الله خاصة الى المكانة السامية والمقام الرفيع اللذين خَصَّ الله تعالى بهما الأئمة الاثني عشر الأطهار من آل بيت رسول الله (ص) الذين اختارهم وأمر رسوله بتنصيبهم وتعيينهم من بعده أئمة هُدىً للناس جميعاً.

وقد ظهر لنا أيضاً كيف تمت البشارة ببنت رسول الله (ص) فاطمة الزهراء (ع) حيث عبَّر عنها نبي الله داود (ع) بـ «الابنة العظيمة»، كما جاءت رؤيا يوحنا الثانية عشرة لتعبِّر عنها بأسمىٰ آيات السمو والكمال

---

١ ــ راجع ما كتبناه حول البشارات: الأولى والرابعة والخامسة والعاشرة من هذا الكتاب.

والعظمة فوصفتها بأنها متسربلة بالشمس (شمس النبوة) وواقفة على القمر (قمر الوصيّة والإمامة) وعلى رأسها اكليل فيه اثنا عشر كوكباً (إماماً) حيث قمنا بشرح ذلك مفصلاً في البشارة العاشرة. وقد أشاد صاحب هذه الرؤيا بجهادها وجهاد أبنائها ونسلها في سبيل رفع كلمة التوحيد ضد الطغاة والمستكبرين في الأرض، وكيف سيكون منها الامام المهدي المنتظر(ع) الذي بشّر به كل من نبي الله داود وإرميا وعيسى بن مريم عليهم السلام كما بيّنا ذلك من قبل، حيث سيقوم عليه السلام بتحطيم رايات الكفر والضلال ويسوق جميع الأمم بعصاً من حديد ويُقيم على الارض شريعة الاسلام التي هي شريعة العدل والتوحيد.

فهؤلاء هم آل بيت رسول الله محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) كما روته لنا أسفار الكتاب المقدس عند اليهود والنصارى على لسان أنبيائهم. وكما ورد في فضلهم وعلو مكانتهم عند الله ورسوله في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ما إن لو أردنا استقصاءه لاحتجنا لكتابة مجلدات عديدة، ولكنه ليس هو الهدف من هذا الكتاب حيث كفانا هذه المهمة الكثير من جهابذة الكتّاب والعلماء من مختلف المذاهب الاسلامية.

وبعد ذلك. أليس حرياً بمن يطلع على هذه الحقائق الواردة في هذه البشارات، مهما كان الدين الذي يعتنقه أو المذهب الذي يتبعه أن يمسح الغشاوة عن بصيرته، ويبدد الظلمات عن قلبه، ويُقطّع الأغلال والقيود التي تكبّل عقله ليتمكن من اختيار طريقه الذي يسلكه الى الله بحرية أكثر، ومعرفة أعمق ويقين أرسخ، فيفوز برضا الله الذي يوصله الى سعادة

الدنيا والآخرة.

نسأل الله توفيق الهداية لكل من يطلبها و يسعى اليها.

مصادر الكتاب

١ ــ القرآن الكريم.

٢ ــ الترجمة العربية للكتاب المقدس، دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط. ١٩٨٧ بيروت.

٣ ــ الترجمة الفرنسية للكتاب المقدس. ١٩٣٨ باريس.

٤ ــ العهد العتيق، المطبعة الكاثوليكية، بيروت ١٩٦٠.

٥ ــ انجيل برنابا، ترجمة د. خليل سعادة ط ٢ سنة ١٩٨٢. دار القلم، الكويت.

٦ ــ أنيس الأعلام في نصرة الاسلام، محمد صادق ـ فخر الاسلام ـ. ١٣٦٤ هـ. ش. الناشر مرتضوي طهران.

٧ ــ قاموس الكتاب المقدس دار المشرق ـ بيروت.

٨ ــ محمد في التوراة والانجيل والقرآن، ابراهيم خليل احمد. ١٩٨٩، دار المنار في القاهرة.

٩ ــ محمد في الكتاب المقدس، البروفسور عبد الأحد داود. ١٩٨٥، دار الضياء للنشر والتوزيع، قطر.

١٠ ــ البشارة بنبي الاسلام في التوراة والانجيل، الدكتور أحمد حجازي السقّا. ١٩٨٥ دار البيان العربي بمصر.

١١ ــ عقيدة المسيح الدجّال في الأديان، سعيد أيوب. ١٩٩١ دار الهادي، بيروت.

١٢ ــ الحسين في الفكر المسيحي، أنطوان بارا. ١٩٧٨ كويت
١٣ ــ الاسلام والمحرفون الكلم، صلاح كمال، ١٤٠٥هـ. كندا.
١٤ ــ الماسونية في العراء. الزغبي. ١٩٧٩، بيروت.
١٥ ــ أحجار على رقعة الشطرنج: وليام غاي كار. ترجمة سعيد جزائرلي. بيروت ١٤٠٨-١٩٨٨.
١٦ ــ معركتنا ضد اليهود. سيد قطب. دار الشروق ١٩٧٨.
١٧ ــ سيرة الأئمة الاثني عشر، هاشم معروف الحسني. ١٩٧٧ دار التعارف، بيروت.
١٨ ــ المنهج الإيماني للدراسات الكونية في القرآن، الدكتور عبد العليم عبد الرحمن خضر. ١٩٨٧ الدار السعودية للنشر والتوزيع جدة.
١٩ ــ إعجازات حديثة علميّة ورقمية في القرآن، الدكتور رفيق أبو السعود. ١٩٩٢ دار المعرفة دمشق.
٢٠ ــ تاريخ ما بعد الظهور، محمد الصدر، ط٢ دار التعارف للمطبوعات، بيروت.
٢١ ــ المنجد، بيروت ١٩٩٢. معجم البلدان: ياقوت الحموي. تحقيق فرديناند وستنفلد. لاينبرك١٨٦٨.
٢٢ ــ هذا بالإضافة الى عدد كبير من كتب التفسير والتاريخ والحديث الاسلامية.

الفهرست

مقدمة الكتاب ٥

البشارة الأولى:

بركة اسماعيل تحققت بمحمد (ص) والأئمة الأثني عشر من آل بيته(ع) ٢٩

البشارة الثانية:

النبي المنتظر على لسان موسى(ع) ٧٣

البشارة الثالثة:

النبي المصطفى يبعث من جبال فاران ٩١

البشارة الرابعة:

محمد وآل بيته (ص) على لسان داود (ع)..... ٩٩

البشارة الخامسة:

محمد (ص) والامام المهدي المنتظر (ع) في المزمور ٧٢ من مزامير داود(ع) ١٢٩

البشارة السادسة:

محمد (ص) في الاصحاح ٤٢ من سفر نبي الله اشعياء ١٤٩

البشارة السابعة:
من هو «شيلوه»؟ ١٦٧
البشارة الثامنة:
ملكوت الله على لسان يحيى وعيسى ـ عليهما السلام ـ ١٧٩
البشارة التاسعة:
احمد (ص) (الفارقليط) على لسان عيسى المسيح (ع) ١٨٧
البشارة العاشرة:
آل بيت رسول الله في رؤيا يوحنّا ٢١٩
خاتمة الكتاب ٢٧٣
مصادر الكتاب ٢٧٦

مصادر الكتاب الاجنبية

1- La sainte Bible, traduite par le Chanoine A. Crampon
Desclee et Cie, Editeurs Pontificaux, Paris 1938.
2- Les Saintes Ecritures, COPYRIGHT 1987.
Editeurs: Watchtower Bible and Tract society of New Yourk, INC.
3- L'Islam, le Combat mystique, Jean DURING.
Ed. R.LAFFONT, Paris, 1975.
4- Mohammad dans la Bilbe et Jesus dans le Coran, A.ALEM, Ed. DAZ,Paris, 1989.
5- La Bible, le Coran et la Science, Maurice BUCAILLE, Ed. SEGHERS, Paris, 1976.